سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٦٠١)

كلـه للّه

من مصنفات الوعظ والرقائق
وابن تيـمية

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"وكيف لا يعاقبك بمنع النصرة وقد نسيته، واقتدرت في أمره، وقد أمرك بأن تقول لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فمن اقتدر في أمره والأمر كله لله، والخلق لله، والقدرة لله، عوقب بأن يخذل، وعرف بالخذلان أن أقتداره كان خطأ، وأنه لا يقدر إلا به، وقال تعالى: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم؛ وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده؟).قال له قائل: فما النصرة؟ هل يمكن أن توصف؟فقال: إن نور المعرفة في القلب، حتى يخرج إلى عين القلب، والهوى قائم على القلب حجاباً، فإذا جاهد العبد هذا الهوى حق المجاهدة، وحق جهاده هو غاية طاقة العبد، فنصرته أن يهديه سبيله، وهو أن يجعل له طريقاً." (١)

"اعمل بما تعظ به الناسبعض الواعظين يخوفونك من الذنوب بأقوالهم؛ حتى تظن أن الله لا يدخل أحداً من عباده الجنة، ويجرئونك على المعاصي بأفعالهم؛ حتى تظن أن الله لا يدخل أحداً من عباده النار، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكثر هؤلاء الواعظين يدخلون النار بما يعظون، وأكثر هؤلاء المستمعين يدخلون الجنة بما يتعظون.الانقطاع على عمل الخيربعض الناس يحسنون العمل حيناً، ثم ينقطعون أو يسيؤون، فيعيشون في ماضيهم لا يشهدون غيره، ولا يذكرون سواه، وبذلك يخسرون الماضي والحاضر معاً، فإن لم تتداركهم عناية الله خسروا المستقبل أيضاً.موقف العاقل من المديحإذا تحدث الناس عنك بما يسرك فافرح به فرح الشاكرين لا فرح البطرين، واستمع إليه سماع المتواضعين لا سماع المغرورين، وأحمق الحمقى من ينسى أن الفضل في ذلك كله لله، ولولاه لما كان ولا كانت فضائله!وموقفه من الذمإذا تحدث الناس عنك بما يسوؤك، فلا تغضب غضب الطائشين، ولا تحقد حقد الموتورين، ولكن انظر: فما كان منه." (٢)

"ص –٤٦٨– وسئل شيخ الإسلام تقى الدين عمن يزعمون أنهم يؤمنون بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويعتقدون أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو على ابن أبي طالب، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على إمامته، وأن الصحابة ظلموه ومنعوه حقه، وأنهم كفروا بذلك، فهل يجب قتالهم ؟ ويكفرون بهذا الاعتقاد أم لا ؟فأجاب :الحمد لله رب العالمين، أجمع علماء المسلمين على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، فإنه يجب قتالها، حتى يكون **الدين كله لله** .فلو قالوا : نصلى ولا نزكى، أو نصلى الخمس ولا نصلى الجمعة ولا الجماعة، أو نقوم بمباني الإسلام الخمس ولا نحرم دماء المسلمين وأموالهم، أو لا نترك الربا ولا الخمر ولا الميسر، أو نتبع القرآن ولا نتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نعمل بالأحاديث الثابتة عنه، أو نعتقد أن اليهود والنصارى خير من جمهور المسلمين، وأن أهل القبلة قد كفروا بالله ورسوله ولم يبق منهم مؤمن إلا طائفة قليلة،." (٣)

"ص –٥٠٢– وأخذوا من أموال المسلمين وأموال بيت المال الحمل العظيم، وأسروا من رجال المسلمين الجم الغفير وأخرجوهم من أوطانهم، وادعوا مع ذلك التمسك بالشهادتين وادعوا تحريم قتال مقاتلهم، لما زعموا من اتباع أصل الإسلام،

---

(١) أدب النفس، الترمذي، الحكيم ص/١٠٤

(٢) هكذا علمتني الحياة، ص/٢٤٦

(٣) مجموع الفتاوى /٢

ولكونهم عفوا عن استئصال المسلمين . فهل يجوز قتالهم أو يجب، وأيما كان فمن أى الوجوه جوازه أو وجوبه ؟ أفتونا مأجورين .فأجاب :الحمد لله، كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم وغيرهم، فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة رضي الله عنهم مانعى الزكاة . وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم بعد سابقة مناظرة عمر لأبى بكر رضي الله عنهما . فاتفق الصحابة رضي الله عنهم على القتال على حقوق الإسلام، عملا بالكتاب والسنة .وكذلك ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة، مع قوله : " تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم " ، فعلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال . فالقتال واجب حتى يكون **الدين كله لله وحتى** لا تكون فتنة، فمتى كان الدين لغير الله." (١)

"ص -٤٦٩- أو قالوا : إنا لا نجاهد الكفار مع المسلمين، أو غير ذلك من الأمور المخالفة لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته، وما عليه جماعة المسلمين، فإنه يجب جهاد هذه الطوائف جميعها، كما جاهد المسلمون مانعى الزكاة، وجاهدوا الخوارج وأصنافهم، وجاهدوا الخرمية والقرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف أهل الأهواء والبدع الخارجين عن شريعة الإسلام .وذلك لأن الله تعالى يقول فى كتابه : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] . فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب قتالهم حتى يكون الدين كله لله، وقال تعالى : ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ [التوبة : ٥] ، فلم يأمر بتخلية سبيلهم إلا بعد التوبة من جميع أنواع الكفر، وبعد إقام الصلاة وإيتاء الزكاة . وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ [البقرة : ٢٧٨، ٢٧٩] ، فقد أخبر تعالى أن الطائفة الممتنعة إذا لم تنته عن الربا فقد حاربت الله ورسوله، والربا آخر ما حرم الله فى القرآن، فما حرمه قبله أوكد . وقال تعالى : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾ [المائدة : ٣٣] .." (٢)

"ص -٤٤٢- ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ [الأعراف : ١٢٨] .ولهذا كان الصبر واليقين اللذان هما أصل التوكل يوجبان الإمامة فى الدين، كما دل عليه قوله تعالى : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [السجدة : ٢٤] .ولهذا كان الجهاد موجبا للهداية التى هى محيطة بأبواب العلم، كما دل عليه قوله تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] . فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى؛ ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما : إذا اختلف الناس فى شىء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر، فإن الحق معهم؛ لأن الله يقول : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾وفى الجهاد أيضا : حقيقة الزهد فى الحياة الدنيا، وفى الدار الدنيا .وفيه أيضا : حقيقة الإخلاص؛ فإن الكلام فيمن جاهد

---

(١) مجموع الفتاوى /٢

(٢) مجموع الفتاوى /٣

في سبيل الله، لا فى سبيل الرياسة، ولا فى سبيل المال، ولا فى سبيل الحمية، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هى العليا .وأعظم مراتب الإخلاص تسليم النفس والمال للمعبود، كما قال." [1]

"ص -٦١- آله وسلم تسليما، وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته . أما بعد : فهذه : [قاعدة في الحسبة] . أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب وبه أرسل الرسل وعليه جاهد الرسول والمؤمنون : قال الله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] وقال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] وقال : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] .وقد أخبر عن جميع المرسلين أن كلا منهم يقول لقومه : ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ [هود : ٥٠] ، وعباداته تكون بطاعته وطاعة رسوله وذلك هو الخير والبر، والتقوى والحسنات، والقربات والباقيات والصالحات والعمل الصالح، وإن كانت هذه الأسماء بينها فروق لطيفة ليس هذا موضعها . وهذا الذي يقاتل عليه الخلق كما قال تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله فإن** انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾ [الأنفال : ٣٩] وفي الصحيحين عن أبي موسى." [2]

"ص -٣١٧- رضي الله عنهم أجمعين .وولي الأمر سلطان المسلمين أيده الله وسدده هو أحق الناس بنصر دين الإسلام، وما جاء به الرسول عليه السلام وزجر من يخالف ذلك ويتكلم في الدين بلا علم، ويأمر بما نهي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن يسعي في إطفاء دينه إما جهلا وإما هوي . وقد نزه الله رسوله صلى الله عليه وسلم عن هذين الوصفين فقال تعالى : ﴿والنجم إذا هوي ما ضل صاحبكم وما غوي وما ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحي ﴾ [النجم : ١ ٤] ، وقال تعالى عن الذين يخالفونه : ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي ﴾ [النجم : ٢٣] ، ويخالفون شريعته وما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين الذين يعرفون سنته ومقاصده، ويتحرون متابعته صلى الله عليه وسلم، وبحسب جهدهم رضي الله عنهم أجمعين .فولي الأمر السلطان أعزه الله إذا تبين له الأمر فهو صاحب السيف الذي هو أولي الناس بوجوب الجهاد في سبيل الله باليد، لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، ويبين تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتظهر حقيقة التوحيد، ورسالة الرسول الذي جعله الله أفضل الرسل وخاتمهم، ويظهر الهدي ودين الحق الذي بعث به، والنور الذي أوحي إليه، ويصان ذلك." [3]

"والله تعالى بعث الرسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : " إنا معشر الأنبياء ديننا واحد " . فالدين واحد، وإن تفرقت الشرعة والمنهاج، قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من

---

(١) مجموع الفتاوى /٣

(٢) مجموع الفتاوى /٣

(٣) مجموع الفتاوى /٥

رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، وقال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] ،." (١)

"ص -٢٠٨- فالأول مأمور به . والثاني منهى عنه؛ لأن المؤمنين إخوة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : " لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم " ، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي في السنن : " ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة، والصيام، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ " قالوا : بلي يا رسول الله ! قال : " إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول : تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين " . وقال في الحديث الصحيح : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذ اشتكي منه عضو، تداعي له سائر الجسد بالحمي والسهر " .وهذا لأن الهجر من باب العقوبات الشرعية . فهو من جنس الجهاد في سبيل الله . وهذا يفعل لأن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون **الدين كله لله** . والمؤمن عليه أن يعادي في الله، ويوإلى في الله، فإن كان هناك مؤمن، فعليه أن يوإليه وإن ظلمه، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، قال تعإلى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخري فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ [الحجرات : ٩، ١٠] ، فجعلهم إخوة مع وجود القتال." (٢)

"ص -٤١٦- الإسلام وبقوا مستمسكين بالانتساب إليه . فهؤلاء الكفار المرتدون، والداخلون فيه من غير التزام لشرائعه، والمرتدون عن شرائعه لا عن سمته، كلهم يجب قتالهم بإجماع المسلمين، حتى يلتزموا شرائع الإسلام،وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله،وحتى تكون كلمة الله التي هي كتابه وما فيه من أمره ونهيه وخبره هي العليا . هذا إذا كانوا قاطنين في أرضهم، فكيف إذا استولوا على أراضي الإسلام : من العراق، وخراسان، والجزيرة، والروم، فكيف إذا قصدوكم وصالوا عليكم بغيا وعدوانا ؟ ! ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ﴾ [التوبة : ١٣- ١٥] .واعلموا أصلحكم الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه من وجوه كثيرة أنه قال : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة " ، وثبت أنهم بالشام .فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق : الطائفة المنصورة، وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين . والطائفة المخالفة،وهم هؤلاء." (٣)

"ص -٢٠٩- والبغي والأمر بالإصلاح بينهم .فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر، وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدي علىك ، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إلىك . فإن

---

(١) مجموع الفتاوى /٧

(٢) مجموع الفتاوى /٧

(٣) مجموع الفتاوى /٨

الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه، والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه .وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطي من بيت المال ما يكفيه لحاجته .هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه، فلم يجعلوا الناس إلا مستحقا للثواب فقط، وإلا مستحقا للعقاب فقط . وأهل السنة يقولون : إن الله يعذب بالنار من أهل الكبائر من يعذبه، ثم يخرجهم منها بشفاعة من يأذن." (١)

"ص –٥١١– إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجهاد الكفار إلى أن يسلموا ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وكذلك إن أظهروا البدع المخالفة للكتاب والسنة واتباع سلف الأمة وأئمتها، مثل أن يظهروا الإلحاد فى أسماء الله وآياته، أو التكذيب بأسماء الله وصفاته، أو التكذيب بقدره وقضائه، أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين، أو الطعن فى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، أو مقاتلة المسلمين حتى يدخلوا فى طاعتهم التى توجب الخروج عن شريعة الإسلام، وأمثال هذه الأمور .قال الله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون **الدين كله لله** .وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ [البقرة : ٢٧٨، ٢٧٩] ، وهذه الآية نزلت فى أهل الطائف، وكانوا قد أسلموا وصلوا وصاموا، لكن كانوا يتعاملون بالربا . فأنزل الله هذه الآية، وأمر المؤمنين فيها بترك ما بقى من الربا، وقال : ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ [البقرة : ٢٧٩] ، وقد قرئ ﴿ فأذنوا ﴾ ، و " وآذنوا " وكلا المعنيين صحيح . والربا." (٢)

"ص –٢٢٩– ذكر لله، وتكبير له على الهداية، وهناك على الرزق .وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما أشرف على خيبر قال : " الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " . وكان يكبر على الأشراف مثل التكبير إذا ركب دابة، وإذا علا نشزا من الأرض، وإذا صعد على الصفا والمروة . وقال جابر : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا علونا كبرنا، وإذا هبطنا سبحنا، فوضعت الصلاة على ذلك . رواه أبو داود . وجاء التكبير مكررا في الأذان في أوله وفي آخره، والأذان هو الذكر الرفيع، وفي أثناء الصلاة، وهو حال الرفع والخفض والقيام إليها، كما قال : " تحريمها التكبير " . وروي : " أن التكبير يطفئ الحريق " .فالتكبير شرع أيضا لدفع العدو من شياطين الإنس والجن، والنار التي هي عدو لنا، وهذا كله يبين أن التكبير مشروع في المواضع الكبار، لكثرة الجمع، أو لعظمة الفعل، أو لقوة الحال، أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة؛ ليبين أن الله أكبر، وتستولي كبرياؤه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكبار، فيكون

---

(١) مجموع الفتاوى /٨

(٢) مجموع الفتاوى /١١

الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرون، فيحصل لهم مقصودان : مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد سائر المطالب لكبريائه،ولهذا شرع التكبير على الهداية والرزق والنصر؛ لأن هذه الثلاث." (١)

"ص –٦١٢– ثم إن هاتين الأمتين تفرقتا أحزابا كثيرة في أصل دينهم واعتقادهم في معبودهم ورسولهم . هذا يقول : إن جوهر اللاهوت والناسوت صارا جوهرا واحدا وطبيعة واحدة وأقنوما واحدا . وهم اليعقوبية . وهذا يقول : بل هما جوهران وطبيعتان وأقنومان . وهم النسطورية . وهذا يقول بالاتحاد من وجه دون وجه وهم الملكانية . وقد آمن جماعات من علماء أهل الكتاب قديما وحديثا وهاجروا إلى الله ورسوله وصنفوا في كتب الله من دلالات نبوة النبي خاتم المرسلين وما في التوراة والزبور والإنجيل من مواضع لم يدبروها وكذلك الحواريون .فلما اختلف الأحزاب من بينهم هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فبعث النبي الذي بشر به المسيح ومن قبله من الأنبياء داعيا إلى ملة إبراهيم ودين المرسلين قبله وبعده وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص **الدين كله لله وطهر** الأرض من عبادة الأوثان ونزه الدين عن الشرك : دقه وجله، بعد ما كانت الأصنام تعبد في أرض الشام وغيرها في دولة بني إسرائيل ودولة الذين قالوا : إنا نصارى . وأمر بالإيمان بجميع كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان . وبجميع أنبياء الله من آدم إلى محمد . قال الله تعالى .: " (٢)

"ص –٣٦٧– القول بها، ولا يجب على كل مسلم أن يلتزم إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا شرع دخل فيه التأويل والاجتهاد، وقد يكون في نفس الأمر موافقا للشرع المنزل فيكون لصاحبه أجران، وقد لا يكون موافقا له، لكن لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فإذا اتقي العبد الله ما استطاع آجره الله على ذلك، وغفر له خطأه .ومن كان هكذا لم يكن لأحد أن يذمه ولا يعيبه ولا يعاقبه ولكن إذا عرف الحق بخلاف قوله، لم يجز ترك الحق الذي بعث الله به رسوله لقول أحد من الخلق، وذلك هو الشرع المنزل من عند الله، وهو الكتاب والسنة وهو دين الله ورسوله لتكون كلمة الله هي العليا ويكون **الدين كله لله لا** يجاهدون على قول عالم ولا شيخ متأول، بل يجاهدون ليعبد الله وحده ويكون الدين له، كما في المسند عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتي يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم " . وقال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، وفي الصحيحين عن أبي موسي الأشعري قال : قيل : يا رسول الله، الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " .." (٣)

"ص –٢٣٤– يغلط في الرأي والفتيا، ومن يغلط في الزهد والعبادة، وإن كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه، وهو مأجور على اجتهاده، فبيان القول والعمل الذي يدل عليه الكتاب والسنة واجب، وإن كان في ذلك مخالفة لقوله وعمله .

---

(١) مجموع الفتاوى /١٢

(٢) مجموع الفتاوى /١٢

(٣) مجموع الفتاوى /١٦

ومن علم منه الاجتهاد السائغ، فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له، فإن الله غفر له خطأه، بل يجب لما فيه من الإيمان والتقوي موالاته ومحبته، والقيام بما أوجب الله من حقوقه : من ثناء ودعاء وغير ذلك، وإن علم منه النفاق، كما عرف نفاق جماعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل عبد الله بن أبي وذويه، وكما علم المسلمون نفاق سائر الرافضة عبد الله بن سبأ وأمثاله مثل عبد القدوس بن الحجاج، ومحمد بن سعيد المصلوب فهذا يذكر بالنفاق . وإن أعلن بالبدعة ولم يعلم هل كان منافقا أو مؤمنا مخطئا ذكر بما يعلم منه، فلا يحل للرجل أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يحل له أن يتكلم في هذا الباب إلا قاصدا بذلك وجه الله تعإلى وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون **الدين كله لله** . فمن تكلم في ذلك بغير علم أو بما يعلم خلافه، كان آثما .وكذلك القاضي والشاهد والمفتي،كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " القضاة ثلاثة : قاضيان في النار، وقاض في الجنة : رجل علم الحق وقضي به فهو في الجنة، ورجل قضي للناس على جهل فهو في النار،." (١)

"ص –٤٥– تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، ويكون دعاؤه وغيره بحسب ذلك،كما أمر الله به ورسوله :اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، واهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وجنبهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لهم في أسماعهم وأبصارهم ما أبقيتهم، واجعلهم شاكرين لنعمك مثنين بها عليك، قابليها، وأتممها عليهم يا رب العالمين . اللهم انصر كتابك ودينك وعبادك المؤمنين، وأظهر الهدي ودين الحق الذي بعثت به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على الدين كله . اللهم عذب الكفار والمنافقين، الذين يصدون عن سبيلك ويبدلون دينك ويعادون المؤمنين . اللهم خالف كلمتهم، وشتت بين قلوبهم، واجعل تدميرهم في تدبيرهم؛ وأدر عليهم دائرة السوء . اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين . اللهم مجري السحاب، ومنزل الكتاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم، وانصرنا عليهم . ربنا أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدي لنا، وانصرنا على من بغي علينا . ربنا اجعلنا لك شاكرين مطاوعين مخبتين أواهين منيبين . ربنا تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، واهد قلوبنا؛ وسدد ألسنتنا." (٢)

"ص –٢١– يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان، ولكن يحسن أن يقول لتلميذه : علىك عهد الله وميثاقه أن توإلى من وإلى الله ورسوله، وتعادي من عادي الله ورسوله، وتعاون على البر والتقوي ولا تعاون على الإثم والعدوان . وإذا كان الحق معي، نصرت الحق، وإن كنت على الباطل، لم تنصر الباطل . فمن التزم هذا، كان من المجاهدين في سبيل الله تعإلى الذين يريدون أن يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا .وفي الصحيحين : أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له : يارسول الله، الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله " . فإذا كان المجاهد الذي يقاتل حمية للمسلمين؛ أو يقاتل رياء

---

(١) مجموع الفتاوى /١٧

(٢) مجموع الفتاوى /١٧

للناس ليمدحوه، أو يقاتل لما فيه من الشجاعة : لا يكون قتاله في سبيل الله عز وجل حتى يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فكيف من يكون أفضل تعلمه صناعة القتال مبنيا على أساس فاسد ليعاون شخصا مخلوقا على شخص مخلوق ؟ ! فمن فعل ذلك، كان من أهل الجاهلية الجهلاء، والتتر الخارجين عن شريعة الإسلام، ومثل هؤلاء يستحقون العقوبة البليغة الشرعية التي تزجرهم وأمثالهم عن مثل هذا التفرق والاختلاف، حتى يكون **الدين كله لله والطاعة** لله ورسوله." [1]

"ص -٢٣- وأصل هذا أن يعلم أن هذه الأعمال عون على الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله مقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا .وجماع الدين شيئان :أحدهما : ألا نعبد إلا الله تعإلى .والثاني : أن نعبده بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعإلى : ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ [الملك : ٢] ، قال الفضيل بن عياض : أخلصه وأصوبه . قيل له : ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا، لم يقبل . وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا، لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص : أن يكون لله . والصواب : أن يكون على السنة .وكان عمر بن الخطاب يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا .وهذا هو دين الإسلام الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، وهو الاستسلام لله وحده . فمن لم يستسلم له، كان مستكبرا عن عبادته، وقد قال تعإلى : ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [غافر : ٦٠] ،." [2]

"ص -٢٦٣- عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه " .وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربي ومسلم، ورجل غني عفيف متصدق " . وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الساعي على الصدقة بالحق كالمجاهد في سبيل الله " ، وقد قال الله تعإلى لما أمر بالجهاد : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله، الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله " . أخرجاه في الصحيحين .فالمقصود أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله : اسم جامع لكلماته التي تضمنها كتابه، وهكذا قال الله تعإلى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [الحديد : ٢٥] ، فالمقصود من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله، وحقوق خلقه، ثم قال تعإلى :." [3]

"ص -٦٢٦- الذين لا يتبعون الهوى، بل كل من اتقى الله وأنصف علم أنهم أسروا بغير حق لا سيما من أخذ غدرا والله تعالى لم يأمر المسيح ولا أحدا من الحواريين ولا من اتبع المسيح على دينه، لا بأسر أهل ملة إبراهيم ولا بقتلهم .وكيف وعامة النصارى يقرون بأن محمدا رسول الأميين فكيف يجوز أن يقاتل أهل دين اتبعوا رسولهم . فإن قال قائل :

---

(١) مجموع الفتاوى /١٨

(٢) مجموع الفتاوى /٢٠

(٣) مجموع الفتاوى /٢١

هم قاتلونا أول مرة . قيل : هذا باطل فيمن غدرتم به ومن بدأتموه بالقتال . وأما من بدأكم منهم فهو معذور لأن الله تعالى أمره بذلك ورسوله بل المسيح والحواريون أخذ عليهم المواثيق بذلك ولا يستوي من عمل بطاعة الله ورسله ودعا إلى عبادته ودينه وأقر بجميع الكتب والرسل وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وليكون **الدين كله لله ومن** قاتل في هوى نفسه وطاعة شيطانه على خلاف أمر الله ورسله . وما زال في النصارى من الملوك والقسيسين والرهبان والعامة من له مزية على غيره في المعرفة والدين، فيعرف بعض الحق وينقاد لكثير منه ويعرف من قدر الإسلام وأهله ما يجهله غيره فيعاملهم معاملة تكون نافعة له في الدنيا والآخرة . ثم في فكاك الأسير وثواب العتق من كلام الأنبياء والصديقين ما هو معروف لمن طلبه فمهما عمل الملك معهم وجد ثمرته .." (١)

"ص -١٤٨- لله، وليس لأحد أن يسأل لغير الله، فإن إخلاص الدين لله واجب فى جميع العبادات البدنية والمالية كالصلاة، والصدقة، والصيام، والحج فلا يصلح الركوع والسجود إلا لله ولا الصيام إلا لله، ولا الحج إلا إلى بيت الله، ولا الدعاء إلا لله، قال تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ [الزمر : ١، ٢] .وهذا هو أصل الإسلام، وهو ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى : ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ [الملك : ٢] ، قال الفضيل بن عياض : أخلصه وأصوبه . قالوا : يا أبا على، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا . والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة والكتاب .هذا كله لأن دين الله بلغه عنه رسوله . فلا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله، والله تعالى ذم المشركين لأنهم شرعوا." (٢)

"ص -٣٥١- على توحيد الله عز وجل، وأن يكون الدين كله لله، فلا يعبد غيره ولا يتوكل إلا عليه، ولا يدعى إلا هو، ولا يتقي إلا هو، ولا يصلي ولا يصام إلا له، ولا ينذر إلا له، ولا يحلف إلا به، ولا يحج إلا إلى بيته . فالحج الواجب ليس إلا إلى أفضل بيوته . وأقدمها، وهو المسجد الحرام . والسفر المستحب ليس إلا إلى مسجدين لكونهما بناهما نبيان . فالمسجد النبوي مسجد المدينة أسسه على التقوي خاتم المرسلين، ومسجد إيليا قد كان مسجدا قبل سليمان . ففي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قلت : يا رسول الله، أي مسجد وضع أولا ؟ قال : " المسجد الحرام " . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : " المسجد الأقصي " . قلت : كم بينهما ؟ قال : " أربعون سنة، ثم حيثما أدركتك الصلاة فصل، فإنه لك مسجد " . وفي لفظ البخاري : " فإن فيه الفضل " . وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يصلي حيث أدركته الصلاة . فالمسجد الأقصي كان من عهد إبراهيم عليه السلام لكن سليمان عليه السلام بناه بناء عظيما . فكل من

---

(١) مجموع الفتاوى /٢٧

(٢) مجموع الفتاوى /٣٨

المساجد الثلاثة بناه نبي كريم ليصلي فيه هو والناس .فلما كانت الأنبياء عليهم السلام تقصد الصلاة في هذين المسجدين شرع السفر إليهما للصلاة فيهما والعبادة، اقتداء بالأنبياء عليهم السلام وتأسيا بهم . كما أن إبراهيم الخليل عليه السلام." (١)

"ص -١٠٣- المتأخرين، وهذا لا يصح لا على مذهب أهل السنة، ولا على مذهب الرافضة . فأين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ؟ ! والحسن عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قارب سن التمييز والاحتلام .وقد حكي عن بعض الأكابر من الشيوخ المنتحلين لهذا : أن [القطب الفرد الغوث الجامع] ينطبق علمه على علم الله تعالى، وقدرته على قدرة الله تعالى، فيعلم ما يعلمه الله، ويقدر على ما يقدر عليه الله . وزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك، وأن هذا انتقل عنه إلى الحسن، وتسلسل إلى شيخه . فبنت أن هذا كفر صريح، وجهل قبيح، وأن دعوي هذا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفر، دع ما سواه، وقد قال الله تعالى : ﴿قل لا أقول لكم عندي خزآئن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك ﴾ [الأنعام : ٥٠] ، قال تعالى : ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ الآية [الأعراف : ١٨٨] ، وقال تعالى : ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾ الآية ،وقال تعالى : ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن **الأمر كله لله ﴾** [آل عمران : ١٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خآئبين ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٧، ١٢٨] ،." (٢)

"ص -٥٤٤- وسئل رحمه الله ورضى عنه : عن أجناد يمتنعون عن قتال التتار، ويقولون : إن فيهم من يخرج مكرها معهم، وإذا هرب أحدهم هل يتبع أم لا ؟فأجاب :الحمد لله رب العالمين، قتال التتار الذين قدموا إلى بلاد الشام واجب بالكتاب والسنة؛ فإن الله يقول فى القرآن : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، والدين هو الطاعة، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله، وجب القتال حتى يكون الدين كله لله؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ [البقرة : ٢٧٨، ٢٧٩] ، وهذه الآية نزلت فى أهل الطائف لما دخلوا فى الإسلام والتزموا الصلاة والصيام؛ لكن امتنعوا من ترك الربا . فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا . والربا هو آخر ما حرمه الله، وهو مال يؤخذ برضا صاحبه . فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم، فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الإسلام أو أكثرها كالتتار ؟ !." (٣)

"ص -٥٤٥- وقد اتفق علماء المسلمين على أن الطائفة الممتنعة إذا امتنعت عن بعض واجبات الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة، أو صيام شهر رمضان، أو حج البيت العتيق، أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة، أو عن تحريم الفواحش، أو الخمر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن استحلال النفوس

---

(١) مجموع الفتاوى /٣٩

(٢) مجموع الفتاوى /٤١

(٣) مجموع الفتاوى /٤٤

والأموال بغير حق، أو الربا، أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب، ونحو ذلك من شرائع الإسلام، فإنهم يقاتلون عليها حتى يكون **الدين كله لله** .وقد ثبت فى الصحيحين أن عمر لما ناظر أبا بكر فى مانعى الزكاة قال له أبو بكر : كيف لا أقاتل من ترك الحقوق التى أوجبها الله ورسوله وإن كان قد أسلم، كالزكاة ؟ ! وقال له : فإن الزكاة من حقها، والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعلمت أنه الحق .وقد ثبت فى الصحيح من غير وجه أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج وقال فيهم : " يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم." (١)

"ص –١٦٤– والفرقان : أن يحمد من ذلك ما حمده الله ورسوله، فإن الله تعالى هو الذي حمده زين وذمه شين، دون غيره من الشعراء والخطباء وغيرهم؛ ولهذا لما قال القائل من بني تميم للنبي صلى الله عليه وسلم : إن حمدي زين وذمي شين قال له : " ذاك الله " . والله سبحانه حمد الشجاعة والسماحة في سبيله، كما في الصحيح عن " أبي موسى قال : قيل : يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " .وقد قال سبحانه : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] وذلك أن هذا هو المقصود الذي خلق الخلق له، كما قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] فكل ما كان لأجل الغاية التي خلق لها الخلق كان محمودا عند الله وهو الذي يبقى لصاحبه وهذه الأعمال الصالحات . ولهذا كان الناس أربعة أصناف : من يعمل لله بشجاعة وسماحة، فهؤلاء هم المؤمنون المستحقون للجنة .ومن يعمل لغير الله بشجاعة وسماحة، فهذا ينتفع بذلك في الدنيا وليس له في الآخرة من خلاق . ومن يعمل لله لكن لا بشجاعة ولا سماحة." (٢)

"ص –٥٥١– فالفتن مثل الحروب التى تكون بين ملوك المسلمين، وطوائف المسلمين، مع أن كل واحدة من الطائفتين ملتزمة لشرائع الإسلام . مثل ما كان أهل الجمل وصفين؛ وإنما اقتتلوا لشبه وأمور عرضت، وأما قتال الخوارج ومانعى الزكاة وأهل الطائف الذين لم يكونوا يحرمون الربا، فهؤلاء يقاتلون حتى يدخلوا فى الشرائع الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم .وهؤلاء إذا كان لهم طائفة ممتنعة، فلا ريب أنه يجوز قتل أسيرهم واتباع مدبرهم، والإجهاز على جريحهم؛ فإن هؤلاء إذا كانوا مقيمين ببلادهم على ما هم عليه، فإنه يجب على المسلمين أن يقصدوهم فى بلادهم لقتالهم، حتى يكون **الدين كله لله** . فإن هؤلاء التتار لا يقاتلون على دين الإسلام، بل يقاتلون الناس حتى يدخلوا فى طاعتهم، فمن دخل فى طاعتهم كفوا عنه وإن كان مشركا أو نصرانيا أو يهوديا، ومن لم يدخل كان عدوا لهم وإن كان من الأنبياء والصالحين . وقد أمر الله المسلمين أن يقاتلوا أعداءه الكفار، ويوالوا عباده المؤمنين . فيجب على المسلمين من جند الشام ومصر واليمن والمغرب جميعهم، أن يكونوا متعاونين على قتال الكفار، وليس لبعضهم أن يقاتل بعضا بمجرد الرياسة والأهواء . فهؤلاء

---

(١) مجموع الفتاوى /٤٥

(٢) مجموع الفتاوى /٤٩

التتار أقل ما يجب عليهم أن يقاتلوا من يليهم من الكفار، وأن يكفوا عن قتال من يليهم من المسلمين، ويتعاونون هم وهم على." (١)

"ص -١٦٧- فكيف يطلب التخلص من فتنة صغيرة لم تصبه بوقوعه في فتنة عظيمة قد أصابته ؟ والله يقول : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] .فمن ترك القتال الذي أمر الله به لئلا تكون فتنة : فهو في الفتنة ساقط بما وقع فيه من ريب قلبه ومرض فؤاده وتركه ما أمر الله به من الجهاد . فتدبر هذا، فإن هذا مقام خطر، فإن الناس هنا ثلاثة أقسام : قسم يأمرون وينهون ويقاتلون، طلبا لإزالة الفتنة التي زعموا ويكون فعلهم ذلك أعظم فتنة، كالمقتتلين في الفتنة الواقعة بين الأمة .وأقوام ينكلون عن الأمر والنهي والقتال الذي يكون به **الدين كله لله وتكون** كلمة الله هي العليا، لئلا يفتنوا وهم قد سقطوا في الفتنة وهذه الفتنة المذكورة في [سورة براءة] دخل فيها الافتتان بالصور الجميلة، فإنها سبب نزول الآية .وهذه حال كثير من المتدينين، يتركون ما يجب عليهم من أمر ونهي وجهاد يكون به **الدين كله لله وتكون** كلمة الله هي العليا، لئلا يفتنوا بجنس الشهوات، وهم قد وقعوا في الفتنة التي هي أعظم مما زعموا أنهم فروا منه وإنما الواجب عليهم القيام بالواجب وترك المحظور . وهما متلازمان، وإنما تركوا ذلك لكون نفوسهم لا تطاوعهم إلا على فعلهما جميعا أو تركهما جميعا : مثل كثير ممن يحب الرئاسة أو." (٢)

"ص -١٥١- بها، كما أن مسجد قباء يزار من المدينة، وليس لأحد أن يسافر إليه لنهيه صلى الله عليه وسلم أن تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة .وذلك أن الدين مبني على أصلين : ألا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، ولا يعبد إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالي : ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف : ١١٠] . ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل فيه لأحد شيئا . وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالي : ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ [الملك : ٢] . قال : أخلصه، وأصوبه . قيل : يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا، ولم يكن صوابا، لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتي يكون خالصا صوابا . والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، وقد قال الله تعالي : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [الشوري : ٢١] .والمقصود بجميع العبادات أن يكون **الدين كله لله وحده**، فالله هو المعبود، والمسؤول الذي يخاف ويرجي، ويسأل ويعبد، فله الدين خالصا، وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها، والقرآن مملوء من هذا." (٣)

"ص -٥٥٧- المتواترة؛ مثل الطائفة الممتنعة عن الصلوات الخمس، أو عن أداء الزكاة المفروضة إلى الأصناف الثمانية التي سماها الله تعالى فى كتابه، أو عن صيام شهر رمضان، أو الذين لا يمتنعون عن سفك دماء المسلمين وأخذ أموالهم، أو لا يتحاكمون بينهم بالشرع الذى بعث الله به رسوله، كما قال أبو بكر الصديق وسائر الصحابة رضى الله عنهم فى مانعى

---

(١) مجموع الفتاوى /٥١

(٢) مجموع الفتاوى /٥٢

(٣) مجموع الفتاوى /٥٥

الزكاة، وكما قاتل على بن أبي طالب وأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الخوارج، الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم : " يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن فى قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة " ، وذلك بقوله تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، وبقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ﴾ [البقرة : ٢٧٨، ٢٧٩] . والربا آخر ما حرمه الله ورسوله، فكيف بما هو أعظم تحريما ؟ !ويدعون قبل القتال إلى التزام شرائع الإسلام، فإن التزموها استوثق منهم، ولم يكتف منهم بمجرد الكلام . كما فعل أبو بكر بمن قاتلهم بعد أن أذلهم، وقال : اختاروا؛ إما الحرب المجلية وإما السلم المخزية، وقال : أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : هذه الحرب المجلية قد عرفناها، فما السلم." (١)

"ص -٣٠٨- فإن كان التاركون طائفة ممتنعة، قوتلوا على تركها بإجماع المسلمين، وكذلك يقاتلون على ترك الزكاة، والصيام، وغيرهما، وعلى استحلال المحرمات الظاهرة المجمع عليها، كنكاح ذوات المحارم، والفساد في الأرض، ونحو ذلك . فكل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، يجب جهادها، حتى يكون الدين كله لله، باتفاق العلماء .وإن كان التارك للصلاة واحدا، فقد قيل : إنه يعاقب بالضرب والحبس حتى يصلى، وجمهور العلماء على أنه يجب قتله إذا امتنع من الصلاة بعد أن يستتاب، فإن تاب وصلى، وإلا قتل . وهل يقتل كافرا أو مسلما فاسقا ؟ فيه قولان . وأكثر السلف على أنه يقتل كافرا وهذا كله مع الإقرار بوجوبها، أما إذا جحد وجوبها، فهو كافر بإجماع المسلمين، وكذلك من جحد سائر الواجبات المذكورات والمحرمات التي يجب القتال عليها . فالعقوبة على ترك الواجبات، وفعل المحرمات، هي مقصود الجهاد في سبيل الله، وهو واجب على الأمة بالاتفاق، كما دل عليه الكتاب والسنة .وهو من أفضل الأعمال . قال رجل : يا رسول الله، دلني على عمل يعدل الجهاد في سبيل الله . قال : " لا تستطيعه، أو لا تطيقه " . قال : أخبرني به ؟ قال : " هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم ولا تفطر،." (٢)

"ص -٣٣٦- فهو بمنزلة أن يقول : الطلاق يلزمه لا يفعل كذا، أو العتق أو الحرام يلزمه والمشي إلى مكة يلزمه لا يفعل كذا ونحو ذلك . ففي صيغة الجزاء أثبت الفعل وقدمه وأخر الحكم . ولما أخر الفعل ونفاه وقدم الحكم والمحلوف به مقصوده ألا يكون ولا يهتك حرمته، وكذلك إذا قال : إن فعلت كذا فأنا كافر، أو يهودي، أو نصراني، فهو كقوله : والله لأنه كذا .ولهذا كان نظر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى معنى الصيغة ومقصود المتكلم، سواء كانت بصيغة المجازات أو بصيغة القسم . فإذا كان مقصوده الحظ أو المنع جعلوه يمينا، وإن كان بصيغة المجازات، وإن كان مقصوده التقرب إلى الله جعلوه ناذرا وإن كان بصيغة القسم؛ ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم الناذر حالفا؛ لأنه ملتزم للفعل بصيغة المجازاة . فإن كان المنذور مما أمر الله به أمره به، وإلا جعل عليه كفارة يمين . وكذلك الحالف إنما أمره أن يكفر يمينه إذا حلف على

---

(١) مجموع الفتاوى /٥٧

(٢) مجموع الفتاوى /٦٨

يمين فرأى غيرها خيرا منها اعتبارا بالمقصود في الموضعين، فإذا كان المراد ما يحبه الله ويرضاه أمر به، وهو النذر الذي يوفي به وإن كان بصيغة القسم . وإن كان غيره أحب إلى الله وأرضى منه أمر بالأحب الأرضى لله وإن كان بصيغة النذر، وأمر بكفارة يمين . وهذا كله تحقيقا لطاعة الله ورسوله، وأن يكون الدين كله لله، وأن كل يمين أو نذر أو عقد أو شرط تضمن ما يخالف أمر الله ورسوله فإنه لا يكون لازما، بل يجب تقديم أمر الله ورسوله على كل ذلك .." (١)

"ص -٣٤٩- فليتق الوجه ولا يضرب مقاتله " ، فإن المقصود تأديبه لا قتله، ويعطي كل عضو حظه من الضرب، كالظهر والأكتاف والفخذين ونحو ذلك .فصلالعقوبات التي جاءت بها الشريعة لمن عصي الله ورسوله نوعان :أحدهما : عقوبة المقدور عليه، من الواحد والعدد، كما تقدم .والثاني : عقاب الطائفة الممتنعة، كالتي لا يقدر عليها إلا بقتال .فأصل هذا هو جهاد الكفار، أعداء الله ورسوله، فكل من بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى دين الله الذي بعثه به فلم يستجب له؛ فإنه يجب قتاله ﴿حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] .ولأن الله لما بعث نبيه، وأمره بدعوة الخلق إلى دينه، لم يأذن له في قتل أحد على ذلك ولا قتاله، حتى هاجر إلى المدينة، فأذن له وللمسلمين بقوله تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [الحج : ٣٩ : ٤١]." (٢)

"ص -٣٥٤- في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة، وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما؛ فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا مع قلة منفعتها، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد، وقد يرغب في ترفيه نفسه حتى يصادفه الموت، فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات .وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين . وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة، كالنساء والصبيان، والراهب، والشيخ الكبير، والأعمي، والزمن ونحوهم، فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله، وإن كان بعضهم يري إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر، إلا النساء والصبيان؛ لكونهم مالا للمسلمين . والأول هو الصواب؛ لأن القتال هو لمن يقاتلنا، إذا أردنا إظهار دين الله، كما قال الله تعالى : ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم : أنه مر على امرأة مقتولة في بعض مغازيه، قد وقف عليها الناس . فقال : " ما كانت هذه لتقاتل " ، وقال لأحدهم : " الحق خالدا فقل له : لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا " . وفيها أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : " لا تقتلوا شيخا فانيا،ولا." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى /٩٨

(٢) مجموع الفتاوى /١٠٩

(٣) مجموع الفتاوى /١١٤

"ص -٣٥٦- ومن سواهم، فقد اختلف الفقهاء في أخذ الجزية منهم، إلا أن عامتهم لا يأخذونها من العرب، وأيما طائفة انتسبت إلى الإسلام، وامتنعت من بعض شرائعه الظاهرة المتواترة، فإنه يجب جهادها باتفاق المسلمين، حتى يكون الدين كله لله، كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة، وكان قد توقف في قتالهم بعض الصحابة، ثم اتفقوا، حتى قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنهما : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا قالوها، فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله " ؟ فقال له أبو بكر : فإن الزكاة من حقها . والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحق .وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، أنه أمر بقتال الخوارج، ففي الصحيحين عن على ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم." (١)

"ص -٣٦١- الدين أهم، وقد ذكر الفقهاء هذ المعني .ومتى اهتمت الولاة بإصلاح دين الناس، صلح للطائفتين دينهم ودنياهم، وإلا اضطربت الأمور عليهم . وملاك ذلك كله صلاح النية للرعية، وإخلاص الدين كله لله، والتوكل عليه . فإن الإخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة، كما أمرنا أن نقول في صلاتنا : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] . فإن هاتين الكلمتين قد قيل : إنهما يجمعان معاني الكتب المنزلة من السماء . وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مرة في بعض مغازيه، فقال : " يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين " ، فجعلت الرؤوس تندر عن كواهلها، وقد ذكر ذلك في غير موضع من كتابه، كقوله : ﴿فاعبده وتوكل عليه ﴾ [هود : ١٢٣] . وقوله تعالى : ﴿عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [هود : ٨٨] ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا ذبح أضحيته يقول : " اللهم منك ولك " .وأعظم عون لولي الأمر خاصة، ولغيره عامة، ثلاثة أمور :أحدها : الإخلاص لله، والتوكل عليه بالدعاء وغيره . وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والبدن .الثاني : الإحسان إلى الخلق، بالنفع والمال الذي هو الزكاة .الثالث : الصبر على أذي الخلق وغيره من النوائب .ولهذا يجمع الله بين الصلاة والصبر كثيرا، كقوله تعالى : ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وكقوله تعالى :." (٢)

"ص -٣٩- فصل: العبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارا إليه كان أقرب إليه وأعز عليهوالعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارا إليه وخضوعا له، كان أقرب إليه، وأعز له، وأعظم لقدره، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله . وأما المخلوق فكما قيل : احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره، ولقد صدق القائل :بين التذلل والتدلل نقطة فى رفعها تتحير الأفهامذاك التذلل شرك فافهم يا فتى بالخلففأعظم ما يكون العبد

---

(١) مجموع الفتاوى /١١٦

(٢) مجموع الفتاوى /١٢١

قدرا وحرمة عند الخلق، إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم، كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتى احتجت إليهم ولو فى شربة ماء نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم، وهذا من حكمة الله ورحمته، ليكون الدين كله لله، ولا يشرك به شىء .ولهذا قال حاتم الأصم لما سئل : فيم السلامة من الناس ؟ قال : أن يكون شيئك لهم مبذولا وتكون من شيئهم آيسا، لكن إن كنت معوضا لهم عن ذلك وكانوا محتاجين، فإن تعادلت الحاجتان تساويتم كالمتبايعين ليس لأحدهما فضل على الآخر، وإن كانوا إليك أحوج خضعوا لك .فالرب سبحانه أكرم ما تكون عليه أحوج ما تكون إليه، وأفقر ما تكون." (١)

"ص –٨٦– فصل: جماع الحسنات العدل، وجماع السيئات الظلمقد كتبت فيما تقدم فى مواضع قبل بعض القواعد، وآخر مسودة الفقه : أن جماع الحسنات العدل، وجماع السيئات الظلم، وهذا أصل جامع عظيم .وتفصيل ذلك : أن الله خلق الخلق لعبادته، فهذا هو المقصود المطلوب لجميع الحسنات، وهو إخلاص الدين كله لله، وما لم يحصل فيه هذا المقصود، فليس حسنة مطلقة مستوجبة لثواب الله فى الآخرة، وإن كان حسنة من بعض الوجوه له ثواب فى الدنيا، وكل ما نهى عنه فهو زيغ وانحراف عن الاستقامة، ووضع للشىء فى غير موضعه فهو ظلم .ولهذا؛ جمع بينهما سبحانه فى قوله : ﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾ [الأعراف : ٢٩] فهذه الآية فى سورة الأعراف المشتملة على أصول الدين، والاعتصام بالكتاب، وذم الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، كالشرك وتحريم الطيبات، أو خالفوا ما شرعه الله من أمور دينهم؛ كإبليس، ومخالفى الرسل من قوم نوح إلى قوم فرعون، والذين بدلوا الكتاب من أهل الكتاب، فاشتملت السورة على ذم من أتى بدين باطل ككفار العرب، ومن خالف الدين الحق كله كالكفار بالأنبياء، أو بعضه ككفار أهل الكتاب .وقد جمع سبحانه فى هذه السورة وفى الأنعام وفى غيرهما ذنوب المشركين فى نوعين:." (٢)

"ص –٨٩– فالله سبحانه هو المستحق أن يعبد لذاته، قال تعالى : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة : ٢] ، فذكر " الحمد " بالألف واللام التى تقتضى الاستغراق لجميع المحامد، فدل على أن الحمد كله لله، ثم حصره فى قوله : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة : ٥] . فهذا تفصيل لقوله : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ . فهذا يدل على أنه لا معبود إلا الله، وأنه لا يستحق أن يعبد أحد سواه، فقوله : ﴿إياك نعبد﴾ إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته : من المحبة والخوف، والرجاء، والأمر، والنهى . ﴿وإياك نستعين﴾ إشارة إلى ما اقتضته الربوبية،من التوكل والتفويض والتسليم؛ لأن الرب سبحانه وتعالى هو المالك، وفيه أيضا معنى الربوبية والإصلاح، والمالك الذى يتصرف فى ملكه كما يشاء .فإذا ظهر للعبد من سر الربوبية أن الملك والتدبير كله بيد الله تعالى، قال تعالى : ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ [الملك : ١] فلا يرى نفعا، ولا ضرا، ولا حركة، ولا سكونا، ولا قبضا، ولا بسطا، ولا خفضا، ولا رفعا، إلا والله سبحانه وتعالى فاعله، وخالقه، وقابضه، وباسطه، ورافعه، وخافضه . فهذا الشهود هو سر الكلمات الكونيات، وهو علم صفة

(١) مجموع الفتاوى ٦/٤

(٢) مجموع الفتاوى ٩/٨

الربوبية . والأول هو علم صفة الإلهية وهو كشف سر الكلمات التكليفيات .فالتحقيق بالأمر والنهى، والمحبة والخوف والرجاء، يكون عن كشف علم الإلهية .والتحقيق بالتوكل والتفويض والتسليم يكون بعد كشف علم الربوبية." (١)

"فتعين أن الأمر كله عائد إلى تحقيق التوحيد، وأنه لا ينفع أحد ولا يضر إلا بإذن الله، وأنه لا يجوز أن يعبد أحد غير الله، ولا يستعان به من دون الله، وأنه يوم القيامة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله لله، ويتبرأ كل مدع من." (٢)

"ص -٢٩٥- وأكرمهم على الله تعالى أنه يأتى فيسجد ويحمد، لا يبدأ بالشفاعة حتى يؤذن له، فيقال له . ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، وذكر أن ربه يحد له حدا فيدخلهم الجنة .وهذا كله يبين أن الأمر كله لله، هو الذى يكرم الشفيع بالإذن له فى الشفاعة، والشفيع لا يشفع إلا فيمن يأذن الله له، ثم يحد للشفيع حدا فيدخلهم الجنة . فالأمر بمشيئته وقدرته واختياره . وأوجه الشفعاء وأفضلهم هو عنده الذى فضله على غيره واختاره واصطفاه بكمال عبوديته وطاعته وإنابته، وموافقته لربه فيما يحبه ويرضاه .وإذا كان الإقسام بغير الله والرغبة إليه وخشيته وتقواه ونحو ذلك هى من الأحكام التى اشتركت المخلوقات فيها، فليس لمخلوق أن يقسم به . ولا يتقى ولا يتوكل عليه وإن كان أفضل المخلوقات، ولا يستحق ذلك أحد من الملائكة والنبيين، فضلا عن غيرهم من المشايخ والصالحين .فسؤال الله تعالى بالمخلوقات . إن كان بما أقسم به وعظمه من المخلوقات فيسوغ السؤال بذلك كله، وإن لم يكن سائغا لم يجز أن يسأل بشىء من ذلك، والتفريق فى ذلك بين معظم ومعظم، كتفريق من فرق فزعم أنه يجوز الحلف ببعض المخلوقات دون بعض، وكما أن هذا فرق باطل فكذلك الآخر .ولو فرق مفرق بين ما يؤمن به، وبين ما لا يؤمن به، قيل له . فيجب الإيمان بالملائكة والنبيين، ويؤمن بكل ما أخبر به الرسول مثل منكر ونكير، والحور." (٣)

"ص -٣٣١- وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو على قوم من الكفار أو يلعنهم في القنوت، فلما أنزل الله هذه الآية ترك ذلك، فعلم أن معناها إفراد الرب تعالى بالأمر، وأنه ليس لغيره أمر، بل إن شاء الله تعالى قطع طرفا من الكفار، وإن شاء كبتهم فانقلبوا بالخسارة، وإن شاء تاب عليهم وإن شاء عذبهم .وهذا كما قال في الآية الأخرى : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾ ﴿ قل إن **الأمر كله لله** ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .الوجه الثاني : أن قوله : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [الأنفال : ١٧] لم يرد به أن فعل العبد هو فعل الله تعالى كما تظنه طائفة من الغالطين فإن ذلك لو كان صحيحا لكان ينبغي أن يقال لكل أحد، حتى يقال للماشي : ما مشيت إذ مشيت ولكن الله مشى، ويقال للراكب : وما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب، ويقال للمتكلم : ما تكلمت إذ تكلمت ولكن الله تكلم، ويقال مثل ذلك للآكل والشارب، والصائم والمصلي

(١) مجموع الفتاوى ٣/١٠

(٢) مجموع الفتاوى ٧/١٢

(٣) مجموع الفتاوى ١٦٩/١٤

ونحو ذلك .وطرد ذلك يستلزم أن يقال للكفار : ما كفرت إذ كفرت ولكن الله كفر، ويقال للكاذب : ما كذبت إذ كذبت ولكن الله كذب .ومن قال مثل هذا فهو كافر ملحد، خارج عن العقل والدين .." (١)

"ص -٣٨٩- لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان " وصار هذا العبد دينه كله لله، وأتى بما خلق له من العبادة .فقد اتحدت أحكام هذه الصفات التي له وأسبابها بأحكام صفات الرب وأسبابها .وهم في ذلك على درجات، فإن كان نبيا كان له من الموافقة لله ما ليس لغيره، والمرسلون فوق ذلك، وأولو العزم أعظم، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم له الوسيلة العظمى في كل مقام .فهذه الموافقة هي الاتحاد السائغ، سواء كان واجبا أو مستحبا، وفي مثل هذا جاءت نصوص الكتاب والسنة . قال الله تعالى : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ﴾ [الفتح : ١٠] ، وقال : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ [التوبة : ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء : ٨٠] ، وقال تعالى : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله ﴾ [الأحزاب : ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ أحب إليكم من الله ورسوله ﴾ [التوبة : ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ قل الأنفال لله والرسول ﴾ [الأنفال : ١] .ومن هذا الباب قول المسيح إن ثبت هذا اللفظ عنه : " أنا وأبي واحد، من رآني فقد رأى أبي " ونحو ذلك، فإنه مثل قوله تعالى : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾ ، وقوله : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ونحو ذلك من اللفظ الذي فيه تشابه .." (٢)

"ص -٤٦٤- وقد كتبت في ذلك كتابا ربما يرسل إلى الشيخ، وقد كتب سيدنا الشيخ عماد الدين في ذلك رسائل، والله تعالى يعلم وكفى به عليما لولا أني أرى دفع ضرر هؤلاء عن أهل طريق الله تعالى، السالكين إليه من أعظم الواجبات وهو شبيه بدفع التتار عن المؤمنين لم يكن للمؤمنين بالله ورسوله حاجة إلى أن تكشف أسرار الطريق، وتهتك أستارها، ولكن الشيخ أحسن الله تعالى إليه يعلم أن مقصود الدعوة النبوية، بل المقصود بخلق الخلق، وإنزال الكتب، وإرسال الرسل : أن يكون الدين كله لله، هو دعوة الخلائق إلى خالقهم بما قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ [الأحزاب : ٤٥، ٤٦] ، وقال سبحانه : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، وقال تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ [الشورى : ٥٢، ٥٣] . وهؤلاء موهوا على السالكين التوحيد الذيأنزل الله تعالى به الكتب، وبعث به الرسل بالاتحاد الذي سموه توحيدا، وحقيقته تعطيل الصانع وجحود الخالق .وإنما كنت قديما ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه، لما رأيت في كتبه من الفوائد مثل كلامه في كثير من [الفتوحات] ، والكنة، والمحكم المربوط والدرة الفاخرة، ومطالع النجوم، ونحو ذلك . ولم نكن بعد اطلعنا على." (٣)

"ص -٢٣٨- الفقير، وليس بين الرب والعبد إلا محض العبودية، فكلما كملها قرب العبد إليه؛ لأنه ـ سبحانه ـ بر، جواد محسن، يعطي العبد ما يناسبه، فكلما عظم فقره إليه كان أغنى، وكلما عظم ذله له كان أعز؛ فإن النفس ـ لما فيها من

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ٢٦/٢٩

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/١٤

أهوائها المتنوعة وتسويل الشيطان لها ـ تبعد عن الله حتى تصير ملعونة بعيدة من الرحمة . و [اللعنة] هي البعد؛ ومن أعظم ذنوبها إرادة العلو في الأرض، والسجود فيه غاية سفولها؛ قال تعالى : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر : ٦٠] .وفي الصحيح : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) وقال لإبليس : ﴿ فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ [الأعراف : ١٣] ، وقال : ﴿ وكلمة الله هي العليا﴾ [التوبة : ٤٠] ، فهذا وصف لها ثابت . لكن من أراد أن يعلى غيرها جوهد، وقال : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) و [كلمة الله] هي خبره، وأمره، فيكون أمره مطاعا مقدما على أمر غيره، وخبره مصدق مقدم على خبر غيره، وقال : ﴿ ويكون الدين كله لله﴾ [الأنفال : ٣٩] و [الدين] هو العبادة والطاعة والذل، ونحو ذلك، يقال : دنته فدان : أي ذللته فذل . كما قيل :هو دان الرباب أذكر هو الديـ ن دراكا بغزوة وصيالثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عقوبة الأقوال." (١)

"ص -٢١٩- موسى قال تعالى : ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ﴾ الآية [البقرة : ٩١] ، وقال : ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ [البينة : ٤] ، وقال : ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ [الشورى : ١٤] ؛ ولهذا أخبر عنهم بنظير ما أخبر به عن فرعون، وسلط عليهم من انتقم به منهم، فقال تعالى عن فرعون : ﴿إن فرعون علا في الأرض ﴾ الآية [القصص : ٤] ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ [القصص : ٣٨] .والله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته ليذكروه ويشكروه ويعبدوه، وأرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده، ويكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال : ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، وقد أمر الرسل كلهم بهذا، وألا يتفرقوا فيه فقال : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٩٢] ، وقال : ﴿ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ الآية [المؤمنون : ٥١، ٥٢] .." (٢)

"ص -٣٣٥- أوذي على جهاده بيد غيره أو لسانه فأجره في ذلك على الله لا يطلب من هذا الظالم عوض مظلمته، بل هذا الظالم إن تاب وقبل الحق الذي جوهد عليه فالتوبة تجب ما قبلها ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ [الأنفال : ٣٨] ، وإن لم يتب بل أصر على مخالفة الكتاب والسنة، فهو مخالف لله ورسوله، والحق في ذنوبه لله ولرسوله، وإن كان أيضا للمؤمنين حق تبعا لحق الله، وهذا إذا عوقب عوقب لحق الله ولتكون كلمة الله هي العليا، ويكون **الدين كله لله لا** لأجل القصاص فقط .والكفار إذا اعتدوا على المسلمين مثل أن يمثلوا بهم، فللمسلمين أن يمثلوا بهم كما مثلوا، والصبر أفضل، وإذا مثلوا كان ذلك من تمام الجهاد، والدعاء على جنس الظالمين الكفار مشروع مأمور به، وشرع

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٧٦

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥/١٢٧

القنوت والدعاء للمؤمنين، والدعاء على الكافرين .وأما الدعاء على معينين، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يلعن فلانا وفلانا، فهذا قد روى أنه منسوخ بقوله : ﴿ليس لك من الأمر شيء ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع، فيما كتبته في قلعة مصر؛ وذلك لأن المعين لا يعلم أن رضى الله عنه أن يهلك، بل قد يكون ممن يتوب الله عليه، بخلاف الجنس، فإنه إذا دعى عليهم بما فيه عز الدين وذل عدوه وقمعهم كان هذا دعاء بما يحبه الله ويرضاه، فإن الله يحب الإيمان وأهل الإيمان وعلو أهل الإيمان وذل الكفار، فهذا دعاء بما يحب الله، وأما الدعاء على المعين بما لا يعلم أن الله." (١)

"ص -٢٦٤- وأحوال يكون فيها أفضل من الفاضل، لكن أول الدين وآخره وظاهره وباطنه هو التوحيد، وإخلاص **الدين كله لله هو** تحقيق قول لا إله إلا الله .فإن المسلمين وإن اشتركوا في الإقرار بها، فهم متفاضلون في تحقيقها تفاضلا لا نقدر أن نضبطه، حتى إن كثيرا منهم يظنون أن التوحيد المفروض : هو الإقرار والتصديق بأن الله خالق كل شيء وربه، ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية، الذي أقر به مشركو العرب، وبين توحيد الإلهية، الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجمعون بين التوحيد القولي والعملي .فإن المشركين ما كانوا يقولون : إن العالم خلقه اثنان، ولا أن مع الله ربا ينفرد دونه بخلق شيء، بل كانوا كما قال الله عنهم : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ [لقمان : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، وقال تعالى : ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنا تسحرون ﴾ [المؤمنون : ٨٤ ٨٩] .وكانوا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة." (٢)

"ص -٢٦٧- فقد أطاع الله، فليس لأحد إذا أمره الرسول بأمر أن ينظر هل أمر الله به أم لا، بخلاف أولي الأمر فإنهم قد يأمرون بمعصية الله، فليس كل من أطاعهم مطيعا لله، بل لابد فيما يأمرون به أن يعلم أنه ليس معصية لله، وينظر هل أمر الله به أم لا، سواء كان أولى الأمر من العلماء أو الأمراء، ويدخل في هذا تقليد العلماء وطاعة أمراء السرايا وغير ذلك؛وبهذا يكون الدين كله لله، قال تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له : يا رسول الله، الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " .ثم إن كثيرا من الناس يحب خليفة أو عالما أو شيخا أو أميرا، فيجعله ندا لله، وإن كان قد يقول : إنه يحبه لله .فمن جعل غير الرسول تجب طاعته في كل ما يأمر به، وينهى عنه، وإن خالف أمر الله ورسوله، فقد جعله ندا، وربما صنع به كما تصنع النصارى بالمسيح، ويدعوه ويستغيث به، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه مع إيجابه طاعته في كل ما يأمر به، وينهى عنه، ويحلله ويحرمه، ويقيمه مقام الله ورسوله،

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٤/١٣٣

(٢) مجموع الفتاوى ٢٩/١٥٩

فهذا من الشرك الذي يدخل أصحابه في قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] .." (١)

"ص -٣٧٤- ولهذا يعاقب الداعية إلى البدع، بما لا يعاقب به الساكت، ويعاقب من أظهر المنكر بما لا يعاقب به من استخفى به، ونمسك عن عقوبة المنافق في الدين، وإن كان في الدرك الأسفل من النار .وهذا لأن الأصل، أن تكون العقوبة من فعل الله تعالى فإنه الذي يجزي الناس على أعمالهم في الآخرة، وقد يجزيهم أيضا في الدنيا . وأما نحن، فعقوبتنا للعباد بقدر ما يحصل به أداء الواجبات، وترك المحرمات بحسب إمكاننا، كما قال صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " وقال تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، وقال : ﴿والفتنة أكبر من القتل ﴾ [البقرة : ٢١٧] .ولهذا من تاب من الكفار، والمحاربين، وسائر الفساق قبل القدرة عليه سقطت عنه العقوبة التي لحق الله، فإذا أسلم الحربي قبل القدرة عليه عصم دمه، وأهله، وماله، وكذلك قاطع الطريق، والزاني والسارق، والشارب إذا تابوا قبل القدرة عليهم؛ لحصول المقصود بالتوبة وأما إذا تابوا بعد القدرة لم تسقط العقوبة كلها؛ لأن ذلك يفضي إلى تعطيل الحدود وحصول الفساد؛ ولأن هذه التوبة غير موثوق بها؛ ولهذا إذا أسلم الحربي عند القتال صح إسلامه؛ لأنه أسلم قبل القدرة عليه،." (٢)

"ص -٦٠١- قال لأصحابه : "الفقر تخافون ؟ ! لا أخاف عليكم الفقر، إنما أخاف عليكم الدنيا، حتى إن قلب أحدكم إذا زاغ لا يزيغه إلا هي " .وكذلك الذين يحبون العبد كأصدقائه، والذين يبغضونه كأعدائه، فالذين يحبونه يجذبونه إليهم . فإذا لم تكن المحبة منهم له لله، كان ذلك مما يقطعه عن الله، والذين يبغضونه يؤذونه ويعادونه فيشغلونه بأذاهم عن الله، ولو أحسن إليه أصدقاؤه الذين يحبونه، لغير الله أوجب إحسانهم إليه محبته لهم، وإنجذاب قلبه إليهم . ولو كان على غير الاستقامة، وأوجب مكافأته لهم، فيقطعونه عن الله وعبادته .فلا تزول الفتنة عن القلب، إلا إذا كان دين **العبد كله لله** **عز** وجل، فيكون حبه لله ولما يحبه الله، ويبغضه لله، ولما يبغضه الله، وكذلك موالاته ومعاداته، وإلا فمحبة المخلوق تجذبه، وحب الخلق له سبب يجذبهم به إليه، ثم قد يكون هذا أقوى، وقد يكون هذا أقوى، فإذا كان هو غالبا لهواه لم يجذبه مغلوب مع هواه، ولا محبوباته إليها؛ لكونه غلبا لهواه ناهيا لنفسه عن الهوى، لما في قلبه من خشية الله، ومحبته التي تمنعه عن انجذابه إلى المحبوبات .وأما حب الناس له، فإنه يوجب أن يجذبوه هم بقوتهم إليهم، فإن لم يكن فيه قوة يدفعهم بها عن نفسه من محبة الله، وخشيته." (٣)

"ص -٧٢٤- وهو ما يصيبهم من العطش والجوع والتعب، وما يحصل للكفار بهم من الغيظ، وما ينالونه من العدو . وقال : ﴿كتب لهم به عمل صالح ﴾ ، فأخبر أن هذه الأمور التي تحدث وتتولد من فعلهم وفعل آخر منفصل عنهم

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٢/١٥٩
(٢) مجموع الفتاوى ٣٢/١٦١
(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/١٦٧

يكتب لهم بها عمل صالح، وذكر في الآية الثانية نفس أعمالهم المباشرة التي باشروها بأنفسهم : وهي الإنفاق، وقطع المسافة، فلهذا قال فيها : ﴿إلا كتب لهم ﴾ فإن هذه نفسها عمل صالح، وإرادتهم في الموضعين جازمة على مطلوبهم الذي هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فما حدث مع هذه الإرادة الجازمة من الأمور التي تعين فيها قدرتهم بعض الإعانة هي لهم عمل صالح .وكذلك الداعي إلى الهدى والضلالة، لما كانت إرادته جازمة كاملة في هدي الأتباع وضلالهم، وأتى من الإعانة على ذلك بما يقدر عليه، كان بمنزلة العامل الكامل، فله من الجزاء مثل جزاء كل من اتبعه : للهادي مثل أجور المهتدين، وللمضل مثل أوزار الضالين وكذلك السان سنة حسنة وسنة سيئة؛ فإن السنة هي ما رسم للتحري، فإن السان كامل الإرادة لكل ما يفعل من ذلك، وفعله بحسب قدرته .ومن هذا : قوله في الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل " ، فالكفل." (١)

"ص -٧٥٤- والمقصود هنا أن المحبة التامة لله ورسوله تستلزم وجود محبوباته؛ ولهذا جاء في الحديث الذي في الترمذي : "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان " ، فإنه إذا كان حبه لله، وبغضه لله، وهما عمل قلبه، وعطاؤه لله، ومنعه لله، وهما عمل بدنه؛ دل على كمال محبته لله، ودل ذلك على كمال الإيمان؛ وذلك أن كمال الإيمان أن يكون الدين كله لله، وذلك عبادة الله وحده لا شريك له، والعبادة تتضمن كمال الحب، وكمال الذل، والحب مبدأ جميع الحركات الإرادية، ولابد لكل حي من حب وبغض، فإذا كانت محبته لمن يحبه الله، وبغضه لمن يبغضه الله؛ دل ذلك على صحة الإيمان في قلبه، لكن قد يقوى ذلك وقد يضعف، بما يعارضه من شهوات النفس وأهوائها، الذي يظهر في بذل المال الذي هو مادة النفس، فإذا كان حبه لله، وعطاؤه لله، ومنعه لله؛ دل على كمال الإيمان باطنا وظاهرا .وأصل الشرك في المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا إنما هو اتخاذ أنداد يحبونه كحب الله، كما قال تعالى : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، ومن كان حبه لله وبغضه لله، لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، فهذه حال السابقين من أولياء الله كما روى البخاري." (٢)

"ص -٤٩٧- فصلوأما ما ذكروا من غلوهم في الشيوخ : فيجب أن يعلم أن الشيوخ الصالحين الذين يقتدى بهم في الدين هم المتبعون لطريق الأنبياء والمرسلين كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ومن له في الأمة لسان صدق وطريقة هؤلاء دعوة الخلق إلى الله، وإلى طاعته وطاعة رسوله، واتباع كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .والمقصود أن يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا . فإن الله تعالى يقول : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [الذاريات : ٥٦ : ٥٨] .والرسل أمروا الخلق ألا يعبدوا إلا الله، وأن يخلصوا له الدين، فلا يخافون غيره، ولا يرجون سواه، ولا يدعون إلا إياه . قال

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/١٧٤

(٢) مجموع الفتاوى ٣٦/١٧٤

تعالى : ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ [الجن : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ [النور : ٥٢] ،." (١)

"ص -٥٢٢- وقال الله تعالى : ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ﴾ [الأنعام : ٥١] وقال الله تعالى : ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ٧٩، ٨٠] .والله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب؛ ليكون **الدين كله لله وقال** النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح " إنا معشر الأنبياء ديننا واحد " فالدين واحد وإن تفرقت الشرعة والمنهاج قال الله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .وقال تعالى : ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ [الزخرف : ٤٥] وقال الله تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] .ومن حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ما يقبل من أحد بلغته الدعوة إلا الدين الذي بعثه به؛ فإن دعوته عامة لجميع الخلائق قال الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾ [سبأ : ٢٨] .وقال صلى الله عليه وسلم : " لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن." (٢)

"ص -٦١٧-والكافر إن كان من أهل الذمة فله حكم أمثاله، وإن كان من أهل الحرب فله حكم أمثاله، ويجب الإنكار على هذا المبتدع وأمثاله بحسن قصد، بحيث يكون المقصود طاعة الله ورسوله، لا اتباع هوى، ولا منافسة ولا غير ذلك . قال الله تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] .فالمقصود أن يكون الدين كله لله، ولا دين إلا ماشرعه الله تعالى على ألسن رسله، وفي الصحيحين : أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له : يارسول الله، الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء . فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله " فيكون المقصود علو كلمة الله، وظهور دين الله . وأن يعلم المسلمون كلهم إن ما عليه المبتدعون المراؤون ليس من الدين، ولا من فعل عباد الله الصالحين، بل من فعل أهل الجهل والضلال والإشراك بالله تعالى، الذين يخرجون عن توحيده، وإخلاص الدين له، وعن طاعة رسله .و [أصل الإسلام] : أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله . فمن طلب بعباداته الرياء والسمعة، فلم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله،." (٣)

"ص -٦٨٢- فلولا أن حسن التوحيد، وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وقبح الشرك ثابت في نفس الأمر، معلوم بالعقل، لم يخاطبهم بهذا إذ كانوا لم يفعلوا شيئا يذمون عليه، بل كان فعلهم كأكلهم وشربهم، وإنما كان قبيحا بالنهي، ومعني قبحه كونه منهيا عنه، لا لمعنى فيه، كما تقوله المجبرة .وأيضا، ففي القرآن في مواضع كثيرة يبين لهم قبح ما هم عليه

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩٥/٦

(٢) مجموع الفتاوى ١٩٥/٣٢

(٣) مجموع الفتاوى ١٩٩/٣٣

من الشرك وغيره بالأدلة العقلية، ويضرب لهم الأمثال، كقوله تعالى : ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون ﴾ وقوله : ﴿أفلا تتقون ﴾ وقوله : ﴿فأنى تسحرون ﴾ [المؤمنون : ٨٤-٨٩] . فهذا يقتضي أن اعترافهم بأن الله هو الخالق يوجب انتهاءهم عن عبادتها، وأن عبادتها من القبائح المذمومة، ولكن هؤلاء يظنون أن الشرك هو اعتقاد أن ثم خالق آخر، وهذا باطل، بل الشرك عبادة غير الله، وإن اعترف المشرك بأنه مخلوق .وقوله : إنه كله لله، كذب مفترى وإن قال : إنه مخلوق . ومثل هذا كثير في القرآن . كقوله : ﴿ أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها." (١)

"ص -١٩٣- وهارون يوافق القرآن أو يخالفه ؟ فقال : لا بل يخالفه، قلت : فاختر لنفسك إما القرآن وإما كلام ابن عربي .وكذلك قال عن نوح قال : لو أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه؛ أي ذكر لهم فدعاهم جهارا ثم دعاهم إسرارا إلى أن قال : ولما علموا أن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو؛ لأنه ما عدم من البداية فيدعى إلى الغاية ﴿أدعو إلى الله ﴾ فهذا عين المكر ﴿على بصيرة ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، فنبه أن **الأمر كله لله فأجابوه** مكرا كما دعاهم، فجاء المحمدي وعلم أن الدعوة إلى الله ما هي من حيث هويته، وإنما هي من حيث أسمائه، فقال : ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ﴾ [مريم : ٨٥] فجاء بحرف الغاية وقرنها بالاسم، فعرفنا أن العالم كان تحت حيطة اسم إلهي أوجب عليهم أن يكونوا متقين، فقالوا في مكرهم : ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ [نوح : ٢٣] فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء؛ فإن للحق في كل معبود وجها يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله، كما قال في المحمديين : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ [الإسراء : ٢٣] أي حكم، فالعارف يعرف من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وإن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عبد غير الله في كل معبود .." (٢)

"ص -١١- أن يكون الدين كله لله، وإن كان مقصوده ذلك فلا يكون متبعا لشريعة الله عز وجل ومنهاجه، بل قصده نوع سلطان فى العالم، إما سلطان قدرة وتأثير، وإما سلطان كشف وإخبار، أو قصده طلب ما يريده ودفع ما يكرهه بأي طريق كان، أو مقصوده نوع عبادة وتأله بأي وجه كان همته فى الاستعانة والتوكل المعينة له على مقصوده، فيكون إما جاهلا وإما ظالما تاركا لبعض ما أمره الله به، راكبا لبعض ما نهى الله عنه، وهذه حال كثير ممن يتأله ويتصوف ويتفقر، ويشهد قدر الله وقضاءه، ولا يشهد أمر الله ونهيه، ويشهد قيام الأكوان بالله وفقرها إليه، وإقامته لها ولا يشهد ما أمر به وما نهى عنه، وما الذي يحبه الله منه ويرضاه، وما الذي يكرهه منه ويسخطه .ولهذا يكثر في هؤلاء من له كشف وتأثير وخرق عادة مع انحلال عن بعض الشريعة، ومخالفة لبعض الأمر، وإذا أوغل الرجل منهم دخل فى الإباحية والانحلال، وربما صعد إلى فساد التوحيد فيخرج إلى الاتحاد والحلول المقيد، كما قد وقع لكثير من الشيوخ، ويوجد فى كلام صاحب " منازل

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٢٠٢

(٢) مجموع الفتاوى ١٩٨/٢٢١

السائرين " وغيره ما يفضي إلى ذلك .وقد يدخل بعضهم فى " الاتحاد المطلق والقول بوحدة الوجود " فيعتقد أن الله هو الوجود المطلق، كما يقول صاحب " الفتوحات المكية " في أولها :." (١)

"ص -١١٢- قلت : هذا المرفوع هو والله أعلم بيان ما يعاقب به المؤمن فى الدنيا؛ وليس فيه أن كل ما أخفاه يعاقب به، بل فيه أنه إذا عوقب على ما أخفاه عوقب بمثل ذلك، وعلى هذا دلت الأحاديث الصحيحة .وقد روى الرويانى [أبو بكر محمد بن هارون الرويانى، من حفاظ الحديث، له مسند، وتصانيف فى الفقه . نسبته إلى رويان بنواحى طبرستان، وتوفى سنة ٣٠٧هـ] فى مسنده من طريق الليث عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعيد ابن سنان، عن أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه العقوبة بذنبه حتى يوافيه بها يوم القيامة " ، وقد قال تعالى : ﴿ فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طآئفة منكم وطآئفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن **الأمر كله لله يخفون** في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ [آل عمران : ١٥٣، ١٥٤] .فهؤلاء كانوا فى ظنهم ظن الجاهلية ظنا ينافى اليقين بالقدر، وظنا ينافى بأن الله ينصر رسوله، فكان عقابهم على ترك اليقين ووجود الشك، وظن الجاهلية، ومثل هذا كثير .." (٢)

"ص -٣٠٠- كما أنه إذا قيل : محمد وأمته يسفكون الدماء، ويفسدون فى الأرض، كان هذا ذما لهم، وكان باطلا . وإذا قيل : يجاهدون في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، ويقتلون من منعهم من ذلك، كان هذا مدحا لهم، وكان حقا .فإذا قيل : إن الرب ـ تبارك وتعالى ـ حكيم رحيم، أحسن كل شيء خلقه، وأتقن ما صنع، وهو أرحم الراحمين، أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والخير كله بيديه، والشر ليس إليه، بل لا يفعل إلا خيرا، وما خلقه من ألم لبعض الحيوانات أو من أعمالهم المذمومة، فله فيها حكمة عظيمة، ونعمة جسيمة .كان هذا حقا، وهو مدح للرب وثناء عليه .وأما إذا قيل : إنه يخلق الشر الذي لا خير فيه ولا منفعة لأحد، ولا له فيها حكمة ولا رحمة، ويعذب الناس بلا ذنب . لم يكن هذا مدحا للرب، ولا ثناء عليه، بل كان بالعكس .ومن هؤلاء من يقول : إن الله تعالى أضر على خلقه من إبليس .وبسط القول فى بيان فساد قول هؤلاء له موضع آخر .وقد بينا بعض ما فى خلق جهنم وإبليس والسيئات من الحكمة." (٣)

"ص -٣٢٦- وقال تعالى : ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ [الشورى : ١٤] .ولهذا أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم بنظير ما أخبر به عن فرعون، وسلط عليهم من انتقم به منهم، فقال تعالى عن فرعون : ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ [القصص

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٢٣٢

(٢) مجموع الفتاوى ٧٥/٢٣٣

(٣) مجموع الفتاوى ١٣٩/٢٣٤

: ٤] ، وقال تعالى عنهم : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ [الإسراء : ٤] ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ﴾ [القصص : ٨٣] .والله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما خلق الخلق لعبادته، ليذكروه ويشكروه ويعبدوه، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب ليعبدوا الله وحده، وليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، كما أرسل كل رسول بمثل ذلك، قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ [الزخرف : ٤٥] .وقد أمر الله الرسل كلهم بهذا، وألا يتفرقوا فيه، فقال :." (١)

"ص –٣٢٨– وأمر الله الرسل أن تكون ملتهم ودينهم واحدا، لا يتفرقون فيه، كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنا معشر الأنبياء ديننا واحد " ، وقد قال الله تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [الشورى : ١٣] ؛ ولهذا كان جميع رسل الله وأنبيائه يصدق بعضهم بعضا، لا يختلفون، مع تنوع شرائعهم .فمن كان من المطاعين ـ من العلماء والمشايخ والأمراء والملوك ـ متبعا للرسل : أمر بما أمروا به، ودعا إلى ما دعوا إليه، وأحب من دعا إلى مثل ما دعا إليه، فإن الله يحب ذلك، فيحب ما يحبه الله تعالى، وهذا قصده فى نفس الأمر أن تكون العبادة لله ـ تعالى ـ وحده، وأن يكون **الدين كله لله** .وأما من كان يكره أن يكون له نظير يدعو إلى ذلك، فهذا يطلب أن يكون هو المطاع المعبود، فله نصيب من حال فرعون وأشباهه .فمن طلب أن يطاع دون الله، فهذا حال فرعون، ومن طلب أن يطاع مع الله، فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا." (٢)

"ص –٣٢٩– يحبونهم كحب الله . والله ـ سبحانه وتعالى ـ أمر ألا يعبد إلا إياه، وألا يكون الدين إلا له، وأن تكون الموالاة فيه، والمعاداة فيه، وألا يتوكل إلا عليه، ولا يستعان إلا به .فالمؤمن المتبع للرسل يأمر الناس بما أمرتهم به الرسل، ليكون الدين كله لله، لا له، وإذا أمر أحد غيره بمثل ذلك أحبه وأعانه، وسر بوجود مطلوبه .وإذا أحسن إلى الناس، فإنما يحسن إليهم ابتغاء وجه ربه الأعلى، ويعلم أن الله قد من عليه بأن جعله محسنا، ولم يجعله مسيئا، فيرى أن عمله لله، وأنه بالله .وهذا مذكور فى فاتحة الكتاب، التي ذكرنا أن جميع الخلق محتاجون إليها أعظم من حاجتهم إلى أي شيء .ولهذا فرضت عليهم قراءتها فى كل صلاة دون غيرها من السور ولم ينزل فى التوراة، ولا في الإنجيل، ولا فى الزبور، ولا في القرآن مثلها، فإن فيها : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥]فالمؤمن يرى أن عمله لله؛ لأنه إياه يعبد، وأنه بالله؛ لأنه." (٣)

"ص –٣٨٢– فالأمر كله إليه وحده، فلا شريك له بوجه، ولهذا ذكر ـ سبحانه ـ نفى ذلك فى آية الكرسى، التي فيها تقرير التوحيد، فقال : ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦٥/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ١٦٧/٢٣٤

(٣) مجموع الفتاوى ١٦٨/٢٣٤

.وسيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، إذا سجد وحمد ربه، يقال له : " ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فيحد له حدا، فيدخلهم الجنة " . فالأمر كله لله، كما قال : ﴿ قل إن **الأمر كله لله** ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، وقال لرسوله : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، وقال : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ [الأعراف : ٥٤] . فإذا كان لا يشفع عند الله أحد إلا بإذنه، فهو يأذن لمن يشاء، ولكن يكرم الشفيع بقبول الشفاعة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : " اشفعوا تؤجروا، ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء " .وإذا دعاه الداعى، وشفع عنده الشفيع، فسمع الدعاء، وقبل الشفاعة لم يكن هذا مؤثرا فيه، كما يؤثر المخلوق فى المخلوق؛ فإنه ـ سبحانه ـ هو الذى جعل هذا يدعو وهذا يشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذى وفق العبد للتوبة ثم قبلها وهو الذى وفقه للعمل ثم أثابه عليه، وهو الذى وفقه للدعاء ثم أجابه، فما يؤثر فيه شىء." (١)

"ص –٣٨٧– شفاعته كانت كعدمها، وكان على صاحبها التوبة والاستغفار منها، كما قال نوح : ﴿ رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ [هود : ٤٧] ، وكما نهى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين، وقال له : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ [التوبة : ٨٤] ، وقال له : ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾ [المنافقون : ٦] ، ولهذا قال على لسان المشركين : ﴿ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٠، ١٠١] .فالشفاعة المطلوبة هى شفاعة المطاع الذى تقبل شفاعته، وهذه ليست لأحد عند الله تعالى إلا بإذنه قدرا وشرعا، فلابد أن يأذن فيها، ولابد أن يجعل العبد شافعا، فهو الخالق لفعله، والمبيح له، كما فى الداعى هو الذى أمره بالدعاء، وهو الذى يجعل الداعى داعيا، فالأمر كله لله، خلقا وأمرا، كما قال : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ [الأعراف : ٥٤] .وقد روى فى حديث ـ ذكره ابن أبى حاتم وغيره ـ أنه قال : " فمن يثق به، فليدعه " أى : فلم يبق لغيره لا خلق ولا أمر .ولما كان المراد الشفاعة المثبتة هى الشفاعة المطلقة، وهى المقصود بالشفاعة وهى المقبولة، بخلاف المردودة، فإن أحدا لا يريدها، لا." (٢)

"ص –٢٦– المنكر ؟ ! فهذا الصبر هو من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ كان الجهاد مقصودا به : أن تكون كلمة الله هي العليا وأن الدين كله لله، فالجهاد والصبر فيه أفضل الأعمال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه، وهو من حديث معاذ بن جبل الطويل، وهو أحب الأعمال إلى الله . فالصبر على تلك المعصية صبر المهاجر الذي هجر ما نهي عنه، وصبر المجاهد الذي جاهد نفسه في الله وجاهد عدو الله الظاهر والباطن، والمهاجر الصابر على ترك الذنب إنما جاهد نفسه وشيطانه، ثم يجاهد عدو الله الظاهر؛ لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، صبر المظلوم وصبر المصاب .لكن المصاب بمصيبة سماوية تصبر نفسه ما لا تصبر نفس من ظلمه الناس، فإن ذاك يستشعر أن الله هو الذي

(١) مجموع الفتاوى ٢٢٢/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢٧/٢٣٤

فعل به هذا، فتيأس نفسه من الدفع والمعاقبة وأخذ الثأر، بخلاف المظلوم الذي ظلمه الناس، فإن نفسه تستشعر أن ظالمه يمكن دفعه وعقوبته وأخذ ثأره منه، فالصبر على هذه المصيبة أفضل وأعظم كصبر يوسف صلوات الله عليه وسلامه وهذا يكون لأن صاحبه يعلم أن الله قدر ذلك فيصبر على ذلك كالمصائب السماوية، ويكون أيضا لينال ثواب الكاظمين الغيظ والعافين عن." (١)

"ص -٧٣- من صفاته . قال هؤلاء : صفات الله كلها متوافرة في الكمال، متناهية إلى غاية التمام، لا يلحق شيئا منها نقص بحال، ثم لما اعتقد هؤلاء أن التفاضل في صفات الله ممتنع، ظنوا أن القول بتفضيل بعض كلامه على بعض لا يمكن إلا على قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم القائلين بأنه مخلوق، فإنه إذا قيل : إنه مخلوق أمكن القول بتفضيل بعض المخلوقات على بعض، فيجوز أن يكون بعضه أفضل من بعض . قالوا : وأما على قول أهل السنة والجماعة الذين أجمعوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق فيمتنع أن يقع التفاضل في صفات الله القائمة بذاته .ولأجل هذا الاعتقاد؛ صار من يعتقده يذكر إجماع أهل السنة على امتناع التفضيل في القرآن كما قال أبو عبد الله بن الدراج في مصنف صنفه في هذه المسألة، قال : [أجمع أهل السنة على أن ما ورد في الشرع مما ظاهره المفاضلة بين آي القرآن وسوره ليس المراد به تفضيل ذوات بعضها على بعض؛ إذ هو كله كلام الله وصفة من صفاته، بل **هو كله لله فاضل** كسائر صفاته الواجب لها نعت الكمال] . وهذا النقل للإجماع هو بحسب ما ظنه لازما لأهل السنة، فلما علم أنهم يقولون : القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وظن هو أن المفاضلة إنما تقع في المخلوقات لا في الصفات، قال ما قال . وإلا فلا ينقل عن أحد من السلف والأئمة أنه أنكر فضل كلام الله بعضه على." (٢)

"ص -٤٩٣- ولو فتح الإمام بلدا وغلب على ظنه أن أهله يسلمون ويجاهدون جاز أن يمن عليهم بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مكة، فإنهم أسلموا كلهم بلا خلاف، بخلاف أهل خيبر فإنه لم يسلم منهم أحد، فأولئك قسم أرضهم؛ لأنهم كانوا كفارا مصرين على الكفر، وهؤلاء تركها لهم؛ لأنهم كلهم صاروا مسلمين، والمقصود بالجهاد : أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطى المؤلفة قلوبهم ليتألفهم على الإسلام، فكيف لا يتألفهم بابقاء ديارهم وأموالهم ؟ !وهم لما حضروا معه حنينا أعطاهم من غنائم حنين ما تألفهم به، حتى عتب بعض الأنصار، كما في الصحيحين عن أنس بن مالك : أن ناسا من الأنصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن : ما أفاء، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجالا من قريش المائة من الإبل، فقالوا : يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس : فحدث ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، فلما

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ٧٢/٢٣٨

اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ما حديث بلغني عنكم ؟ ! " فقال له فقهاء الأنصار : أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا، وأما أناس منا حديثة." (١)

"ص -٤٩- منهم، وأرفع قدرا في قلوب الأمة، فهذا كرز بن وبرة [هو كرز بن وبرة الحارثي، أبو عبد الله، تابعي، من أهل الكوفة، يضرب به المثل في التعبد، دخل جرجان غازيا مع يزيد بن المهلب سنة ٩٨هـ . ثم سكنها، وتوفي بها سنة ٧٢٨م] ، وكهمس، وابن طارق، يختمون القرآن في الشهر تسعين مرة، وحال ابن المسيب وابن سيرين والحسن وغيرهم في القلوب أرفع .وكذلك ترى كثيرا ممن لبس الصوف، ويهجر الشهوات، ويتقشف، وغيره ممن لا يدانيه في ذلك من أهل العلم والإيمان أعظم في القلوب، وأحلي عند النفوس، وما ذاك إلا لقوة المعاملة الباطنة وصفائها، وخلوصها من شهوات النفوس، وأكدار البشرية، وطهارتها من القلوب التي تكدر معاملة أولئك، وإنما نالوا ذلك بقوة يقينهم بما جاء به الرسول،وكمال تصديقه في قلوبهم، ووده ومحبته، وأن يكون الدين كله لله، فإن أرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وابتهاجها وسرورها، كما قال تعالى : ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ﴾ [الرعد : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ الآية [يونس : ٥٨] . ففضل الله ورحمته : القرآن والإيمان، من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه ووضع الفرح في غير موضعه .فإذا استقر في القلب، وتمكن فيه العلم بكفايته لعبده، ورحمته له، وحلمه عنده، وبره به، وإحسانه إليه على الدوام، أوجب له الفرح والسرور أعظم من فرح كل محب بكل محبوب سواه، فلا يزال مترقيا." (٢)

"ص -١٥٨- والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراهفإن هذه الدرجات الثلاث التي هي : الإسلام، والإيمان، والإحسان، داخلة في الدين، كما قال في الحديث الصحيح : " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم " ، بعد أن أجابه عن هذه الثلاث، فبين أنها كلها من ديننا و " الدين " : مصدر، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول، يقال : دان فلان فلانا إذا عبده وأطاعه، كما يقال : دانه إذا أذله فالعبد يدين الله، أي : يعبده ويطيعه، فإذا أضيف الدين إلى العبد فلأنه العابد المطيع، وإذا أضيف إلى الله فلأنه المعبود المطاع، كما قال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩]فالدعوة إلى الله تكون بدعوة العبد إلى دينه، وأصل ذلك عبادته وحده لا شريك له، كما بعث الله بذلك رسله،وأنزل به كتبه قال تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [الشوري : ١٣] ، وقال تعالى: ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، وقال تعالى:." (٣)

(١) مجموع الفتاوى ٤٩٩/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ٣/٢٤٣

(٣) مجموع الفتاوى ٤٩/٢٤٣

"ص –١٧٠– يسقط عن ذلك العقوبة التي وجبت عليه لحق الله، لكن يكمل لهذا الآمر الناهي مقام الصبر والعفو الذي شرع الله لمثله، حتى يدخل في قوله تعالى: ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ [آل عمران : ١٨٦] ، وفي قوله: ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ثم هنا فرق لطيف، أما الصبر فإنه مأمور به مطلقا، فلا ينسخ، وأما العفو والصفح فإنه جعل إلى غاية، وهو : أن يأتي الله بأمره، فلما أتي بأمره بتمكين الرسول ونصره صار قادرا على الجهاد لأولئك، وإلزامهم بالمعروف، ومنعهم عن المنكر صار يجب عليه العمل باليد في ذلك ما كان عاجزا عنه، وهو مأمور بالصبر في ذلك،كما كان مأمورا بالصبر أولاوالجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله؛ فمقصوده إقامة دين الله لا استيفاء الرجل حظه؛ ولهذا كان ما يصاب به المجاهد في نفسه وماله أجره فيه على الله؛ فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، بأن لهم الجنة، حتى إن الكفار إذا أسلموا أو عاهدوا لم يضمنوا ما أتلفوه للمسلمين من الدماء والأموال، بل لو أسلموا وبأيديهم ما غنموه من أموال المسلمين، كان ملكا لهم عند جمهور العلماء : كمالك وأبي حنيفة وأحمد، وهو الذي مضت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنة خلفائه الراشدين." (١)

"ص –١١١– وهذا في القرآن مذكور في مواضع كثيرة .وكذلك في الأحاديث الصحيحة، مثل ما ترجم عليه البخاري فقال : [باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد] وذكر الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إنا معاشر الأنبياء إخوة لعلات " ، ومثل صفته في التوراة : " لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، فأفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا " ؛ ولهذا وحد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى : ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٦، ٧] ، ومثل قوله تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، ومثل قوله : ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ، وقوله : ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ [البقرة : ٢٦١] ، ﴿وجاهدوا في سبيل الله ﴾ [البقرة : ٢١٨] ، وقوله : ﴿قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩] .والإسلام دين جميع المرسلين، قال نوح عليه السلام : ﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ [يونس : ٧٢] ، وقال الله عن إبراهيم وبنيه ما تقدم، وقال الله عن السحرة : ﴿ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ﴾ [الأعراف : ١٢٦] ،." (٢)

"ص –٣٠٩– الضالون إلى الشرع . والله سبحانه وتعالى أعلم .وبما ذكرته في مسمى الشريعة، والحكم الشرعي، والعلم الشرعي يتبين أنه ليس للإنسان أن يخرج عن الشريعة في شيء من أموره، بل كلما يصلح له فهو في الشرع من أصوله وفروعه وأحواله وأعماله وسياسته ومعاملته وغير ذلك، والحمد لله رب العالمين .وسبب ذلك أن الشريعة هي طاعة الله ورسوله وأولي الأمر منا، وقد قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [النساء : ٥٩] قد أوجب طاعته وطاعة رسوله في آي كثير من القرآن، وحرم معصيته ومعصية رسوله، ووعد برضوانه ومغفرته

---

(١) مجموع الفتاوى ٦١/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ٩/٢٤٧

ورحمته وجنته على طاعته وطاعة رسوله، وأوعد بضد ذلك على معصيته ومعصية رسوله . فعلى كل أحد من عالم، أو أمير، أو عابد، أو معامل أن يطيع الله ورسوله فيما هو قائم به من علم، أو حكم، أو أمر، أو نهى، أو عمل، أو عبادة، أو غير ذلك .وحقيقة الشريعة اتباع الرسل، والدخول تحت طاعتهم، كما أن الخروج عنها خروج عن طاعة الرسل، وطاعة الرسل هي دين الله الذي أمر بالقتال عليه، فقال : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩]." (١)

"به رسولا من يترك ما جاء به لقول غيره ولا يترك قول غيره لقوله، ثم قال:والمقصود أن من حقه سبحانه على كل أحد من عبيده أن يكون **حبه كله لله وبغضه** في الله وقوله لله وتركه لله وأن يذكره ولا ينساه ويطيعه ولا يعصيه ويشكره ولا يكفره، وإذا قام بذلك كله كانت نعم الله عليه أكثر من عمله، بل ذلك نفسه من نعم الله عليه حيث وفقه له ويسره، وأعانه عليه وجعله من أهله، واختصه به على غيره، فهو يستدعي شكرا آخر عليه ولا سبيل له إلى القيام بما يجب لله من الشكر أبدا.فنعم الله تطالبه بالشكر وأعماله لا تقابلها، وذنوبه وغفلته وتقصيره قد تستنفد عمله.فديوان النعم وديوان الذنوب يستنفدان طاعاته كلها. إنتهى.تأمل قوله: (ولا سبيل له إلى القيام بما يجب لله من الشكر أبدا) وذلك لأن الثمن المزغوم من العبد هو أجل نعم الرب سبحانه عليه وهو الذي وفقه له وجعله من أهله، وهو طاعته.." (٢)

"ولعل تأمل بعض ما ورد بهذا المعنى يبين المراد فتحصل لنا يقظة نعلم منها ما نحن فيه قبلها.قال بعضهم وقد سئل: متى يستحق الفقير اسم الفقر؟فقال: إذا لم يبق عليه بقية منه، فقيل له: وكيف ذاك؟ فقال: إذا كان له فليس له، وإذا لم يكن له فهو له.قال ابن القيم: وهذه من أحسن العبارات عن معنى الفقر الذي يشير إليه القوم، وهو أن **يصير كله لله عز** وجل لا يبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهواه، فمتى بقي عليه شيء من أحكام نفسه ففقره مدخول.ثم فسر ذلك بقوله: (إذا كان له فليس له) أي إذا كان لنفسه فليس لله وإذا لم يكن لنفسه فهو لله.فحقيقة الفقر أن لا تكون لنفسك ولا يكون لها منك شيء، بحيث تكون كلك لله، وإذا كنت لنفسك فثم ملك، واستغناء مناف للفقر. انتهى.قد ننظر في هذا الكلام فنرى أنه تحصيل حاصل فمن منا لا يرى أنه كله لله؟ والواقع غير هذا، فاللسان يقول ولكن حال القلب." (٣)

"مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا الله وحده.ولهذا كانت أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته.فهذه المسألة قطب رحى الدين الذي عليه مداره، وإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق.وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله وأحواله وأقواله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. إنتهى.الكلام في المحبة أذكره لبيان التوحيد، ولأن الموانع عنها والقواطع لا تحصى في زماننا هذا، ولا يلزم من الوصف الإنصاف، ولا من العلم الحال وإنما أسأل الله أن يمن بذلك، والأجدر بنا الخوف.وقال ابن القيم: فأصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة وأن يكون **الحب كله لله فلا** يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه كما

---

(١) مجموع الفتاوى ٢١/٢٥٤

(٢) إحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك، عبد الكريم الحميد ١/٦١

(٣) إحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك، عبد الكريم الحميد ١/٩٧

تحب أنبياءه ورسله وملائكته، وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله.." (١)

"كُلِّ شَهْوَةٍ تُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، وَمِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تُعَارِضُ خَبَرَهُ، فَسَلِمَ مِنْ عُبُودِيَّةِ مَا سِوَاهُ، وَسَلِمَ مِنْ تَحْكِيمِ غَيْرِ رَسُولِهِ – صلى الله عليه وسلم –.وَبِالْجُمْلَةِ فَالْقَلْبُ السَّلِيمُ الصَّحِيحُ هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ فِيهِ شِرْكٌ بِوَجْهٍ مَا؛ بَلْ قَدْ خَلُصَتْ عُبُودِيَّتُهُ لِلَّهِ: إِرَادَةً، وَمَحَبَّةً، وَتَوَكُّلاً، وَإِنَابَةً، وَإِخْبَاتاً، وَخَشْيَةً، وَرَجَاءً، وَخَلُصَ عَمَلُهُ لِلَّهِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَإِنْ أَبْغَضَ أَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَإِنْ أَعْطَى أَعْطَى لِلَّهِ، وَإِنْ مَنَعَ مَنَعَ لِلَّهِ، فَهَمُّهُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَحُبُّهُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَقَصْدُهُ لَهُ، وَبَدَنُهُ لَهُ، وَأَعْمَالُهُ." (٢)

"خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١).ما هذا الوعيد الهادر (٢) من طاغية جبار يقول للناس: أنا ربكم الأعلى، وما علمت لكم من إلهٍ غيري.إن أمواجه تتحطّم على يقين المؤمنين الذين وقفوا كالجبال الشمّ، ولكنهم توجهوا إلى الله ليثبّتهم، ويلقي في قلوبهم السكينة، ويفرغ عليهم الصبر: ﴿قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (٣).العائق الثالث: استبطاء النصر والفرج:لقد جعل الله – سبحانه وتعالى – العاقبة للمتقين، وكتب لهم التمكين في الأرض؛ ليكون الدين كله لله، ولكن هذه المنزلة لن يبلغها المؤمنون بين عشيةٍ وضحاها.قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ﴾ (٤).متى نصر الله؟ استبطاءً له، واستعجالاً لمجيئه؛ هنالك يجيء الغوث للملهوف، والفرج للمكروب، فتفرح القلوب – ألا إن نصر الله قريب. ________(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٢٣ – ١٢٤.(٢) الهادر: هدر البعير هدراً، أي ردد صوته في حنجرته، ويضرب لمن يصيح ويجلب. القاموس المحيط، (هدر).(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٢٥ – ١٢٦.(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.." (٣)

"وهذا المشهد من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد، وكلّما كان العبد أعظم توحيداً، كان حظُّه من هذا المشهد أتمّ.وفيه من الفوائد: أنه يحول بين القلب وبين العُجْب بالعمل، ورؤيته؛ فإنه إذا شهد أن الله سبحانه هو المانُّ به، الموفق له، الهادي إليه، شغله شهودُ ذلك عن رؤيته، والإعجاب به، وأن يصول به على الناس، فيُرفع من قلبه، فلا يعجب به، ومن لسانه، فلا يمنّ به، ولا يتكثّر به، وهذا شأن العمل المرفوع.ومن فوائده: أنه يضيف الحمد إلى وليّه، ومستحقّه، فلا يشهد لنفسه حمداً، بل يشهده كلّه لله، كما يشهد النعمة كلّها منه، والفضل كله له، والخير كله في يديه، وهذا من تمام التوحيد، فلا يستقرّ قدمه في مقام التوحيد إلا بعلم ذلك وشهوده؛ فإذا علمه، ورسخ فيه، صار له مشهداً، وإذا صار لقلبه مشهداً، أثمر له من المحبة والأنس بالله، والشوق إلى لقائه، والتنعّم بذكره، وطاعته، ما لا نسبة بينه وبين أعلى نعيم الدنيا البتّة.وما للمرء خير في حياته، إذا كان قلبه عن هذا مصدوداً، وطريق الوصول إليه عنه مسدوداً، بل هو كما قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا

---

(١) إحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك، عبد الكريم الحميد ١٤٥/١

(٢) العلاج بالرقى من الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٧٦

(٣) أنواع الصبر ومجالاته، سعيد بن وهف القحطاني ص/٢٧

وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١).المشهد السادس: مشهد التقصير: وأن العبد لو اجتهد في القيام بالأمر غاية الاجتهاد، وبذل وسعه، فهو مقصِّر، وحق الله سبحانه عليه أعظم، والذي ينبغي له أن يقابل به من الطاعة والعبودية ـــــــــــــ(١) سورة الحجر، الآية: ٣.." (١)

"وَالْقَلْبُ السَّلِيمُ هُوَ الَّذِي قَدْ سَلِمَ مِنْ كُلِّ شَهْوَةٍ تُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، وَمِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تُعَارِضُ خَبَرَهُ، فَسَلِمَ مِنْ عُبُودِيَّةِ مَا سِوَاهُ، وَسَلِمَ مِنْ تَحْكِيمِ غَيْرِ رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم -.وَبِالْجُمْلَةِ فَالْقَلْبُ السَّلِيمُ الصَّحِيحُ هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ فِيهِ شِرْكٌ بِوَجْهٍ مَا؛ بَلْ قَدْ خَلُصَتْ عُبُودِيَّتُهُ لِلَّهِ: إِرَادَةً، وَمَحَبَّةً، وَتَوَكُّلاً، وَإِنَابَةً، وَإِخْبَاتاً، وَخَشْيَةً، وَرَجَاءً، وَخَلُصَ عَمَلُهُ لِلَّهِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَإِنْ أَبْغَضَ أَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَإِنْ أَعْطَى أَعْطَى لِلَّهِ، وَإِنْ مَنَعَ مَنَعَ لِلَّهِ، فَهَمُّهُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَحُبُّهُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَقَصْدُهُ لَهُ، وَبَدَنُهُ لَهُ، وَأَعْمَالُهُ لَهُ، وَنَوْمُهُ لَهُ، وَيَقَظَتُهُ لَهُ، وَحَدِيثُهُ، وَالْحَدِيثُ عَنْهُ أَشْهَى إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدِيثٍ، وَأَفْكَارُهُ تَحُومُ عَلَى مَرَاضِيهِ، وَمَحَابِّهِ (١)، نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى هَذَا الْقَلْبَ.القلب الثاني: الْقَلْبُ الْمَيِّتُ: وَهُوَ ضِدُّ الأَوَّلِ، وَهُوَ الَّذِي لاَ يَعْرِفُ رَبَّهُ، وَلاَ يَعْبُدُهُ بِأَمْرِهِ، وَمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ؛ بَلْ هُوَ وَاقِفٌ مَعَ شَهَوَاتِهِ وَلَذَاذَاتِهِ، وَلَوْ كَانَ فِيهَا سَخَطُ رَبِّهِ وَغَضَبُهُ، فَهُوَ مُتَعَبِّدٌ لِغَيْرِ اللَّهِ: حُبّاً، وَخَوْفاً، وَرَجَاءً، وَرِضاً، وَسُخْطاً، وَتَعْظِيماً، وَذُلاًّ، إِنْ أَبْغَضَ أَبْغَضَ لِهَوَاهُ، وَإِنْ أَحَبَّ أَحَبَّ لِهَوَاهُ، وَإِنْ أَعْطَى أَعْطَى لِهَوَاهُ، وَإِنْ مَنَعَ مَنَعَ لِهَوَاهُ، فَالْهَوَى إِمَامُهُ، وَالشَّهْوَةُ قَائِدُهُ، وَالْجَهْلُ سَائِقُهُ، وَالْغَفْلَةُ مَرْكَبُهُ (٢). نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ.القلب الثالث: الْقَلْبُ الْمَرِيضُ: هُوَ قَلْبٌ لَهُ حَيَاةٌ، وَبِهِ عِلَّةٌ، فَلَهُ ـــــــــــــ(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم رحمه الله، ١/ ٧، و٧٣.(٢) انظر: المرجع السابق، ١/ ٩.." (٢)

"أنواع الحكمفهذه آيات كثيرة تكررت مرات عديدة في إثبات أن الحكم لله بجميع أنواعه، وهي: الحكم الشرعي، والحكم القضائي القدري، والحكم الجزائي، فإنه كله لله.وذلك ككل مسائل الاعتقاد التي يكثر بيانها في القرآن بأوضح الأدلة وأعظم البراهين، لكي تستقر في نفوس المؤمنين، ويرد على الكافرين والمنافقين شبههم وأباطيلهم، لكثرة تأكيد المعاني الإيمانية.قال رحمه الله: ويفهم من قوله تعالى: ((ولا يشرك في حكمه أحدا)) أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله، أنهم مشركون بالله، وهذا المفهوم جاء مبينا في آيات أخر، كقوله تعالى فيمن اتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام:١٢١]، فصرح بأنهم مشركون بطاعتهم، وهذا الإشراك في الطاعة واتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان، لقوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾ [يس:٦٠ - ٦١].وكان الكفار يقولون: أتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله بيده؟ فكانوا يزعمون بهذا التأويل الفاسد إباحة الميتة وتحليلها، وهم يعلمون أن الله أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم تحريمها، ولكنهم آثروا ما نشئوا عليه من إباحتها، فكانوا يجادلون بهذه المجادلات الباطلة، فأكد الله عز وجل النهي فقال: ((ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق)).فالأوامر والنواهي هي التي يعرف منها التشريع، وليست الأقيسة الفاسدة

---

(١) الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٨٩

(٢) الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٧٤

والعقول السخيفة التي يستعملها المشركون، فسمى الله من أطاعهم في تغيير الشرع مشركين فقال: ((وإن أطعتموهم إنكم لمشركون))، وهذا هو ما أخبر الله عز وجل به عن المشركين، وما نهى عنه بني آدم من عبادة الشيطان، وذلك باتباع تشريع فيه خلاف شرع الله سبحانه وتعالى، ومن اتبع الشيطان في خلاف شرع الله سبحانه وتعالى فهو عابد له، وكل من سن تشريعا يخالف تشريع الله فقد شطن وبعد عن الحق، فهو شيطان من شياطين الإنس أو الجن، كما بين سبحانه وتعالى أن شياطين الإنس أعداء الأنبياء كشياطين الجن: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ [الأنعام:١١٢].وقوله تعالى عن نبيه إبراهيم: ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ [مريم:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا﴾ [النساء:١١٧]، أي: ما يعبدون إلا شيطانا وذلك باتباع تشريعه؛ لذا سمى الله تعالى الذين يطاعون فيما زينوا من المعاصي شركاء، كما في قوله تعالى: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ [الأنعام:١٣٧]، فسماهم شركاء ونسبهم إليهم؛ لأنهم اخترعوا هذه الشركة مع الله، ولا حقيقة لها في الواقع، وإنما هي في أذهانهم وعقولهم الفاسدة وعقائدهم الباطلة، وهم اعتقدوا أن هؤلاء شركاء مع الله، ولذلك بين الله عز وجل بطلان ذلك، والشركاء زينوا للمشركين وأد البنات خشية الفقر، وجعل ذلك الشرع من الشركاء؛ لأنهم هم الذين اتخذوهم.." (١)

"كلام ابن القيم في إثبات عذاب القبروأثني هذه المقدمة بكلام نفيس للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، فتدبره جيدا -أيها الحبيب- وقف عليه وعض عليه بالنواجذ، يقول ابن القيم: إن الله تعالى قد جعل الدور ثلاثا، وهي دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الآخرة، وجعل الله لكل دار أحكاما تختص بها، فجعل الله الأحكام في دار الدنيا تسري على الأبدان والأرواح تبع لها، وجعل الأحكام في دار البرزخ تسري على الأرواح والأبدان تبع لها، وجعل الأحكام في دار القرار تسري على الأرواح والأبدان معا.قمة الدقة، ثم قال ابن القيم: واعلم بأن سعة القبر وضيقه ونوره وناره ليس من جنس المعهود للناس في عالم الدنيا.تدبر هذا الكلام جيدا، ثم ضرب لنا مثلا عقليا رائعا دقيقا فقال: انظر إلى الرجلين النائمين في فراش واحد، أحدهما يرى في نومه أنه في نعيم، بل وقد يستيقظ وأثر النعيم على وجهه، ويقص عليك ما كان فيه من النعيم، قد يقول لك: الحمد لله، لقد رأيتني الليلة وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلمت النبي، ورأيت النبي، ورد علي النبي، وقال لي النبي ومن رأى النبي في المنام فقد رآه حقا، قمة النعيم وقمة اللذة والفرح والسرور، ويستيقظ من نومه وهو يقص عليك هذا، وأخوه إلى جواره في فراش واحد قد يكون في عذاب، ويستيقظ وعليه أثر العذاب، ويستيقظ من نومه ويقص عليك ويقول: كابوس كاد أن يخنق أنفاسي -أعوذ بالله-.تدبر أيها المسلم.الرجلان في فراش واحد، هذا روحه كانت في النعيم، وهذا روحه كانت في العذاب، مع أن أحدهما لا يعلم عن الآخر شيئا.وهذا في أمر الدنيا، فكيف بأمر البرزخ الذي لا يعلمه إلا الملك؟!! تدبر هذا كله، إنها مقدمة دقيقة ولو تدبرتها لوقفت على الحقيقة.وأنا أقول: متى كان العقل حاكما على الشرع والدين؟!! لا تفهم مني أنني أريد أن أقلل من قدر العقل، أبدا أبدا، بل إنني ممن ينادي بتقدير العقل وبيان مكانة العقل، لاسيما ونحن نعيش الآن زمانا انصرفت فيه الأمة المسكينة عن التعليم والعلم والتخطيط والتنظيم، وصارت الأمة أمة

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ١٨/١٤

تعيش عالة على علم الغرب، وأنا لا أنكر ما وصل إليه الغرب في الجانب العلمي والمادي، في الوقت الذي تأخرت فيه الأمة عن الركب العلمي، أنا ممن يقول دائما بأن نور الوحي لا يطمس نور العقل أبدا، بل يبارك نور الوحي نور العقل، بل يزكي الوحي العقل، بشرط أن يعلم العقل قدره، وأن يسجد العقل مع **الكون كله لله رب** العالمين، فمتى كان العقل على الإطلاق حاكما على الشرع والدين؟! لله در علي يوم أن قال: لو كان أمر الدين بالعقل لكان المسح على باطن الخف أولى من المسح على أعلاه.أنت تمشي بباطن الخف على الأرض، فلو كان الدين بالعقل فإنه لا يجوز لك أن تمسح ظاهر الخف وإنما تمسح باطن الخف؛ لأنه هو الذي وطئ التراب والأرض، لو كان أمر الدين بالعقل لكان المسح على باطن الخف أولى من المسح على أعلاه.." (١)

"العقل البشري وطغيانه وتمرده على اللهوتدبر معي -أيها الشاب الحبيب- لتتعرف على قيمة العقل البشري إذا تحدى نور الوحي الإلهي وانفك عن نور الهدي المحمدي النبوي، هذا هو العقل الأمريكي الجبار الذي أقر أنه قد وصل إلى ما وصل إليه في الجانب المادي والعلمي، انطلق بعيدا في أجواء الفضاء، وفي أعماق البحار، وفجر الذرة، وصنع القنبلة النووية، بل وحول العالم كله إلى قرية صغيرة عن طريق هذا التقدم المذهل في عالم الاتصالات والمواصلات، هذا ما وصل إليه العقل الأمريكي الجبار في جانب العلم والمادة، انظر إلى حقيقته في جانب الأخلاق والعقيدة والروح، ستراه قد هوى إلى قاع الرذيلة ومستنقع الزندقة والإلحاد، فها هو العقل الأمريكي في هذه الأيام يدافع عن الشذوذ الجنسي، وليست أحداث الحملة الانتخابية لـ بيل كلنتون منكم ببعيد، الذي أذن للشاذين جنسيا أن يدخلوا الجيش الأمريكي، بل والآن الكنائس في أمريكا تعقد فيها حفلات الزواج، وستعجب إذا علمت أن الزوج رجل والزوجة رجل، يتزوج الرجل بالرجل، وتتزوج المرأة بالمرأة، هذا هو العقل الأميركي الذي لا زال يتغنى بالديمقراطية في كل أنحاء العالم، وإذا ما ذهبت إلى (نيويورك) فاجأ بصرك تمثال الحرية الكاذب، تتغنى بالديمقراطية وفي الوقت ذاته لا زالت تدافع عن العنصرية اللونية البغيضة! وكلنا يتذكر أحداث (لوس أنجلوس).وهذا هو العقل الروسي الملحد، شعاره: يؤمن بثلاثة ويكفر بثلاثة، يؤمن بـ ماركس ولينين واستالين، ويكفر بالله، وبالدين، وبالملكية الخاصة.وهذا العقل اليوناني يدافع عن الدعارة، وهذا العقل الروماني يدافع عن مصارعة الثيران، وهذا العقل الهندي يدافع عن عبادة البقرة، وهذا العقل العربي في الجاهلية الأولى يدافع عن وأد البنات وهن أحياء، ويدافع عن عبادة الأصنام، وهذا العقل في جاهليته المعاصرة يؤمن بالكفر والزندقة، ويتغنى بالبعثية والقومية، فيقول قائلهم: آمنت بالبعث ربا لا شريك له وبالعروبة دينا ما له ثاني ويقول آخر: هبوني عيدا يجعل العرب أمة وسيروا بجثماني على دين برهم سلام على كفر يوحد بيننا وأهلا وسهلا بعده بجهنم هذا هو العقل حينما يتحدى الوحي الإلهي وينفك عن الهدي المحمدي النبوي، فينبغي أن يعلم العقل قدره، وينبغي أن يقف العقل عند حدوده، فلينطلق العقل في حدوده ومجاله ليسجد مع **الكون كله لله رب** العالمين، لو كان أمر الدين بالعقل لكان المسح على باطن الخف -كما ذكرت- أولى بالمسح من أعلاه.." (٢)

---

(١) الدار الآخرة - محمد حسان، محمد حسان ٤/١

(٢) الدار الآخرة - محمد حسان، محمد حسان ٥/١

"من حلف بغير الله فقد أشركالرسول صلى الله عليه وسلم يأمره الله جل وعلا في هذه الآية أن يقسم بذاته، وهنا ينبغي أن أذكر أحبابي وإخواني بأن الله جل وعلا، إن كان يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يقسم إن كان مقسما بالله جل وعلا، أفيحل لنا نحن إذا أردنا أن نقسم وأن نحلف بغير الله جل وعلا؟ كلا والله، فمن كان حالفا فلا يحلف إلا بالله: (من حلف بغير الله فقد أشرك).أيها الحبيب والكريم! أعلم يقينا أنك تحب الحبيب المصطفى، ولكن حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم يأمرك ويجب عليك أن تذعن لأمره وتطيع، يأمرك الحبيب ألا تقسم به، أي لا تقل: والنبي، ولا والولي، ولا وحياة أولادي، ولا وحياة زوجتي، ولا كذا ولا كذا، وإنما يعلمك حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم إن كنت حالفا ومقسما أن تحلف بالله جل وعلا، لأنه لا يجوز لك البتة أن تحلف إلا بالله تبارك وتعالى: (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) (من حلف بغير الله فقد أشرك).فلا تقل أيها الحبيب: والنبي كذا، كلا، هذا لا يصح ولا يجوز.وأيضا: إن تعرضنا لهذه الجزئية فأذكرك -أيها الحبيب في الله- وأقول لك: كن على يقين بأن **الأمر كله لله جل** وعلا، وبأن الضر والنفع بيد الله جل وعلا، فإن كان لا يصح لك أن تحلف إلا بالله؛ فإنه لا يصح لك بحال أن تسأل غير الله، إياك أن تسأل نبيا ولو كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإياك أن تسأل وليا، إن كان لا يصح لك أن تسأل الحبيب محمدا، فهل يصح لك أن تسأل من دونه وليا؟ كلا والله؛ لأنه لا يملك لك الضر والنفع إلا ملك الملوك وجبار السماوات والأرض كما ورد في حديث ابن عباس الذي رواه الترمذي وأحمد بسند صحيح، أنه قال: (يا غلام! إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت) اسأل من النبي أو الولي، اسأل من يا أحباب؟! الله جل وعلا، انتبه أيها الكريم (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، واعلم أنهم لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).يا صاحب الهم إن الهم منفرج أبشر بخير فإن الفارج اللهإذا بليت فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو اللهالله يحدث بعد العسر ميسرة لا تجزعن فإن الصانع اللهوالله مالك غير الله من أحد فحسبك الله في كل لك اللهلا تسأل إلا الله جل وعلا؛ لأن الذي يملك الضر والنفع هو الله: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ [الأنعام:١٧].فلا تحلف إلا بالله، ولا تسأل إلا الله، ولا تستعن إلا بالله، وانتبه -أيها الحبيب- ولا تذبح إلا لله، فمن ذبح لغير الله فقد أشرك، لا عقر في الإسلام، ولا نذر في الإسلام إلا للرحيم الرحمن.وانتبه أيها الحبيب! إن كان ذبحك لله؛ فليكن نذرك لله، لا تنذر لنبي ولا تنذر لولي؛ لأن هذا من الشرك الذي حذرنا منه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، من حلف فليحلف بالله، ومن نذر فليكن نذره لله، ومن ذبح فليكن ذبحه لله، ومن طاف فليكن طوافه ببيت الله، إياك أن تطوف بغير بيت الله، لا تطف بقبر محمد صلى الله عليه وسلم ولا بقبر غيره من الأولياء والصالحين، وإنما فليكن طوافك ببيت رب العالمين، كما أمرك ربك جل وعلا، بقوله: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج:٢٩] فقط واللام للأمر.هذه هي العبادة الصافية: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام:١٦٢ - ١٦٣].أيها الحبيب! لا تظن أن محبتك للنبي صلى الله عليه وسلم هي أن تسأل رسول الله، أو أن تطلب من رسول الله، أو أن تستغيث برسول الله، أو أن تلجأ إلى رسول الله، كلا.لا

تقل ما قاله من قبل هؤلاء:يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمموإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلمفأين الله؟ أين الله جل وعلا؟! الذي يجب أن يسأل، وأن يستغاث به وحده، وأن يسأل وحده، وأن يستعان به وحده، وأن يتوكل عليه وحده، وأن يفوض إليه الأمر وحده، وأن يذبح إليه وحده، وأن ينذر إليه وحده، وأن يستعان به وحده، وأن يستغاث به وحده، وأن تصرف العبادة كلها لله جل وعلا وحده.﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ [التغابن:٧] بلى وربي، يأمر الله نبيه أن يقسم به، فيجب علي وعليك أن أقسم بربي جل وعلا، لا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا بالولي.﴿قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ [التغابن:٧] وبالرغم من ذلك كذب الذين كفروا ربنا جل وعلا، وسخر الكافرون من قول نبينا صلى الله عليه وسلم، فقالوا كما قال الله عنهم في سورة الإسراء: ﴿وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ [الإسراء:٤٩] قل: يا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا * أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾ [الإسراء:٥٠ - ٥٢] كونوا ما شئتم سيبعثكم الذي خلقكم أول مرة.." (١)

"بيان أوصاف الداخلين الجنة بغير حسابإنهم قوم حققوا التوحيد لله وتركوا الشرك كله دقه وجله، وأنزلوا حوائجهم كلها بالله سبحانه، ولم ينزلوها بأحد من خلقه مهما كان، فهم لا يتطيرون -أي: لا يتشاءمون- فلقد كان من عادة العرب في الجاهلية أن يأخذ أحدهم طيرا فيطيره فإن طار الطائر يمينا استبشر هذا الرجل بسفره وقال: إذا نسافر، فإن طار الطائر يسارا تشاءم الرجل وقال: إذا لا أخرج من بيتي ولا أسافر، فجاء الإسلام ليقضي على هذه الطيرة وعلى هذا التشاؤم، وليعلم الناس أن الضار النافع هو الله وأن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى، فهم لا يتشاءمون بمكان ولا بزمان؛ لأنهم يعلمون أن خالق الزمان والمكان هو الله، وأن الذي يدبر أمر الزمان والمكان هو الله، قال تعالى: (قل إن الأمر كله لله﴾ [آل عمران:١٥٤]، فلا يدبر الأمر نبي، ولا يدبر الأمور ولي، ولا يدبر الأمور إلا الملك العلي كما في حديث ابن عباس: (يا غلام! إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).يا صاحب الهم إن الهم منفرج أبشر بخير فإن الفارج الله وإن بليت فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله الله يحدث بعد العسر ميسرة لا تجزعن فإن الصانع الله والله ما لك غير الله من أحد فحسبك الله في كل لك الله وقوله: (ولا يكتوون ولا يسترقون)، أي: لا يطلبون الكي ولا الرقية من أحد.." (٢)

"إذن فنحن لا نريد انتصارا وقتيا في معركة من المعارك ثم يعود الحال إلى ما كان عليه، كما حدث في أفغانستان.لا نريد فقط قائدا يقودنا إلى الانتصار فإن مات وتركنا عادت الهزائم والنكبات، بل نريد أمة جديدة وأجيالا متلاحقة لا

---

(١) الدار الآخرة - محمد حسان، محمد حسان ٤/٧

(٢) الدار الآخرة - محمد حسان، محمد حسان ٧/١٠

تعرف إلا الله وما يرضيه.نريد رايات الإسلام ترفرف من جديد على ربوع العالم الإسلامي .. على القدس ويافا وحيفا .. على الأندلس والفلبين .. على الهند والصين .. على روما.نريد الخلافة المفقودة وأستاذية العالم.نريد أن نستكمل ما بدأته الأجيال الأولى، فيصبح الدين كله لله.هذه الآمال العظيمة – أحلام اليوم – ستكون بلا شك حقائق الغد كما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر " (١).يقينا سيحدث هذا، وستفتح روما، وسيعود الأقصى، وتأتي خلافة أخرى كأختها الراشدة الأولى، ولكن بمن؟: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة/٥٤].ولكي نكون نحن وأبناؤنا من هؤلاء القوم، ولكي يعود مجد الإسلام من جديد، لابد من التغيير. ــــــــــــــــــ(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣، رقم ١٦٩٩٨)، والطبراني (٢/ ٥٨، رقم ١٢٨٠)، قال الهيثمي (٦/ ١٤): رجال أحمد رجال الصحيح. والحاكم (٤/ ٤٧٧، رقم ٨٣٢٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي (٩/ ١٨١، رقم ١٨٤٠٠).." [(١)]

"درجات الإيثارذكر الإمام الهروي رحمه الله في كتابه منازل السائرين أن للإيثار ثلاثة درجات:– الدرجة الأولى: (أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحرم عليك دينا ولا يقطع عليك طريقا ولا يفسد عليك وقتا) (١).قال ابن القيم رحمه الله في شرحه لهذه الدرجة: (يعني: أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم مثل أن تطعمهم وتجوع وتكسوهم وتعرى وتسقيهم وتظمأ بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين). (٢)– الدرجة الثانية: (إيثار رضى الله تعالى على رضى غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت به المؤن وضعفت عنه الطول والبدن) (٣).قال ابن القيم رحمه الله: (هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته ولو أغضب الخلق وهي درجة الأنبياء وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه وأعلاها لأولي العزم منهم وأعلاها لنبينا صلى الله عليه وسلم) (٤).– الدرجة الثالثة: (إيثار إيثار الله تعالى فإن الخوض في الإيثار دعوى في الملك ثم ترك شهود رؤيتك إيثار الله ثم غيبتك عن الترك) (٥).قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (يعني بإيثار إيثار الله: أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك وأنه هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت فكأنك سلمت الإيثار إليه فإذا آثرت غيرك بشيء فإن الذي آثره هو الحق لا أنت فهو المؤثر حقيقة .... وقوله: ثم ترك شهود رؤيتك إيثار الله يعني أنك إذا آثرت إيثار الله بتسليمك معنى الإيثار إليه: بقيت عليك من نفسك بقية أخرى لابد من الخروج عنها وهي أن تعرض عن شهودك رؤيتك أنك آثرت الحق بإيثارك وأنك نسبت الإيثار إليه لا إليك ... وقوله: ثم غيبتك عن الترك يريد: أنك إذا نزلت هذا الشهود وهذه الرؤية: بقيت عليك بقية أخرى وهي رؤيتك لهذا الترك المتضمنة لدعوى ملكك للترك وهي دعوى كاذبة إذ ليس للعبد شيء من الأمر ولا بيده فعل ولا ترك وإنما الأمر كله لله) (٦). ــــــــــــــــــ(١) ((منازل السائرين)) لعبدالله الأنصاري الهروي (ص٥٧).(٢) ((مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)) لابن القيم (٢/ ٢٩٧).(٣) ((منازل السائرين)) لعبدالله الأنصاري الهروي (ص٥٨).(٤) ((مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين))

---

(١) كيف نغير ما بأنفسنا، مجدي الهلالي ص/٢٤

لابن القيم (٢/ ٢٩٩).(٥) ((منازل السائرين)) لعبدالله الأنصاري الهروي (ص٥٨).(٦) ((مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)) لابن القيم (٢/ ٣٠٢).." [١]

"ذم سوء الظن والنهي عنه في القرآن والسنةذم سوء الظن والنهي عنه من القرآن الكريم:- قال تعالى في ذم سوء الظن بالله تعالى وعاقبة من فعل ذلك: ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن **الأمر كله لله يخفون** في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور [آل عمران: ١٥٤.]قال ابن القيم: (فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأنه يسلمه للقتل، وقد فسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره، ولا حكمة له فيه، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، ويظهره على الدين كله .. وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهيه، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون، فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده ويؤيد حزبه، ويعليهم ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله) (١).- وقال سبحانه في عاقبة من ظن به السوء: وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين [فصلت: ٢٢ - ٢٣].قال أبو حيان الأندلسي: (هذا الظن كفر وجهل بالله وسوء معتقد يؤدي إلى تكذيب الرسل والشك في علم الإله) (٢). ـــــــــــــــ(١) ((زاد المعاد في هدي خير العباد)) لابن القيم (٣/ ٢٠٦) بتصرف يسير، ((فتح القدير)) للشوكاني (١/ ٤٤٩).(٢) ((البحر المحيط في التفسير)) لأبي حيان الأندلسي (٩/ ٣٠٠)." [٢]

"لاَ تَسْأَلَنَّ مِنِ ابْنِ آدَمَ حَاجَةً * وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لاَ تُحْجَبُفَاللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ * أَمَّا ابْنُ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُقَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَةَ فِي الْفَتَاوَى عَظَّمَ اللهُ أَجْرَهُ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ: " أَعْظَمُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ قَدْرَاً وَحُرْمَةً عِندَ الخَلْقِ: إِذَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَيْهِمْ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوه، فَإِن أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ مَعَ الاِسْتِغْنَاءِ عَنهُمْ كُنتَ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ عِندَهُمْ، وَمَتى احْتَجْتَ

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/١٠٥

(٢) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٢٩٣

إِلَيهِمْ وَلَوْ فِي شَرْبَةِ مَاء: نَقَصَ قَدْرُكَ عِندَهُمْ؛ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا مِن حِكْمَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله، وَلاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْء " .." (١)

"الأَلِفُ وَاللاَّم تَكُونُ لِلاِسْتِغْرَاق: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين﴾ ﴿الْفَاتحَة﴾قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَةَ فِي الْفَتَاوَى عَظَّمَ اللهُ أَجْرَهُ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ مُعَلِّقَاً عَلَى هَذِهِ الآيَة: «ذَكَرَ الحَمْدَ بِالأَلِفِ وَاللاَّم الَّتي تَقْتَضِي الاِسْتِغْرَاق لجَمِيعِ المحَامِد؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الحَمْدَ كُلَّهُ لله» .. وَلِلْعَهْد: مِثْل / الحَجُّ عَرَفَة، الذَّبحُ هَكَذَا . ٥*٥ ". (٢)

"الحجة عليهم قبل الرسل من المتفلسفة والمتكلمة فتاوى ابن تيمية ج١٩/ص٦٦ " ٠وَحَتى ص: (٧٥)، وَحَتى ص: (٧٥)، وَحَتى ص: (٧٥)، وَحَتى ص: (٧٥)الفَتَاوَى الكُبرى لِشَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَة: (٠٠٠/ ٠٠٠) ٠يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَةَ فِي الفَتَاوَى الكُبرى:وسئل رحمه الله ورضعنه عن أجناد يمتنعون عن قتال التتار ويقولون أن فيهم من يخرج مكرهامعهم واذا هرب أحدهم هل يتبع أم لاَ فأجاب الحمد لله رب العالم قتالالتتار الذين قدموا الى بلاَد الشام واجب بالكتاب والسنة فان الله يقولفى القرآن وقاتلوهم حتى لاَ تكون فتنة ويكون **الدين كله لله والدين** هوالطاعة فاذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون**الدين كله لله ولهذا** قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا." (٣)

"الفرق بين حب الرئاسة وحب الإمامة في الدينمن الفروق المهمة أيضا في هذا الباب: الفرق بين حب الإمامة في الدين وبين حب الرئاسة والزعامة والتسلط على رقاب الناس.يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ [البقرة:١٢٤]، قال بعض المفسرين: إن هذه الآية بمعزل عن إرادة السلطنة والملك، فإبراهيم عليه السلام لم يطلب الملك والرئاسة والسلطنة، ولا علاقة لهذه الإمامة بالإمامة السياسية والملك والرئاسة وغير ذلك، وإنما تثبت هذه الآية الكريمة أن الإمامة في الدين يحرمها الظالمون من ذريته، فقوله تعالى: ((قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي)) أي: اجعل أيضا من ذريتي أئمة يهدون إلى الدين، ((قال لا ينال عهدي الظالمين)).فالآية تدل على أن إمامة الدين لا ينالها الظالمون، ولو كان المقصود من الآية إمامة الدنيا لكان قوله: ((لا ينال عهدي الظالمين)) يتصادم مع الواقع؛ لأننا نرى أن الذين ينالون الإمامة السياسية من أزمان بعيدة هم الظالمون، وأن الإمامة آلت في كثير من الأحوال إلى أيدي الظالمين، وأما الإمامة الدينية فلا يمكن أن تقع أبدا في يدي ظالم، وإنما هي لأئمة الهدى.وكان من دعاء الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أيضا: ﴿رب هب لي حكما﴾ [الشعراء:٨٣] وهذا ليس كما يتصور بعض الجهال من الناس من أن الحكم هنا بمعنى السياسة والملك، كما حصل من بعض الحراس في بعض الأوقات حيث صادروا كتاب ((جامع العلوم والحكم)) فقد قرأه المسكين الذي صادره: (جامع العلوم والحكم) فصادروا الكتاب، ومنعوا دخوله إلى السجن، كما صادروا كتاب: (الأربعين النووية)، وقالوا: هذا متعلق

---

(١) موسوعة الرقائق والأدب - ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٣٠٥٧

(٢) موسوعة الرقائق والأدب - ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٧٥٧٤

(٣) موسوعة الرقائق والأدب - ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٨٣٥٠

بالأسلحة النووية! فقوله: (رب هب لي حكما) أي: حكمة، أو حكما بين الناس بالحق أو نبوة؛ لأن النبي ذو حكم، وذو حكمة، ﴿وألحقني بالصالحين﴾ [الشعراء:٨٣] أي: وفقني للانتظام في سلكهم؛ لأكون من الذين جعلتهم سببا لصلاح العالم، وكمال الخلق، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [الشعراء:٨٤] أي: ذكرا جميلا بعدي أذكر به، ويقتدى بي في الخير، فهذا طلب للإمامة في الدين لمصلحة الدين، أي: يطلب أن يكون إماما حتى يهدي الله الناس على يديه، ويقودهم إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى الجنة، ولا يقصد الرئاسة، ولا الزعامة، ولا التنافس على مناصب الدنيا. فقوله: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) يعني: أذكر به؛ كي يقتدى بي في الخير، وقد كان ذلك لإبراهيم عليه السلام، كما قال عز وجل: ﴿وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين﴾ [الصافات:١٠٨ - ١١٠]. يقول القرطبي رحمه الله تعالى: روى أشهب عن مالك أنه قال في قول الله عز وجل: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين): لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحا، ويرى أنه عمل عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ [طه:٣٩] فموسى عليه السلام كان لا يراه أحد إلا أحبه. وقال تعالى أيضا: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ [مريم:٩٦] أي: حبا في قلوب عباده، وثناء حسنا، فنبه تعالى بقوله: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [الشعراء:٨٤] على استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل. وجوز بعض المفسرين أن يكون معنى: (واجعل لي لسان صدق) أي: اجعل لي صادقا من ذريتي، وأخرج من ذريتي المتأخرة فيما بعد صادقا يجدد أصل ديني، ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه من التوحيد، وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جاء في بعض الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام: (أنا دعوة أبي إبراهيم) وهذه الدعوة مذكورة بأصرح من هذا في سورة البقرة: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [البقرة:١٢٩]. وصح من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين) أي: هداة للآخرين، مهتدين في أنفسنا. وأخبر عز وجل أن من دعاء عباد الرحمن الذين أحبهم وأثنى عليهم، أنهم يقولون: ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ [الفرقان:٧٤]، قال البخاري رحمه الله تعالى في تفسيرها: (إماما) أي: أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا، فلا يصلح أن يكون الإنسان قدوة يقتدي به من كان في زمنه ومن يأتي بعده إلا إذا كان سائرا على نهج من سبقه من السلف الصالح؛ فهذا التفسير دقيق جدا. وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: (واجعلنا للمتقين إماما) أي: قدوة يقتدى بنا في الخير، فكلما اقتدى بهم في الخير كثير من الناس كان ذلك أكثر ثوابا، وأحسن مآبا، وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقيا قدوة، وهذا هو قصد الداعي. وفي الموطأ: إنكم أيها الرهط! أئمة يقتدى بكم، وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول في دعائه: (اللهم اجعلنا من أئمة المتقين). وقال مكحول: اجعلنا أئمة في التقوى، يقتدي بنا المتقون. وقال القفال وغيره من المفسرين: في الآية دليل على أن طلب الرئاسة في الدين واجب. أي: أن الرئاسة هنا ليست الرئاسة الدنيوية، بل هي الإمامة في الدين، وذلك أن يصل إلى مرتبة الإمامة كي يهتدي به الناس، ويقوم بهذا الفرض الكفائي. وكان القشيري يقول: الإمامة بالدعاء لا بالدعوى، يعني: بأن تدعو الله سبحانه وتعالى، وتجتهد في الدعاء، وتسلك أسباب ذلك، وقوله: بالدعاء لأن لازم الدعاء -إذا كان مشتملا على شروطه- أن يستجيب الله سبحانه وتعالى له، فالمقصود بكلمة (الإمامة بالدعاء) يعني: بتوفيق الله وتيسيره ومنته، لا بما يدعيه كل واحد لنفسه. وقال إبراهيم النخعي: لم

يطلبوا الرئاسة، بل طلبوا أن يكونوا قدوة في الدين.وقال ابن عباس في قوله: (واجعلنا للمتقين إماما) أي: اجعلنا أئمة هدى، كما قال عز وجل: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ [السجدة:٢٤].وعن الحسن قال: من استطاع منكم أن يكون إماما لأهله -أي: قدوة-، إماما لحيه، إماما لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك إلا كان لك منه نصيب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا)، وقال صلى الله عليه وسلم: (الدال على الخير كفاعله).وقد فصل الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى الفرق بين حب الرئاسة، وبين حب الإمامة في الدين في كتاب (الروح)، فقال رحمه الله تعالى: والفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله، هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له، وتعظيم النفس والسعي في حظها، فإن الناصح لله، المعظم له، المحب له، يحب أن يطاع ربه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره، مجتنبين نواهيه، فهذا ناصح لله في عبوديته، وأخلص العبودية لله، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إماما، يقتدي به المتقون، كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم دليلا، وفي قلوبهم مهيبا، وإليهم حبيبا، وأن يكون فيهم مطاعا كي يأتموا به، ويقتفوا أثر الرسول على يده؛ لم يضره ذلك، بل يحمد عليه؛ لأنه داع إلى الله، ويحب أن يطاع الله عز وجل ويعبد ويوحد، فهو يحب ما يكون عونا على ذلك موصلا إليه؛ ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه، وأثنى عليهم في تنزيله، وأحسن جزاءهم يوم لقائه، فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم، ثم قال: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ [الفرقان:٧٤]، فسألوه أن يقر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه، وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته، فإن الإمام والمؤتم متعاونان على الطاعة، فإنما سألوه ما يعينون به المتقين على مرضاته وطاعته، وهو دعوتهم إلى الله بالإمامة في الدين التي أساسها الصبر واليقين قال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).وسؤالهم أن يجعلهم أئمة للمتقين هو سؤال أن يهديهم ويوفقهم، ويمن عليهم بالعلوم النافعة، والأعمال الصالحة التي لا تتم الإمامة إلا بها ظاهرا وباطنا.أي: لن يكونوا أئمة إلا إذا اجتهدوا في الأعمال الصالحة، وفي العلوم النافعة في الظاهر والباطن.وتأمل كيف نسبهم في هذه الآيات إلى اسمه الرحمن جل جلاله فقال: ﴿وعباد الرحمن﴾ [الفرقان:٦٣] فاختصهم بالإضافة الشريفة إلى اسمه الرحمن، ليعلم خلقه أن هذا إنما نالوه بفضل رحمته، ومحض جوده ومنته، وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه السورة الغرف، وهي المنازل العالية في الجنة؛ لأن العمل الذي اس." (١)

"حركة أهل الباطلإن النماذج -بلا شك- كثيرة، وإذا حاولنا أن نستوفيها فهذا مما يحتاج إلى وقت طويل، ونحن نذكر نماذج فقط، فإذا كنا قد اطلعنا على هذه النماذج -سواء أكانت من سيرة السلف الصالح رحمهم الله تعالى أم من مواقف الخلف والمتأخرين- وإذا كان سعي الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى وحركتهم في نصرة الدين هي ثمرة أو أثر من آثار علو همتهم، ولئن كان نشر مناقبهم وإذاعة أخبارهم من أسباب إيقاظ الغافلين، فإنه قد ينضم إلى هذه الأسباب تقريع النائمين والسادرين في الغفلة، وذلك بأن نذكر لهم شيئا من التوبيخ كي تتحرك الهمم، ليس بأن نذكر نماذج أهل الحق من

---

(١) سلسلة علو الهمة - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٥/٦

السلف والخلف فحسب، وإنما ربما يثير هممهم وينشطها ويوقظها من رقدتها أن نذكر نماذج لا من علو همة أهل الباطل، لكن من حركة أهل الباطل في الانتصار لباطلهم، وكيف أنهم يبذلون ويصبرون ويضحون في سبيل إطفاء نور الإسلام، وهيهات هيهات! قال عز وجل: ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [التوبة:٣٢].فالكافر لا يصح أن يوصف بعلو همة، ولا يمكن أن يوصف بعلو الهمة، وإنما نذكر أنفسنا كي نستحيي من الله سبحانه وتعالى.ألم تسمع قوله تعالى في وصف حركة أهل الباطل: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾ [ص:٦]؟! وقص الله عز وجل عن قوم إبراهيم عليه السلام أنهم قالوا: ﴿حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾ [الأنبياء:٦٨].وقال في شأن الكافر: ((وإذا تولى سعى)) أي: تحرك ﴿في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة:٢٠٥].وقال أيضا: ﴿وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم﴾ [المائدة:٦٢].وقال أيضا: ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ [آل عمران:١٧٦].فهي حركة، لكنها حركة مذمومة مشئومة، تعود عليهم بالوبال والنكال وحبوط الأعمال.ويقول تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ [الأنفال:٣٦].وقال أيضا: ﴿وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة﴾ [الغاشية:٢ – ٣] يعني: كانت في الدنيا عاملة ناصبة، تتعب وتدأب في سبيل التقرب إلى الشركاء من دون الله تبارك وتعالى.وقال عز وجل أيضا: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ [الكهف:١٠٣ – ١٠٥].وقال عز وجل: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ [الفرقان:٢٣].إن حبوط أعمال الكافرين راجع إلى فقدانهم الإيمان، كما قال تعالى: ﴿أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم﴾ [الأحزاب:١٩].فكما أن حركتهم كانت وبالا عليهم فحركة الكافر –أيضا– تصير وبالا عليه في الآخرة؛ لأن هذه الحركة إما أنها تكون في طلب الدنيا، وإما في سبيل دين باطل لا يؤدي الإيمان به إلا إلى جهنم والعياذ بالله، يقول تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ [هود:١٥ – ١٦].وإما أن هذه الحركة كانت في سبيل الصد عن سبيل الله عز وجل، قال عز وجل: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ [محمد:١] أي: الذين كفروا في أنفسهم وفي ذواتهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله أضل أعمالهم.وقال تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ [النحل:٢٥] فكما أن الدال على الخير كفاعله، وكما أن من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، فكذلك في الجانب الآخر يحمل المبطل الداعي إلى الباطل وزره ووزر من يضلهم بغير علم.ومع هذا كله فإن الله سبحانه وتعالى واسى أهل الإيمان وعزاهم فيما يلقون من الألم فقال عز وجل: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [النساء:١٠٤]، وهذا أعظم عزاء ومواساة لما يلقاه المؤمن في زمن غربة الدين حين يكون القبض عليه أشد من قبضه على الجمر.فلا شك في هذا أعظم عزاء؛ لأن كل إنسان في دار الدنيا مبتلى، وكل إنسان يبتلى، ولا أحد أبدا يخرج من ابتلاء الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾ [الإنسان:٢]، وقال سبحانه: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ [الملك:٢].إذا: الابتلاء عام في كل الخلق، لكن

كلما اقترب الإنسان من منهج الأنبياء عليهم السلام كلما زاد حظه من البلاء بسبب قوة دينه وقوة إيمانه، كما بين ذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم.فلا يظنن أي واحد من المسلمين الموحدين المستقيمين على طاعة الله حينما يحترق دمه وتحترق أعصابه من الظلم والقهر ومحاربة الدين صباح مساء من السخرية ومن الحملات والاضطهاد بكل أنواع الاضطهاد في مثل هذا الزمان، لا يظن أن هذا التعب ضائع سدى، بل هذا الانفعال في حد ذاته هو عبادة يثاب عليها، فانفعالك وغضبك لله وتمعر وجهك بسبب انتهاك الفجار لحرمات الله عبادة تثاب عليها، والله سبحانه وتعالى مطلع عليك، ويعرف من قلبك أنك تكره هذا، وأنك تألم له، وأنت تثاب على مجرد هذا الشعور.ومع ذلك ليس هذا فحسب، فلست فقط الذي تتعب، بل أهل الباطل يتعبون، ويسهرون الليالي، لكن ليس في قيام الليل، ولا في تلاوة القرآن، وإنما في الكيد لهذا الدين وأهله، ويبذلون الأموال، ويوظفون الموظفين، وكثير من الجهود يبذل في سبيل إطفاء نور الإسلام وهدم ما بناه الصحابة رضي الله تعالى عنهم، واقتلاع الإسلام من جذوره، ومع ذلك يكون مصيرهم هو ما قال عنه عز وجل: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾ [النساء:١٠٤]، أي: لا تضعفوا ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون﴾ [النساء:١٠٤]، لكن مع فارق، وهو أنكم ترجون بصبركم من الله ما لا يرجون، فأنت إذا صبرت على الأذى ترجو الثواب من الله سبحانه وتعالى، وأما الظالم الذي يحارب الإسلام فليس معه أحد، قال تعالى: ﴿وما للظالمين من نصير﴾ [الحج:٧١]، فلا يمكن أبدا أن يكون لهم ناصر، بل كلهم أعداء لبعضهم في الدنيا وفي الآخرة، كما قال عز وجل: ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ [العنكبوت:٢٥].فليس المؤمنون وحدهم الذين يحتملون الألم والقرح، بل إن أعداءهم كذلك يتألمون وينالهم القرح واللأواء، ولكن شتان بين المؤمنين الذين يتوجهون إلى الله سبحانه وتعالى بجهادهم ويرتقبون عنده جزاءهم، وبين الكافرين الذين هم حيارى تائهون ضائعون مضيعون لا يتجهون إلى الله، فأنت في الشدة وفي العناء تتجه إلى الله سبحانه وتعالى، وتستنصره، وتقول: رب! إني مغلوب فانتصر.أما الكافر فإلى من يتجه؟! هل يستطيع أن يتجه إلى الله سبحانه وتعالى ويدعوه أن ينصره ويعينه على إطفاء نوره والقضاء على دينه؟! فالكافر لا ناصر له ولا ولي له، قال عز وجل: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ [محمد:١١].ولذلك كان الصحابة يرفعون هذا الشعار في مواجهة المشركين حينما يلتقون، وقد أخذ أبو سفيان قبل إسلامه يقول لهم في أحد يوم كانت لهم الجولة: اعل هبل، اعل هبل.ينادي بالعلو لهبل، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أن يردوا عليه ويقولوا: الله أعلى وأجل.فرد الصحابة: الله أعلى وأجل.وحينما قال الكفار لهم: لنا العزى ولا عزى لكم.أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يردوا عليهم قائلين: الله مولانا ولا مولى لكم.فهؤلاء الكافرون ضائعون مضيعون، لا يتجهون إلى الله ولا يرتقبون عنده شيئا في الحياة ولا بعد الحياة، فإذا كانوا مع ذلك يصرون ويدأبون في محاربة الحق فمن الأولى بالإصرار والمثابرة والصبر؟! فما أجدر المؤمنين بأن لا يكفوا عن ابتغاء القوم وتطلبهم وتعقب آثارهم حتى لا تبقى للباطل قوة، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وهذا المعنى هو عين ما نقصده مما سنذكره -إن شاء الله تعالى- من سعي الكافرين ودأبهم في تحصيل الدنيا أو في الصد عن سبيل الله تعالى.وبجانب

هذا معنى ثان أشار إليه صلى الله عليه وآله وسلم فيما روي عنه من قوله: (ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نا." (١)

"أشرف أحوال الاختيارأشرف الأحوال ألا تختار لنفسك حالة سوى ما يختاره لك الله، فإذا كنت تريد أن تدخل في المكان الفلاني، أو تتزوج ابنتك فلانا، أو يتزوج ابنك بنت فلان، أو تحصل على المسألة الفلانية؛ فدع **ذلك كله لله** ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ [القصص:٦٨].فإن قلت: ماذا أختار؟ قال لك الإمام ابن القيم: اختر ألا تختار، ولو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى ثانيا، ولو كان له اثنان لتمنى ثالثا، ولن يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.فكن مع الله في حالة من الرضا، فاللهم اجعلنا من الراضين يا رب.." (٢)

"دور كبار السن في قضية العلم وغيرهQ الأمثلة المذكورة للعلماء الذين ذكروا في الدروس السابقة معظمهم بدءوا في سن مبكرة فما حال الكبار؟A يعني: نحن الآن كبرنا في السن فمنا من أصبح عمره (٢٠) سنة أو (٣٠) سنة أو (٤٠) فقد ذكرتم أن الشافعي حفظ القرآن وهو ابن (٧) سنين وحفظ الموطأ وهو ابن (١٠) سنين.وأحمد بن حنبل كان يريد أن يخرج قبل الفجر من أجل أن يتعلم الحديث وهو لا يزال طفلا صغيرا، وأمه تمسكه وتقول له: لا تخرج قبل الفجر، وهو يريد أن يخرج قبل الفجر لطلب الحديث، فيقول السائل: إذا: ماذا يعمل الكبار؟ نقول: ما أكثر الأمثلة في التاريخ الإسلامي على من بدأ في سن الكبر، وحتى لو لم توجد أمثلة، سنفترض أنك لا تعرف أن موسى بن نصير فتح الأندلس وعمره (٧٢) سنة، ولا أن يوسف بن تاشفين التزم بالإسلام وعمره (٤٦) سنة، وقبل ذلك كان بعيدا تمام البعد عن الفكر الإسلامي والالتزام بتعاليم الشرع، فبدأ طريقه في الالتزام وعمره (٤٦) سنة، وخالد بن الوليد أسلم وعمره (٤٧) سنة، وعمرو بن العاص أسلم وعمره (٥٧) سنة، فالله سبحانه وتعالى أنعم عليهم بالفتح، سواء في مجالات الجهاد أو مجالات العلوم أو مجالات الدعوة، في كل مجالات الإسلام بصفة عامة، لا أريد أن يقول إنسان: إنني قد تأخر بي الزمن، لا، فـ ابن الجوزي رحمه الله بدأ يتقن القراءات العشر ويقرؤها على الشيوخ وعمره فوق (٨٠) سنة، مع العلم الغزير الذي كان عنده في كل فروع العلم، يعني يقول ابن تيمية عن ابن الجوزي: ما أعلم أحدا صنف مثله.في كل الفروع له مصنف رحمه الله، ولكن هناك فرع لم يتعلمه ولم يتخصص فيه في أول حياته وإنما تعلمه وعمره فوق (٨٠) سنة، ألا وهو علم القراءات.أيضا اذكر قول الله عز وجل: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [المدثر:٣٨]، ستحاسب على كل لحظات عمرك لوحدك، فكون العالم كله يضيع وقته ويلعب وينشغل بأمور لا تنفع فاعلم أنك ستحاسب لوحدك يوم القيامة، فالوقت الذي تبقى لك من العمر لعله يوم أو يومان أو عشرة أو عشر سنين أو أكثر **فاستغله كله لله عز** وجل.." (٣)

"كيف تكون صحابيا؟إذا كان مستحيلا في مصطلح أهل الحديث أن تكون صحابيا، فكيف تكون صحابيا في عقيدتك في إيمانك في أفكارك في فهمك لهذا الدين في طموحاتك وأهدافك في حميتك للإسلام في غيرتك على حرمات

---

(١) سلسلة علو الهمة - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٩/١٠

(٢) شرح كتاب الفوائد، عمر عبد الكافي ٦/٣

(٣) كيف تصبح عالما، راغب السرجاني ٧/٧

المسلمين، في التطبيق لكل صغيرة وكبيرة في هذا الدين؟ المقصود في هذه المجموعة أن نفقه الأسباب الحقيقية التي جعلت من الصحابة صحابة، فليس فضل الصحابة فقط أنهم عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاشوا معه في نفس الفترة الزمنية، فقد عاصره أبو جهل وأبو لهب والوليد بن المغيرة وعقبة بن أبي معيط وغيرهم من المشركين، وإنما يرجع فضل الصحابة إلى التزامهم بتعاليم هذا الدين التزاما حرفيا، واتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتباعا دقيقا، وحبهم لهذا الشرع حبا خالصا صادقا حقيقيا.والمقصود في هذه المجموعة أن نكون قوما عمليين، لا أن يكون همنا فقط أننا نسمع الحكايات ونتندر بالروايات، وإنما همنا أن نصل إلى ما وصل إليه هؤلاء العمالقة أو قريبا مما وصلوا إليه، هذا هو المقصود من كلمة: كن صحابيا، وهذا هو المقصود منQ هل أنت صحابي؟ وقد قال لي أحد أصحابي شيئا غريبا جدا، ولعل ذلك الشيء الغريب هذا هو سبب تحضير كل هذه المجموعة من المحاضرات، قال: إنني كلما قرأت قصص الصحابة أو استمعت إليها أصابني اليأس والإحباط.فقلت: سبحان الله! هذا عكس المراد تماما، فنحن نقرأ سير الصحابة والصالحين لكي نتحمس للعمل ولكي ننشط عند الفتور، ثم قلت له: لماذا تشعر بهذا الإحساس؟ قال: لأنني كلما قرأت عن الصحابة وجدت لهم أعمالا يستحيل علينا فعلها، ووجدت إصرارا على الجهاد، ووجدت ثباتا على الإيمان، ووجدت عزيمة على الصيام والقيام والبذل والعطاء، ووجدت مواصلة لأعمال البر والخير، ليلا ونهارا وصيفا وشتاء، ليس هناك فرق بين مرحلة الطفولة ومرحلة الشباب ومرحلة الكهولة أو الشيخوخة، **فالجهد كله لله عز** وجل، والمال كله في سبيل الله، والفكر كله في سبيل الله، وتستطيع أن تقول: الحياة كلها في سبيل الله، فعندما أجد ذلك أشعر بضعفي الشديد وبعدي عن طريقهم، فيسيطر علي الإحباط واليأس.انتهى كلام صاحبي هذا.فقلت له: والله أنا معك في نصف كلامك وأتفق معك فيه تماما، وأما النصف الثاني فأنا أختلف معك فيه اختلافا جذريا، فكما تقول: إن الصحابة جيل فريد، وحياة عجيبة، وعطاء ما انقطع لحظة، ولذلك فقيمته عالية وغالية جدا، ويكفي أن تسمع إلى قول الله عز وجل وهو يقول في حق المهاجرين والأنصار: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ [التوبة:١٠٠]، وانتبه فالله عز وجل لم يذكر شرط الإحسان في عمل الصحابة، وإنما شرط الإحسان في التابعين لهم، فقال: ﴿والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة:١٠٠]؛ لأن الصحابة كلهم قد عملوا بإحسان، وهذا معلوم ضمنا من حال الصحابة، فتأمل الدرجة كيف هي عالية وغالية عند الله سبحانه وتعالى وعند الرسول وعند كل المؤمنين، وهذا هو الذي أتفق فيه معك، لكن ما أختلف فيه معك هو الشعور بالإحباط واليأس عند سماع هذه الحكايات وعند قراءة هذه السيرة، فبدلا من الإحباط واليأس هناك شيء أفضل من ذلك، ألا وهو أن نشغل أنفسنا بمعرفة كيف سبق السابقون؟ وكيف اللحاق بهم؟ والمسألة بالعقل، وتعالوا لنفكر معا، فنقول: ما دام أن الصحابة قد ساروا في طريق معروف وواضح، وهذا الطريق موصوف لنا كما وصف لهم، وذلك في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، إذا فالتعرف على الطريق والسير فيه يضمن لنا أن نصل إلى ما وصلوا إليه، والمثال يوضح ذلك: فلو قلت لك: امش في هذا الطريق ولا تتجه يمينا ولا يسارا، وستجد نفسك في الإسكندرية، طريق مستقيم من هذه النقطة إلى تلك النقطة، وأي واحد سيسلكه سيوصله إلى الإسكندرية، وكذلك الصحابي مشى في الطريق ولم يتجه

يمينا ولا يسارا، حتى وصل إلى ما كان يريد أن يصل إليه، والذي منا سيمشي في نفس الطريق من غير أن يتجه يمينا ولا شمالا سيصل إلى نفس الذي وصل إليه الصحابة، ولذلك فإن المشكلة أننا كثيرا ما نتجه يمينا ويسارا، فمرة تريد أن تستكشف طرقا جانبية فتبتعد عن الطريق المستقيم، ومرة تفكر أنك أذكى من الشرع تستطيع أن تأخذ طرقا مختصرة لتصل سريعا، بينما الأصل أن الطريق المستقيم هو أقصر الطرق، وطريق الشرع هو دائما الطريق المستقيم من غير يمين ولا شمال، وانظر إلى ربنا وهو يقول: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة:٦]، تقولها سبع عشرة مرة على الأقل كل يوم في صلاتك، وذلك حتى تتربى وتتعلم.ويقول الله تعالى: ((."[(١)]

"الفصل الثالث: شروط الدعاء وموانع الإجابة((الأدعيةُ، والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاحُ بضاربه، لا بحدِّه فقط، فمتى كان السلاحُ سلاحاً تامّاً، لا آفة به، والساعدُ ساعداً قويّاً، والمانعُ مفقوداً، حصلت به النكاية في العدوِّ، ومتى تخلَّف واحدٌ من هذه الثلاثة، تخلَّف التأثير، فإن كان الدعاءُ في نفسه غيرَ صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه، أو كان ثَمَّ مانعٌ من الإجابة، لم يحصل التأثير)) (١)، وإليك شروط الدعاء، وموانع الإجابة في المبحثين الآتيين:المبحث الأول: شروط الدعاءالشرط: لغة: العلامة، واصطلاحاً: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود، ولا عدم لذاته (٢).من أعظم وأهم شروط قبول الدعاء ما يأتي:الشرط الأول: الإخلاص: وهو تصفية الدعاء، والعمل من كل ما يشوبه، وصرف **ذلك كلّه لله وحده**، لا شرك فيه، ولا رياء، ولا سمعة، ولا طلباً للعرض الزائل، ولا تصنعاً، وإنما يرجو العبد ثواب ________(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، ص٣٦، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.(٢) الفوائد الجلية في المباحث الفرضية لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص١٢، وعدة الباحث في أحكام التوارث للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد، ص٤.." [(٢)]

"بحكم رحمته، وعدله، كتب على نفسه الرحمة، وحرّم على نفسه الظلم (١).تاسعاً: عن عتبان بن مالك – رضي الله عنه –، يرفعه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((.. فإن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله)) (٢).* المسلك الثالث: أنواع التوحيدالله – سبحانه وتعالى –: هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، فإفراده تعالى وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين كله لله، هذا هو توحيد الألوهية: وهو معنى ((لا إله إلا الله))، وهذا التوحيد يتضمن جميع أنواع التوحيد (٣) ويستلزمها؛ فإن التوحيد نوعان:النوع الأول: التوحيد الخبري العلمي الاعتقادي (٤): وهو توحيد في المعرفة والإثبات، وهو: توحيد الربوبية، والأسماء، والصفات، وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتكلّمه بكتبه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمته، وتنزيهه عمَّا لا يليق به.النوع الثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي: وهو توحيد في ________(١) انظر: المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ١/ ٢٠٣، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٤٥، ومجموع فتاوى ابن تيمية، ١/ ٢١٣.(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت،١/ ١٢٥،برقم ٤٢٥،ومسلم، كتاب المساجد

---

(١) كن صحابيا، راغب السرجاني ٢/٣

(٢) شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٩

ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ١/ ٤٥٥،برقم ٣٣.(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ص٧٤، والقول السديد، للسعدي، ص١٧، وبيان حقيقة التوحيد، للشيخ صالح الفوزان، ص٢٠.(٤) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/ ٤٤٩.." (١)

"عمران، وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك (١).النوع الثالث: توحيد الإلهية، ويقال له: توحيد العبادة، وهو الاعتقاد الجازم - مع العلم والعمل والاعتراف - بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين كله لله، وهو يستلزم توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعمُّ أوصاف الكمال، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة؛ فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والإفضال، فتوحُّدُهُ سبحانه بصفات الكمال، وتفرّدُه بالربوبية، يلزم منه أن لا يستحقّ العبادة أحد سواه.وتوحيد الألوهية باختصار: هو إفراد الله تعالى بعبادة العباد.وتوحيد الألوهية: هو مقصود دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم. وهذا النوع قد تضمنته سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَاالْكَافِرُونَ﴾، و ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ الله وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٢)، وأول سورة السجدة وآخرها، وأول سورة غافر ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وغالب سور القرآن. ______________(١) انظر: فتح المجيد، ص١٧، والقول السديد في مقاصد التوحيد لعبد الرحمن السعدي، ص١٤ - ١٧، ومعارج القبول، ١/ ٩٩.(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.." (٢)

"آداب الدعاء وأسباب الإجابة (١):بعد أن ذكر المؤلف وفقه اللَّه تعالى فضل الدعاء من الكتاب والسنة، ذكر آداب الدعاء، وأسباب الإجابة باختصار على النحو الآتي:١ - الإخلاص للَّه.وهذا هو أعظم شروط (٢) قبول الدعاء وأهمها، وأوكدها، فالإخلاص في الدعاء للَّه تعالى هو الذي تدور عليه دوائر الإجابة، فهو روح العبادة، وهو أحد شرطي قبول العمل، وقد أمرنا - سبحانه وتعالى - أن ندعوه مخلصين له الدين، قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣).والإخلاص في الدعاء ((هو تصفية الدعاء، والعمل من كل ما يشوبه، وصرف **ذلك كله للَّه تعالى** وحده، لا شريك له، ولا رياء ولا سمعة ...)) (٤).وجاءت السنة النبوية في تأكيد هذا المطلب العظيم، فعن عبد اللَّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ((كنت خلف النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ((يَا غُلامُ، إِنِّي ______________(١) انظر هذه الآداب وأسباب الإجابة مع أدلتها في الأصل، ٣/ ٩٢٧ - ٩٧٥.(٢) الشيخ - حفظه الله - قد فصل في تبويب هذه الآداب، في كتابه النفيس: ((شروط الدعاء))، فارجع إليه، ص ٢٤.(٣) سورة غافر، الآية: ١٤.(٤) شروط الدعاء للمؤلف، ص ٢٤.." (٣)

---

(١) نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٨٢

(٢) نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٨٤

(٣) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٢٧

"الشرح:في هذا الحديث بيان لأمرٍ عظيمٍ، وشأنٍ خطيرٍ وكبيرٍ، وهو أن الله جلّ قدره هو الذي يتولّى قلوب العباد بنفسه، فيصرّفها كلها كقلبٍ واحدٍ كيف يشاء، باقتدار تام، لا يشغله قلب عن قلب، وأنه هو جلّ وعلا يتولّى الأمر بنفسه، لا يكله لأحدٍ من الملائكة، ولم يُطلِعْ أحداً على سرائره من خلقه لمحض رحمته وفضله، وكمال حكمته جلّ وعلا، وفيه بيان أن العبد ليس إليه شيء من أمر سعادته، أو شقاوته، بل إن الأمر كلّه لله، فإن اهتدى فبهداية الله تعالى إيَّاه، وإن ضلّ فبصرفه له بحكمته وعدله، وعلمه السابق – عز وجل –، فلعظم هذا الأمر كان سيد الأولين والآخرين، المزكَّى من رب العالمين، مفتقراً إلى الله – عز وجل – في كل حين بالدعاء؛ لتثبيت قلبه على دينه وطاعته، فكيف بنا نحن؟ فهذا التعليم المهمّ منه – صلى الله عليه وسلم – لأمته أنيكونوا ملازمين لمقام الخوف، مشفقين غير آمنين من سلب الدين واليقين والإيمان، [ولكن مع ذلك لا ييأسون من رحمة الله تعالى، بل يجمع العبد بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة] (١).قوله: ((صرِّف قلوبنا على طاعتك)): أي ثبِّت قلوبنا، واصرفها إلى طاعتك ومرضاتك في كل ما تحبه من الأقوال، والأعمال والأخلاق. ____________(١) انظر: أوراد الذاكرين، ص ١٥٢، وفقه الأدعية، ٤/ ٤٨٤.." [1]

"ويقوى هذا السمع والطاعة عند كثير من العشاق حتى يبذل نفْسَه ويُسْلِمها للتلف في طاعة معشوقة، كما يبذل المجاهد نفسه لربه حتى يُقتل في سبيله.وإذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد قال: " مُدْمن الخمر كعابد وثن " (١)، ومَرّ عليُّ ابن أبي طالب – رضي الله عنه – بقومٍ يلعبون بالشطرنج فقال: " ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ".فما الظن بالعاشق المتيّم الفاني في معشوقه؟!) انتهى (٢).وقال — رحمه الله –: (والفتنة بعشق الصُّوَر تنافي أن يكون دين **العبد كله لله بل** ينقص من كوْن دينه لله بحسب ما حصل له من فتنة العشق، وربما أخرجتْ صاحبه من أن يبقى معه شيء من الدين لله) انتهى (٣)، وقال أيضاً: (وكذلك فتنة العشق من أعظم الفتن).وقال بعضُ أهلِ العلم: (وكم أكبَّت فتنة العشق رؤوساً على مناخرها في الجحيم، وأسلمتهم إلى مقاساةِ العذاب الأليم، وجَرَّعَتْهُم بين أطباق النار ____________(١) رواه ابن ماجه برقم (٣٣٧٥) عن أبي هريرة — رضي الله عنه —، وفي رواية أخرى قال – صلى الله عليه وسلم –: (مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن) رواه الإمام أحمد برقم (٢٤٥٣) عن ابن عباس — رضي الله عنهما —.(٢) إغاثة اللهفان، ٢/ ١٥٣.(٣) إغاثة اللهفان، ٢/ ١٥٨.." [2]

"كان فقيرا فليأكل بالمعروف.وهكذا على كل مسئول أن يكون أمينا على المال العام، فعليك أخي الحبيب ألا تستعمل الهاتف في مكان عملك إلا بعد أن تدفع ثمن المكالمة للمؤسسة.لا ترفع صوتك على حديث النبيعن أنس بن مالك: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شرا، كان يرفع صوته فوق صوت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال: كذا وكذا، فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: "اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة" [رواه البخاري].إنه من ورع المتقين، إذا

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٣٤١

(٢) منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين، عبد الكريم الحميد ص/٧١

ذكر حديث للرسول – صلى الله عليه وسلم – فيجب أن نقول سمعنا وأطعنا، ولا ترتفع أصواتنا على أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم –.ورع التابعينكان دخل عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله لله، حتى لم يبق له دخل سوى أربعمائة دينار في كل سنة، ونحن نرى الناس يتولون الحكم فقراء، فيخرجون منه أثرياء أصحاب ثروات طائلة، وأرصدة في البنوك في الداخل والخارج، ولكن عمر بن عبد العزيز كان ثريا من أثرياء بني أمية فإذا به يصبح بعد الحكم والخلافة فقيرا، وهذا هو التورع عن أي شيء فيه شبهة.إن الذي أفسد الحياة الإسلامية قبل عمر بن عبد العزيز هو نهب الأموال العامة، والطمع فيها، وأن كل إنسان يريد أن يكون لنفسه ثروة، خاصة من أفراد بيت بني أمية، ولكن عمر بن عبد العزيز اعتبر هذه الأموال مظالم ورد هذه المظالم إلى أهلها، فمن عرف له حق عند أمير من أمراء بني أمية، فمن حقه أن يشكو، ومن حق شكواه أن تسمع، ومن حق ظلامته أن ترد، وما لم يعرف له صاحب، فليؤخذ ويوضع في بيت مال المسلمين، وهذه هي سياسة عمر بن عبد العزيز.كان شديدا على نفسه وعلى أهله، لم يسمح لنفسه أن يشم ريح عنبرة جاءت إلى بيت المال فوضع يده على أنفه، قيل له: يا أمير الؤمنين إنها تشم! قال: وهل لها فائدة إلا الشم؟." (١)

"يختاره بإذنه، ليس لهم من الأمر شيء، ولا حول ولا قوة، ولكن الله يختارهم لتنفيذ مشيئته، فيكون منهم ما يريده بإذنه، وهي حقيقة خليقة بأن تملأ قلب المؤمن بالسلام والطمأنينة واليقين (١).وقفةقال البنا: إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهم الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة.واعلموا أن الموت لابد منه، وأنه لا يكن إلا مرة واحدة، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، وتدبروا جيدا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن **الأمر كله لله يخفون** في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ [آل عمران: ١٥٤]. فاعملوا للموتة الكبرى تظفروا بالسعادة الكاملة.عزاء والد الشهيديقول الأستاذ عمر التلمساني: لقد أحيا الإمام الشهيد البنا روح الجهاد في نفوس أبناء هذا الجيل، وتأثر الإمام، وتأثر الشباب، وتأثر آباؤهم وكانت مواقف رائعة.استشهد أحد أبناء الإخوان في فلسطين، فذهب الإمام إلى والد الشهيد ليعزيه، فسمع الناس ورأوا درسا باهرا، وقال الوالد للإمام: إن كنت جئت معزيا فارجع أنت ومن معك. وأما إن كنت جئت لتهمئني فمرحبا بك وبمن معك، لقد علمتنا الجهاد وبينت لنا ما فيه من عزة ورفعة في الدنيا، وأجر كريم في الآخرة فجزاك الله خيرا، وإني لحريص على ________________(١) في ظلال القرآن: (١/ ٢٧٠).." (٢)

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ١٤٩/١

(٢) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ١٩٨/٢

"إنما الدنيا سوق واحد خرج الناس منها بما يضرهم أو ينفعهم، وخير المكاسب الطاعات، وشر المكاسب المعاصي، والناس في ذلك راتعون.والله عز وجل أرسل إلى الأمم السابقة أنبياء ابتعثهم إلى قومهم خاصة، فكان منهم المؤمن والكافر.ثم إنه سبحانه بعث نبيه المصطفى المختار من جميع ولد آدم محمدا – صلى الله عليه وسلم –، وأرسله إلى جميع الثقلين الإنس والجن.فختم به الرسل .. ونسخ بملته جميع الملل .. وأرسله إلى خير الأمم .. وهي هذه الأمة .. بأحسن الشرائع وهي الإسلام .. وأنزل عليه أحسن الكتب .. بأحسن اللغات وهي العربية.وخصه سبحانه بهذا الدين الكامل .. والنعمة التامة .. واصطفاه على جميع الأنبياء والرسل .. فهو سيد الأولين والآخرين .. واتخذه خليلا ورسولا .. فلا نبي بعده .. ولا شريعة بعد شريعته إلى يوم القيامة.ولما كانت الدنيا ليست بدار قرار، ولكنها دار ابتلاء واختبار، ومجاز إلى دار الخلود، وتبين أنه لا فائدة في الدنيا إلا بالإيمان بالله، والعلم بما أمر الله ورسوله به، والعمل به، وتعليمه الناس في مشارق الأرض ومغاربها، ودعوة الخلق إليه، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.لذا فكل ما يتنافس فيه الناس من أمور الدنيا، وملاحقة الشهوات، واتباع الأهواء، وعبادة المال، كله غرور وباطل، يعرض العبد للعقوبة والألم، ويملأ قلبه بالوحشة والحسرة في الدنيا والآخرة.وأكثر ما يطالعه الناس سوى القرآن والسنة، وكلام سلف الأمة، من المكتوب والمسموع والمرئي، أكثره لغو وغثاء، وشغل للأوقات بما لايفيد، وليس فيه إلا تضييع الزمان، وتشتيت الأذهان، وجلب العداوة بين الإخوان، ومزاحمة كلام الرحمن، وسنة سيد الأنام، وعمارة الدنيا، والزهد في أعمال الآخرة، ونقل عوام المسلمين من اليقين والرغبة في العمل الصالح، إلى الشك والحيرة." (١)

"عليم قدير (٥٠)﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].إن مبدع هذه المخلوقات العظيمة، وخالق هذه الكائنات العجيبة، هو الرب الملك القادر، الذي يستحق أن يعبد وحده، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يتلقى منه وحده منهج الحياة كله، وأن لا يكون لغيره أمر ولا نهي، ولا شرع ولا حكم، ولا تحليل ولا تحريم، **فذلك كله لله وحده** لا شريك له.وكل هذه المخلوقات، وكل هذه الكائنات تجري وفق سنة كونية أودعها الله في هذا الكون، يصاحبها قدر الله المصاحب لكل مخلوق.وكلما حدث حدث وفق سنة الله، وكلما تمت حركة وفق قدر الله، انتفض هذا القلب، يرى قدر الله ينفذ، ويرى الخالق يخلق، ويرى الملك يدبر في ملكه، ويرى الكريم يجود بفضله على خلقه آناء الليل وآناء النهار.فيسبح بحمد ربه، ويكبره ويعظمه، ويذكره ويراقبه في كل لحظة، وفي كل حركة، ويشارك المخلوقات في أداء هذه العبادة لربه: ﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم (١)﴾ [الجمعة: ١].ألا ما أعظم ربنا .. وما أعظم قدرته .. وما أعظم خلقه .. وما أسعد من أطاعه .. ؟.فهل من ذاكر؟، وهل من شاكر؟، وهل من منيب؟، وهل من مستجيب؟.وهل بقي بعد ذلك مجال لغير السمع والطاعة لله والرسول؟: ﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون (٢٤)﴾ [الأنفال: ٢٤].فما أحسن الاستجابة لله والرسول، وما أجدر العاقل بذلك، وإن التولي عن الرسول وما جاء به من الدين بعد هذا كله ليبدو مستنكرا

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٦/١

قبيحا، لا يقدم عليه إنسان له قلب يتدبر، وعقل يتفكر: ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (٢٠)﴾ [الأنفال: ٢٠].وهل يليق بالإنسان أن يعيش كالبهائم والأنعام والدواب؟، بل شر من الدواب،." (١)

"وهو سبحانه الولي الحميد، الذي والى بين منحه ونعمه، وتابع بين آلائه ومننه، وأنعم على الخلائق بنعم لا تعد ولا تحصى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم (١٨)﴾ [النحل: ١٨].فله الحمد على كماله .. وله الحمد على جماله .. وله الحمد على جلاله .. وله الحمد على آلائه وإحسانه.وله الحمد كثيرا، كما ينعم كثيرا، ويعطي كثيرا، ويعفو كثيرا، حمدا يوافي نعمه، ويكافي مزيده.وله الحمد على العطاء .. وله الحمد على منع البلاء .. وله الحمد حيث أنعم علي وعلى غيري .. وله الحمد على ما أعطاني من الخير .. وله الحمد على ما صرف عني من الشر .. وله الحمد حيث لم يقطع عني رزقه مع كثرة ما أعصيه: ﴿فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين (٣٦)﴾ [الجاثية: ٣٦].وهو سبحانه الحميد الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودا، وإن لم يحمده غيره فهو حميد في نفسه.**والحمد كله لله رب** العالمين، وحمده سبحانه نوعان:حمد على إحسانه إلى عباده في الدنيا والآخرة.وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وصفات جماله وجلاله، فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق، وهو أحق من كل محمود بالحمد.فالله عز وجل هو المحمود على ما خلقه .. وما أمر به، ونهى عنه .. وهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم .. وعلى إيمانهم وكفرهم .. وهو المحمود على خلق الأبرار والفجار .. والملائكة والشياطين .. وعلى خلق الرسل وأعدائهم .. وهو المحمود على عدله في أعدائه .. كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه.وهو سبحانه الحميد، الذي كل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده، وشاهدة بمجده: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا." (٢)

"كما قال سبحانه: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٨٢)﴾ [يس:٨٢].فهذه الكلمات لا يجاوزها بر ولا فاجر .. ولا يخرج أحد عن القدر المقدور .. ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور.فالكلمات نوعان:إحداهما: كلمات يكون الله بها الكون، وهي المتضمنة لخلقه وتدبيره لهذا الكون، وما فيه من المخلوقات.والأخرى: كلمات دينية، المتضمنة لأمره ونهيه كالكتب الإلهية التي أنزلها الله على رسله كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن.فكلمات الله التامات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر ليست هي أمره ونهيه الشرعيين، فإن الفجار عصوا أمره ونهيه.بل هي التي كون بها الكائنات، ودبر بها المخلوقات، وقهر بها أهل العقوبات.فسبحانه الواحد القهار: ﴿بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (١١٧)﴾ [البقرة: ١١٧].فأوامر الله نوعان:الأول: أمر كوني لا بد من وقوعه ولا يمكن لأحد رده كما قال سبحانه: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٨٢)﴾ [يس: ٨٢].والثاني: أمر ديني شرعي، يأمر الله به عباده عن طريق رسله، فمنهم من يؤمن به، ومنهم من يخالفه كما قال سبحانه: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون (٩٠)﴾ ... [النحل: ٩٠].والأمر الكوني القدري، والأمر الديني

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٧١/١

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٥٤/١

الشرعي، كله لله، فلا خالق ولا مدبر لهذا الكون إلا الله وحده لا شريك له، ولا مشرع للعباد إلا ربهم وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ [آل عمران: ١٥٤].." (١)

"والإيمان بالله وإخلاص الدين له، وتحقيق عبودية البشر لله سبحانه إن هي إلا فرع من إسلام الوجود كله لله، وعبودية الوجود كله لربه.إن الإنسان إذا نظر في هذا الكون العظيم الهائل .. لا بد أن يهتز من أعماقه بالشعور القاهر بوجود الخالق البارئ المصور .. العزيز القادر الذي خلق هذا الكون .. ويدبر أمره .. ويصرف أحواله ومخلوقاته .. وله الخلق والأمر في ملكه.فمتى يقبل هذا القلب على ربه ويؤمن به؟.ومتى يتحرك إلى الاستجابة لداعيه؟.ومتى يستسلم لربه، كما استسلم هذا الوجود كله بالطاعة لخالقه؟.﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون (٨٣)﴾ [آل عمران: ٨٣].وبذلك يستشعر القلب حقيقة العبودية، ويذوق طعمها، ويتلذذ بها، في استسلام الواثق المطمئن، الذي يستشعر أن كل ما حوله من الكائنات والبشر يشاركه ويتجاوب معه في طاعة الرب وعبادته.إن الذي يحرك العبد لعبادة ربه وتوحيده ليس فقط البرهان العقلي الذي يدل على استسلام الكائنات لربها في طواعية ويسر، بل هناك مذاق آخر.مذاق المشاركة مع كافة المخلوقات في السماء والأرض في الطاعة.ومذاق الطمأنينة للقلب هذا الرب العظيم الكريم.ومذاق الانسياق مع موكب الإيمان الشامل بالمحبة والشوق.إنه مذاق العبودية الراضية .. التي لا يسوقها القسر .. ولا يحركها القهر.إنما تحركها قبل الأمر والتكليف عاطفة الود والطمأنينة، والانسجام مع الكون كله في طاعة الرب، فلا تفكر في التهرب من الأمر، لأنها إنما تلبي حاجتها الفطرية في الاستسلام للرب الكريم، الذي بيده كل شيء، وتقف بين يديه، ولا تتجه لأحد سواه.." (٢)

"على الله وحده.فكل المخلوقات محتاجة في وجودها إلى الله .. ومحتاجة في بقائها إلى الله .. ومحتاجة في تأثيرها إلى الله .. فهي لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله.وكل ما في الكون ملك لله يعطي منه من يشاء، ويسلبه إذا شاء كما قال سبحانه: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير (٢٦)﴾ [آل عمران: ٢٦].والماء والنار والرياح مخلوقات عظيمة ولكن ليس بيدها شيء، وهي في قبضة الله، يصرفها كيف يشاء هي وجميع الكائنات في السماء والأرض.إن أمرها الله بالنفع نفذت أمر الله .. وإن أمرها بالضر نفذت أمر الله .. وهي عبيد من عبيده سبحانه، لا تعصي له أمرا .. ولا تملك إلا الطاعة لفاطرها ومبدعها: ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا (٩٣) لقد أحصاهم وعدهم عدا (٩٤)﴾ [مريم: ٩٣، ٩٤].فالخلق كله **والأمر كله لله وحده** لا شريك له: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)﴾ [الأعراف: ٥٤].فالله على كل شيء قدير .. إن شاء أنزل الماء بالسنة الجارية، كما ينزل من السحاب .. وإن شاء أخرجه بضد الأسباب .. كما فجره عيونا من الحجارة اليابسة لموسى – صلى الله عليه وسلم – وقومه.وقد جعل الله في الدنيا حياة الأسباب موجودة، وحياة الأعمال موجودة.فمن اجتهد على الأسباب، جاء عنده اليقين على الأسباب، ومن اجتهد على الإيمان والأعمال، جاء عنده اليقين

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٤٢٦/١

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٧٣٠/١

على قدرة الله عز وجل.والله عز وجل يقضي الحاجات بالإيمان والأعمال قطعا، ويقضيها بالأسباب امتحانا وابتلاء للمؤمن، واطمئنانا للكافر.وأحيانا نفعل الأسباب ولا تظهر النتائج لتذكير العباد بالخالق.والله سبحانه يقضي حاجات العباد بهذا وهذا، بقدرته من الأرض أو من." (١)

"والأسباب من أموال وتراب، ونبات وحيوان وغيرها، ليس بيدها شيء، وإنما الأمر كله لله، وهي أمام رب الأسباب كالخدم ينفقون من خزائن الملك بأمره.فلو أن ملكا من الملوك جعل لقصره مائة باب، وجعل على كل باب خادما، وقال لكل خادم من جاء من الناس يسأل فأعطه فلسا فقط، فإن اعترض معترض، فقل هذه أوامر الملك، وأنا ليس بيدي شيء.فجاء جليس الملك وقال: أنا أحتاج مائة ألف فأعطني؟.فقال الخادم: أنا لا أملك أن أعطيك إلا فلسا واحدا فقط، لكن إن كنت من خواصه فادخل عليه من الباب الآخر، وهو يعطيك إذا شاء ما يريد.ولله المثل الأعلى، جميع الأسباب جعلها الله بابا صغيرا ينتفع منه الناس كلهم مؤمنهم وكافرهم، والله يرزقهم بواسطتها، فهذا باب الأسباب.أما العطاء الجزيل، العطاء الكبير، فالله يعطيه بنفسه، فيطلب من الملك مباشرة بالإيمان والأعمال الصالحة كما قال سبحانه: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (٩٦)﴾ [الأعراف: ٩٦].وقال الله سبحانه: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣].وإذا عاش الإنسان مع الأسباب بدون الإيمان نزلت به خمس عقوبات، كل واحدة أشد مما قبلها:الأولى: الإسراف: فإن من لم يتقيد بأوامر الله وحدوده، أصيب بآفة الإسراف، وبغض الله له، فهو مسرف على نفسه، ومحروم من محبة الله، فإن الله لا يحب المسرفين.الثانية: التبذير: فبعد الإسراف يأتي التبذير، لعدم الإيمان بالله، فهو يسرف ثم يبذر، والتبذير من صفات الشياطين، فيكون أخا لهم، لأنه اتصف بصفاتهم: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا (٢٧)﴾ [الإسراء: ٢٧].." (٢)

"لأمره كما قال سبحانه في الحالين: ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٩) فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (١٠)﴾ [الجمعة: ٩، ١٠].والأموال والأسباب مثل حنفيات الماء مظهر المنافع، ليست موجدة للمنافع، لأن المنافع عندالله وبيد الله.فكما أن كل حنفية لها علاقة بخزان الماء تكون سببا لخروج الماء، لا أنها موجدة للماء.وكل حنفية ليس لها علاقة بخزان الماء لا تعطيك قطرة ماء، ولو مكثت الدهر كله.فكذلك جميع المنافع والخلائق والأحوال في خزائن الله سبحانه.تأتي بأمره .. وتزيد بأمره .. وتنقص بأمره .. وتتحرك بأمره .. وتسكن بأمره .. وتظهر على الأموال والأسباب بأمره.فزوال العطش بأمر الله، وقد جعل الله الماء سببا لزوال العطش فنشربه لأمر الله ولا نعتمد عليه في زوال العطش.وقد يجعل الله الماء سببا لزيادة العطش، كا حصل لبني إسرائيل لما شربوا من النهر، فكلما شربوا من النهر زاد العطش.فزوال العطش بأمر الله وحده، والماء سبب، وزوال الجوع بأمر الله وحده، والطعام سبب، والله هو الذي يطعم

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٨١٥/١

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٩٥٠/١

ويسقي كما قال سبحانه: ﴿والذي هو يطعمني ويسقين (٧٩) وإذا مرضت فهو يشفين (٨٠)﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠].فالله سبحانه هو الذي بيده كل شيء، وليس بيد أحد من الخلق شيء، فالأمر كله لله، والأمر لله من قبل ومن بعد.والمؤمن كلما ترك أوامر الله سلط الله عليه الكفار يؤذونه، ويعذبونه ويذلونه حتى يعود إلى ربه فيحفظه منهم.." (١)

"السحرة: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ [البقرة: ١٠٢].والأمر كله لله، والله لا مقيد لمشيئته، فالمشيئة التي تريد النتيجة، هي ذاتها التي تيسر الأسباب.فلا تعارض بين تعليق النصر بالمشية ووجود الأسباب، وهذا الكون وما يجري فيه كله يسير وفق مشيئة الله: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥)﴾ [الروم: ٤، ٥].فالعقيدة الصحيحة ترد الأمر كله لله، ولكنها لا تعفي البشر من الأخذ بالأسباب المشروعة، والتي من شأنها أن تظهر النتائج إلى عالم الشهادة والواقع بأمر الله.أما إن تحقق تلك النتائج فعلا أو لا تحقق فليس داخلا في التكليف، لأن مرد ذلك في النهاية إلى تدبير الله، فالتوكل مقيد بالأخذ بالأسباب، ورد الأمر بعد ذلك إلى الله وحده، وهذا محل الابتلاء.وظاهر الأسباب في الدنيا هو من أساس حكمة الحياة، أن يكون ظاهرا أمامك أن هذا يعطي، وهذا يمنع.وهذا يستطيع أن يعطيك المال والخير، وهذا يستطيع أن يمنع عنك الرزق.وأنت إما أن تندفع لإرضاء بشر على حساب معصية الله، وإما أن تلتزم بمنهج الله ولا تخشى أحدا.فظاهرية الملك .. وظاهرية الأسباب .. لازمة في الحياة الدنيا .. غير لازمة في الآخرة.ولذلك فإن هذا الظاهر، وهذه الأسباب، كل ذلك يختفي في الآخرة، ويكون الشيء مباشرة من الله لعبيده.لماذا؟ .. لأن الآخرة هي دار الخلود، وليست مرحلة اختبار للعباد.فظاهر الملك في الدنيا لأحد غير الله، هو أمر تقتضيه طبيعة الحياة الدنيا، من." (٢)

"وجهلها، وتقصيرها وتفريطها، وأنها ليست بشيء، ولا بيدها شيء، ولا تقدر على شيء.فإذا صار هذان العلمان صبغة لها علمت حينئذ أن الأمر كله لله، وأن الحمد كله لله، والخير كله بيد الله، وأنه سبحانه المستحق للحمد والثناء والمدح دونها، وأنها هي أولى بالذم والعيب، والفقر والذل واللوم.ومن أعجب الأشياء:أن تعرف ربك ثم لا تحبه .. وأن تسمع داعيه ثم لا تجيبه .. وأن تعرف قدر نعمه ثم لا تشكره .. وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره .. وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له بمعصيته .. وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته.وأعجب من هذا:علمك بأنك راجع إليه، حامل أوزارك بين يديك، ومعروضة أعمالك عليه .. فسبحان الله كم لعب الشيطان بعقول الناس وأفسد حياتهم؟.ونعم الله على العباد ثلاث:نعم حاصلة يعلم بها العبد .. ونعم حاصلة هو فيها لا يشعر بها .. ونعم منتظرة يرجوها.فإذا أراد الله عز وجل إتمام نعمته على عبده عرفه نعمته الحاضرة، وأعانه على شكرها حتى لا تشرد، فإنها تقيد بالشكر، وتشرد بالمعصية.ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصره لاجتناب الطرق التي تسدها وتمنع وصولها.وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها ليشكر ربه عليها.والله عز وجل أعطى من شاء من خلقه من النعم، كالملك أو المال أو

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٩٥٣/١

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٩٦١/١

الجاه، أو الأشياء، أو القوة، لينظر من يستخدمها كما أمر الله، ومن يضحي بها من أجل الدين، ومن يستعملها في طاعة الله، وفي إعلاء كلمة الله، ومن يشكره ويحمده." (١)

"عائذ برضاه من سخطه، وبعفوه من عقوبته، وبه منه، مستجير وملتجئ إليه.يعلم يقينا أنه إذا تخلى عنه، وخلى بينه وبين نفسه، وقع في أمثالها أو شر منها، وأنه لا سبيل إلى الإقلاع عنها والتوبة منها إلا بتوفيقه سبحانه وإعانته، وأن ذلك كله بيده سبحانه لا بيد غيره.ويستيقن أنه أعجز وأضعف وأقل من أن يوفق نفسه، أو يأتي بما يرضي سيده بدون إذنه ومشيئته وإعانته.فهو ملتجئ إليه، ملق نفسه بين يديه، يعلم أن الخير كله بيديه، وأنه ولي نعمته، أعطاها له بدون سؤال، وابتدأه بها من غير استحقاق، وأجراها عليه، وساقها إليه، مع تبغضه إليه بإعراضه وغفلته ومعصيته، فحظه وحقه سبحانه الحمد والشكر والثناء، وحظ العبد الندم والنقص والعيب والتقصير.**فالحمد كله لله رب** العالمين، والفضل كله منه، والمنة كلها له، والخير كله في يديه.فمنه سبحانه الإحسان، ومن العبد الإساءة، ومنه التودد إلى العبد بنعمه، ومن العبد التبغض إلى ربه بمعاصيه.وأما عبودية النعم: فمعرفتها والاعتراف بها أولا، وعدم إضافتها إلى سواه وإن كان سببا، فهو مسببه ومقيمه، فالنعمة منه وحده بكل وجه واعتبار، ثم الثناء بها عليه، ومحبته عليها، وشكره باستعمالها في طاعته.ومن لطائف التعبد بالنعم أن يستكثر قليلها عليه .. ويستقل كثير شكره عليها .. ويعلم أنها وصلت إليه من سيده من غير ثمن بذله فيها .. وأنها لله لا للعبد .. فلا تزيده النعمة إلا انكسارا وذلا وتواضعا ومحبة للمنعم .. وكلما جدد الله له نعمة أحدث لها عبودية ومحبة، وخضوعا وذلا .. وكلما أحدث له قبضا أحدث له رضى .. وكلما أحدث العبد ذنبا أحدث له توبة وانكسارا واعتذارا.فهذا هو العبد الكيس: الذي عرف أن مولاه واحد، بيده كل شيء، ومنه كل شيء، فأحبه وتولاه، ولزم بابه.." (٢)

"إن الإسلام هو الدين الحق الذي جاء لتحطيم الأصنام الحجرية والخشبية التي تعبد من دون الله، وتوجيه الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له.كما جاء الإسلام ليقيم مفرق الطريق بين الدينونة لله وحده في كل أمر وفي كل شأن من شئون الحياة، وبين الدينونة لغيره في كل هيئة وفي كل صورة، وفي كل شأن من شئون الحياة.فلا بد من عرض الهيئات والصور والحركات على الشرع الإلهي، وتتبعها عند كل فرد، لتضبط وتعرف ويقرر ما إذا كانت توحيدا أم شركا؟موافقة لهدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أم مخالفة له؟يدين بها العبد لله وحده، أم لشتى الطواغيت؟إن دين الله عز وجل منهج كامل شامل لجزئيات الحياة اليومية.والدينونة لله في كل جزئية من جزئيات الحياة، فضلا عن أصولها وكلياتها، هي دين الله، وهو الإسلام الذي رضيه الله لنا إلى يوم القيامة، فلا يقبل من أحد دينا سواه.والشرك لا يتمثل فحسب في الاعتقاد بألوهية غير الله معه، ولكنه كذلك يتمثل ابتداء في تحكيم أرباب غيره معه.فلينظر الناس لمن المقام الأعلى في حياتهم؟ولمن الدينونة الكاملة؟ .. ولمن الطاعة الكاملة؟ولمن الاتباع والامتثال؟فإن كان **هذا كله لله فهم** في دين الله .. وإن كان لغير الله معه أو من دونه فهم في دين الطواغيت: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب (٥٢)﴾

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٩٧٨/١

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٠٩٤/٢

[إبراهيم: ٥٢].وتوحيد الله عز وجل، وإخلاص الدين له، ليس كلمة تقال باللسان فقط، إنما هو منهاج حياة كامل يصبغ الحياة كلها بلونه.يبدأ من اعتقاد بوحدانية الله .. وينتهي بنظام يشمل حياة الفرد والجماعة في." (١)

"وهو بكل شيء عليم (١٠١) ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (١٠٢) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣)﴾ [الأنعام: ١٠١ - ١٠٣].إذا طلعت الشمس ميز الإنسان بين الذهب والحجر .. وإذا جاء نور الإيمان والتوحيد في القلب ميز العبد بين الكبير والصغير، والقوي والضعيف، ومن يستحق العبادة ممن لا يستحقها، وميز بين الدنيا والآخرة، ورأى كل شيء على حقيقته، ورأى الحق حقا، ورأى الباطل باطلا.والتوحيد والإيمان حق الله على العباد، فينبغي تذكيرهم دائما بهذا الحق. وقيمة الإنسان عند الله بإيمانه وتوحيده وصفاته لا بذاته، ففي المخلوقات من هو أكبر منه، وأقوى منه كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» أخرجه مسلم (١).وشريعة الله للبشر إنما هي جزء من تشريعه وتصريفه للكون، فالأوامر الكونية والشرعية للمخلوقات كلها بيد الله وحده، ومخالفة الأوامر الشرعية زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا.وللعبد رب واحد هو ملاقيه، وبيت هو قادم إليه، فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.وإن من المؤسف حقا أننا نقف ضد مرتكب الجريمة في حق المخلوق وهذا حق، ولا نقف ضد مرتكب جريمة الكفر والشرك في شأن أحكم الحاكمين، وهذا حق أكبر من ذلك وأوجب: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩)﴾ [الأنفال: ٣٩].وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني ــــــــــــــــ(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).." (٢)

"الجاهلية مجسمة في أحجار أو أشجار، أو حيوان أو طير، أو نجم أو كوكب، أو أرواح أو نار.فهذه الصور لا تستغرق الشرك كله، ولا تستغرق كل صور العبادة للأصنام من دون الله، فلا بد من معرفة معنى الأصنام.فالشرك بمعناه المطلق يتمثل في كل حالة لا يكون فيها الحكم لله.فالإنسان الذي يتوجه إلى الله معتقدا بألوهيته، ثم يدين لله في الوضوء والصلاة والصيام وسائر الشعائر، بينما هو في الوقت ذاته يدين في معاملاته ومعاشراته وطريقة حياته لغير الله، ويدين في قيمه وأخلاقه، وعاداته وأزيائه لأرباب من البشر، فهذا العبد إنما يزاول الشرك في أخص حقيقته، ويجعل مع الله شريكا يطيعه.فلهؤلاء الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة كما قال سبحانه: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون (٨٥)﴾ [البقرة: ٨٥].فالإسلام هو توحيد الله في جميع الأحوال، وطاعته وحده في كل أمر وفعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه.لم يأت الإسلام بتحطيم الأصنام الحجرية والخشبية فحسب، بل جاء ليعبد الله وحده لا شريك له، وليكون الدين كله لله:في كل أمر .. وفي كل هيئة .. وفي كل صورة .. وفي كل بلد .. وفي كل زمان. ﴿ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١١٢٠/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١١٢٣/٢

كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (٢٠٨)﴾ [البقرة: ٢٠٨].والشرك قسمان:أحدها: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو نوعان:الأول: شرك التعطيل، وهو جحد الرب، وهو أقبح أنواع الشرك كقول فرعون:." (١)

"ومن علامات صحته أنه يشتاق إلى الخدمة والعبادة، كما يشتاق الجائع إلى الطعام أو الشراب، وأنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه.ومن علامات صحته أن يكون همه واحدا، وأن يكون في الله، وأن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعا من أشد الناس شحا بماله.وأن يكون اهتمام العبد بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل.فيحرص فيه على الإخلاص والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه، وتقصيره في حق الله جل جلاله.فالقلب السليم الصحيح هو الذي همه كله في الله، وحبه كله لله، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه له، والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم حول مراضيه، ومحابه سبحانه.وكلما وجد من نفسه تقاعسا أو التفاتا إلى غيره تلا عليها: ﴿ياأيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية (٢٨) فادخلي في عبادي (٢٩) وادخلي جنتي (٣٠)﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].فإذا انصبغ القلب بين يدي إلهه ومعبوده الحق بصبغة العبودية، صارت العبودية صفة له، وأتى بها توددا وتحببا وتقربا.فكلما عرض له أمر من ربه أو نهي قال: لبيك وسعديك، والمنة لك، والحمد فيه عائد إليك: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (٢٨٥)﴾ [البقرة: ٢٨٥].وإن أصابه قدر قال: أنت ربي العزيز الرحيم، وأنا الفقير العاجز الضعيف، لا صبر لي إن لم تصبرني، ولا ملجأ لي منك إلا إليك.وإن أصابه ما يكره قال رحمة أهديت إلي، وإن صرف عنه ما يحب قال شرا صرف عني.فكل ما مسه به من السراء والضراء، اهتدى بها طريقا إليه، وانفتح له منه باب يدخل منه عليه.." (٢)

"إلى غيره ولا يساكنه.وكل شيء فارغ إذا دخل فيه الشيء ضاق به، وكلما أفرغت فيه زيادة ضاق إلا القلب اللين السليم، فكلما أفرغ فيه الإيمان والعلم، اتسع وانفسح وانشرح، وهذا من آيات قدرة الرب عز وجل.وشرح الصدر من أعظم أسباب الهدى، وضيق الصدر من أعظم أسباب الضلال، وشرح الصدر للإيمان والهدى من أجل النعم، كما أن ضيق الصدر من أعظم النقم.وكلما دخل نور العلم والإيمان والهدى في القلب انفسح وانشرح، والمؤمن منشرح الصدر في هذه الدار على ما ناله من مكروهاتها، وإذا قوي الإيمان كان على مكارهها أشرح صدرا منه على شهواتها ومحابها.فإذا فارقها كان انفساح روحه، والشرح الحاصل له بفراقها أعظم بكثير، كحال من خرج من سجن ضيق إلى فضاء واسع موافق له، فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.فإذا بعث الله المؤمن يوم القيامة، رأى من انشراح صدره وسعته ما لا نسبة لما قبله إليه، فشرح الصدر كما أنه سبب الهداية، فهو أصل كل نعمة، وأساس كل خير، وقد طلب موسى من ربه أن يشرح له صدره، لما علم أنه لا يتمكن من تبليغ رسالة الله إلا بشرح صدره ف: ﴿قال رب اشرح لي صدري (٢٥) ويسر لي أمري (٢٦) واحلل عقدة من لساني (٢٧) يفقهوا قولي (٢٨)﴾ [طه: ٢٥ - ٢٨].أما الأسباب التي تشرح الصدور فهي نور يقذفه

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١١٧٨/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٣٧٠/٢

الله في القلب، فإذا دخله ذلك النور اتسع بحسب قوة النور وضعفه، وإذا فقد ذلك النور أظلم وضاق، وهو هبة من الله تعالى. والأمر كله لله، والخير كله بيديه، وليس مع العبد من نفسه شيء، بل الله واهب الأسباب ومسبباتها، يمنحها من يشاء، ويمنعها من يشاء، وهو أعلم حيث يجعل رسالته.." (١)

"يؤثر في تطهيرها، لا سيما إذا خالطه شيء لا يتلاءم مع طبيعته، فكذلك العبادة إذا أداها العبد أداء ناقصا، أو لابسها شرك أو رياء، فإنها تفقد خاصيتها بالتطهير والتزكية للروح، ومن ثم لا تقبل: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١١٠)﴾ [الكهف: ١١٠]. والنبي – صلى الله عليه وسلم – أكمل الخلق توحيدا وإيمانا، وأكملهم عبودية لله، وأكملهم محبة له، وأكملهم افتقارا إليه، وأكملهم توبة واستغفارا لله عز وجل. فهو أفضل الخلق عند الله، وأكرمهم منزلة، وهو سيد ولد آدم، والخير كله من الله، والخلق كله لله، والأمر كله لله، وليس للمخلوق منه شيء، بل المخلوق فقير إلى الله من كل وجه، والله غني عنه من كل وجه، محسن إليه من كل وجه كما قال سبحانه: ﴿ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد (١٥)﴾ [فاطر: ١٥]. وقال سبحانه: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون (٥٣)﴾ [النحل: ٥٣]. والعبد إذا أصبح أو أمسى وليس همه إلا الله وحده تحمل الله عنه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه. وفرغ قلبه لمحبته .. ولسانه لذكره .. وجوارحه لطاعته. وإذا أصبح أو أمسى والدنيا همه، فرق الله عليه شمله، ووكله إلى نفسه، وحمله هموم الدنيا وأنكادها. فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق .. ولسانه عن ذكره بذكرهم .. وجوارحه عن طاعته بطاعتهم وخدمتهم وتنفيذ أوامرهم .. فهو يكدح كدح الوحش والحيوان في خدمة غيره. وسنة الله جارية أن كل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بلي بعبودية المخلوق، ومحبته وخدمته وطاعته ولو كان في معصية الله، فهو إما عبد لخالقه ومولاه، أو عبد لهواه.." (٢)

"سواء تعلق هذا الأمر بشعيرة تعبدية .. أو تعلق بتوجيه أخلاقي .. أو تعلق بشريعة في الحياة .. فالدينونة في **هذا كله لله وحده** لا شريك له هو مدلول العبادة التي خص الله سبحانه بها نفسه ولم يجعلها لأحد من خلقه: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٤٠)﴾ [يوسف: ٤٠]. فالكون كله يسبح الله عبودية وطاعة لله: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا (٤٤)﴾ [الاسراء: ٤٤]. إن كل ذرة في هذا الكون الكبير تنتفض روحا حية، تسبح الله، فإذا الكون كله حركة وحياة، وإذا الوجود كله تسبيحة واحدة ترتفع في جلال ودوام إلى الخالق الكبير المتعال. وإنه لمشهد كوني فريد حين يتصور القلب كل حصاة، وكل حجر، وكل ذرة، وكل حبة، وكل ورقة، وكل زهرة، وكل ثمرة، وكل نبتة، وكل شجرة، وكل حشرة، وكل زاحفة، وكل طير، وكل حيوان، وكل إنسان، وكل دابة على الأرض، وكل سابح في الماء، وكل طير في الهواء، وكل مختبئ في الأرض، ومع هؤلاء سكان السماوات، وكلها تسبح الله، وتتوجه إليه في علاه ناطقة بحمده، مسلمة لأمره: ﴿يسبح لله ما في السماوات

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٤٢٦/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٧١٦/٢

وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم (١)﴾ [الجمعة: ١].وإن القلب ليرجف، وإن الوجدان ليرتعش، وهو يستشعر الحياة تدب في كل ما حوله فيما يراه وفيما لا يراه.وكلما همت يده أن تلمس شيئا، وكلما همت رجله أن تطأ شيئا، وكلما همت عينه أن ترى شيئا، سمعه يسبح الله، وينبض بالحياة، ويدين لربه بالطاعة: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم." (١)

"المقصودة وقدمها على ما يحبه الله كان ظالما لنفسه متبعا لهواه.والمحبة نار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب.وكمال المحبة:أن نحب الله .. ونحب ما يحبه ... ونبغض ما يبغضه.فإذا أحببنا ما لا يحبه الله صارت محبته ناقصة، وكثيرا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله، وعبوديتها له، وإخلاصها له.ومحبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وكل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة محمودة .. أو محبة مذمومة.فجميع الأعمال الصالحة المبنية على الإيمان لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله ورسوله .. ودينه وشرعه .. وأوليائه وعباده الصالحين.وجميع الأعمال السيئة لا تصدر إلا عن المحبة المذمومة.ولا تزول الفتنة عن القلب إلا إذا كان دين العبد **وحبه كله لله عز** وجل، وإلا فمحبة المخلوق من الشهوات السابقة تجذبه.وحب الخلق له سبب يجذبهم إليه به، وحب الناس له يوجب أن يجذبوه هم بقوتهم إليهم، فإن لم يكن فيه قوة يدفعهم بها عن نفسه من محبة الله وخشيته، وإلا جذبوه وأخذوه إليهم كحب امرأة العزيز ليوسف - صلى الله عليه وسلم -.فإن قوة إيمان يوسف - صلى الله عليه وسلم - ومحبته لله وخشيته له كانت أقوى من جمال امرأة العزيز وحسنها وحبه لها.وقد يحبونه لعلمه ودينه أو إحسانه أو غير ذلك، فالفتنة في هذا أعظم إلا إذا كانت فيه قوة إيمانية، وخشية لله، وتوحيد تام، فإن فتنة العلم والصدر والجاه فتنة لكل مفتون، وهم مع ذلك يطلبون منه مقاصدهم إن لم يفعلها وإلا نقص الحب أو حصل نوع بغض.فأصدقاء الإنسان يحبون استخدامه في أغراضهم حتى يكون كالعبد لهم،." (٢)

"أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٥٠)﴾ [المائدة: ٥٠].إن هذا الدين الذي أكرم الله به هذه الأمة ليس نظرية يتعلمها الناس في كتاب للترفه الذهني، والتكاثر بالعلم والمعرفة.وليس كذلك عقيدة سلبية يعيش بها الناس بينهم وبين ربهم وكفى، كما أنه ليس مجرد شعائر يؤديها الناس لربهم فيما بينهم وبينه، بل إنما هو مع ذلك حركة لتغيير منهج الناس في الحياة ليكون على مراد الله لا على مراد غيره كما قال سبحانه: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله فإن** انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩) وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (٤٠)﴾ [الأنفال: ٣٩، ٤٠].والاستقامة مبنية على شيئين:أحدهما: حراسة الخواطر وحفظها، والحذر من إهمالها، والاسترسال معها.الثاني: صدق التأهب للقاء الله عز وجل.فأصل الفساد كله يجيء من قبل الخواطر؛ لأنها هي بذر الشيطان، والنفس في أرض القلب.فإذا تمكن بذرها في القلب تعهدها الشيطان بالسقي مرة بعد أخرى حتى تصير إرادات، ثم يسقيها بسقيه حتى تكون عزائم، ثم لا يزال بها حتى تثمر الأعمال المهلكة.ولا ريب أن دفع الخواطر أيسر من دفع الإرادات والعزائم، فالخواطر كالشرارة يسهل

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٧٣٧/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٧٩٧/٢

إطفاؤها، والإرادات والعزائم كالنار المشتعلة.ولحفظ الخواطر أسباب عدة:أحدها: العلم الجازم باطلاع الرب سبحانه عليك، ونظره إلى قلبك، وعلمه بتفاصيل خواطرك.الثاني: حياؤك منه.الثالث: إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلق لمعرفته." (١)

"لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم (١٠٧)﴾ [يونس: ١٠٧].والغنى والفقر مطيتان يركبهما الناس إلى الآخرة .. والغنى له عبودية .. والفقر له عبودية .. وكما أن للغنى أوامر .. فكذلك للفقر أوامر.والغنى كالفقر أمر من أوامر الله يبتلى بهما العباد، والمسلم غني بربه فلا يخاف من الفقر، وكيف يخاف المسلم من الفقر ومولاه له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟.وحقيقة الفقر: أن يصير العبد كله لله، لا يبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهواه؛ لأنه إذا كان لنفسه فليس لله، وإذا لم يكن لنفسه فهو لله.فحقيقة الفقر أن لا تكون لنفسك، ولا يكون لها منك شيء، بحيث تكون كلك لله، وإذا صح الافتقار إلى الله تعالى فقد صح الاستغناء بالله، وإذا صح الاستغناء بالله كمل الغنى به.ولفظ الفقر ورد في القرآن في ثلاثة مواضع:أحدها: في قوله سبحانه: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم (٢٧٣)﴾ [البقرة: ٢٧٣].الثاني: في قوله سبحانه: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (٦٠)﴾ [التوبة: ٦٠].الثالث: في قوله سبحانه: ﴿يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد (١٥)﴾ [فاطر: ١٥].فالصنف الأول: خواص الفقراء.والثاني: فقراء المسلمين عامهم وخاصهم.والثالث: الفقر العام لأهل الأرض كلهم فقيرهم وغنيهم، ومؤمنهم وكافرهم.." (٢)

"«حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» أخرجه مسلم (١).فسبحان من بيده الملك، وهو على كل شيء قدير.وسبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة.فإذا قام بالعبد هذا الشاهد، اضمحلت فيه الشواهد المتقدمة من غير أن تعدم، بل تصير الغلبة والقهر لهذا الشاهد، وتندرج فيه الشواهد كلها.ومن هذا شاهده وسلوكه فله سلوك وسير خاص، ليس لغيره ممن هو عن هذا في غفلة أو معرفة مجملة.وصاحب هذا الشاهد سائر إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه، له شأن، وللناس شأن.وكل ما يقوم بقلوب عابديه ومحبيه سبحانه هو من هذا الشاهد، وهو الباعث لهم على العبادة والمحبة، والخشية والإنابة، وتفاوتهم فيه لا يحصر.وأعظم الناس حظا في ذلك معترف بأنه لا يحصي ثناء عليه سبحانه، وأنه فوق ما يثني عليه المثنون، وفوق ما يحمده الحامدون: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (٦٧)﴾ [الزمر: ٦٧].وكل قلب متلوث بالخبائث والأخلاق الرديئة، والصفات الذميمة، متعلق بالمرادات السافلة، حرام عليه أن يقوم به هذا الشاهد.ومن من الله عليه فلا تزال شواهد الصفات قائمة بقلبه.إن قام بقلبه شاهد الربوبية والقيومية رأى أن الأمر كله لله، ليس لأحد

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٨٣١/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٩٢٣/٢

معه من الأمر شيء: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم (٢)﴾ [فاطر: ٢]. ــــــــــــــــــــــــ(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).." (١)

"وهذا كله صعب في بادئ الأمر، فإن نفسه وهواه وشيطانه ومعاشريه من ذلك الجانب يدعونه إلى العاجل، فإذا خالفهم تصدوا لحربه، فإن صبر وثبت جاءه العون من ربه، وصار ذلك الصعب سهلا .. وذلك الألم لذة .. فإن الرب شكور .. لا بد أن يذيق عبده ووليه لذة تحيزه إلى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - .. ويريه كرامة ذلك .. فيشتد به سروره وغبطته.ويبقى من كان محاربا له على ذلك، بين هائب له، ومسالم له، ومساعد وتارك له، ويقوي جنده، ويضعف جند العدو.ولا يستصعب العبد مخالفة الناس، والتحيز إلى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، ولو كان وحده، فإن الله معه وإنما امتحن يقينه وصبره.وأعظم الأعوان على هذا بعد عون الله التجرد من الطمع والفزع إلى غير الله،فمتى تجردت منهما هان عليك التحيز إلى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -.ويعين العبد على التجرد من الطمع والفزع التوحيد، والتوكل، والثقة بالله، وعلم العبد بأن الأمر كله لله، وأنه لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، وليس لأحد مع الله شيء، بل الخلق كله والأمر كله بيد الله وحده لا شريك له: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)﴾ [الأعراف: ٥٤].." (٢)

"بالدواء لترامى به المرض إلى الهلاك.أو يكون سببا لنعمة لا تنال إلا بذلك المكروه، فالمكروه ينقطع، وما ترتب عليه من النعمة دائم لا ينقطع.فإذا شهد العبد هذين الأمرين انفتح له باب الرضا عن ربه في كل ما يقضيه ويقدره له.وحكم الرب عز وجل ماض في عباده، وقضاؤه عدل فيهم، قضى بالذنب وقضى بعقوبته، فالأمران من قضائه عز وجل، وهو أعدل العادلين في قضائه بالذنب، وفي قضائه بعقوبته.أما عدله في العقوبة فظاهر، وأما عدله في قضائه بالذنب فإن الذنب عقوبة على غفلته عن ربه وإعراض قلبه عنه.فإنه إذا غفل قلبه عن ربه ووليه استحق أن يضرب بهذه العقوبة.ولا يقضي الله لعبده قضاء إلا كان خيرا له، فقضاؤه لعبده المؤمن المنع عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية.ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذ به في العاجل، وكان ملائما لطبعه، ولو عرف ربه لعد المنع نعمة، والبلاء رحمة.فالراضي: هو الذي يعد نعم الله عليه فيما يكرهه أكثر وأعظم من نعمه عليه فيما يحبه.وإذا علم العبد أن ربه عز وجل تفرد بالخلق، وتفرد بالاختيار والتدبير، وليس للعبد شيء من ذلك، فإن الأمر كله لله، فإذا عرف ذلك لم يكن له غير الرضا بمواقع الأقدار من ربه.ورضا الله سبحانه عن العبد أكبر من الجنة وما فيها؛ لأن الرضا صفة الله، والجنة خلقه.وهذا الرضا جزاء على رضا المؤمنين عنه في الدنيا.." (٣)

"السفلية إلى الإيمان والفضائل والتشريعات والأخلاق السماوية.فإذا عكس البشر القضية وشد الأدنى الأعلى صار الجميع في المنحدر، وذلك ما يريده الشيطان وأتباعه.وهذه الأمة أمة أمية، ونبيها أمي، والأمي كما ولدته أمه لم يأخذ ثقافته

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠١١/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠٥١/٢

(٣) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠٦١/٢

من مساويه بل أخذها من ربه الأعلى.وإذا كان الله عز وجل قد حرم محمدا بالأمية من معطيات عقول البشر فقد وصله بالعلوية التي تعلم البشر، وتهدي البشر، وتملك البشر.وأعداء الإسلام يعرفون هذا الدين، وهذا القرآن كما يعرفون أبناءهم.يعرفون ما فيه من سلطان وقوة، وما فيه من خير وصلاح، وما فيه من أخلاق وآداب، وما فيه من سنن ونظام.ويحسبون لهذا الكتاب ألف حساب، ويعلمون أن الأرض لا تسعهم وتسع أهل الدين.وهم يدرسون هذا الدين دراسة دقيقة ليعرفوا كيف يبني الرجال؟ وكيف تبنى الأخلاق؟ ليقوموا بتخريب هذا البناء، ويبحثوا عن مقتل لهذا الدين كما قال سبحانه: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢١٧)﴾ [البقرة: ٢١٧].وقد اجتهدوا وبحثوا حتى خدعوا كثيرا من المسلمين، وحولوا الدين من حركة دافعة تحطم الباطل والجاهلية، وتجعل الدين كله لله.حولوه بعد جهود وتضحيات إلى حركة ثقافية باردة، وإلى بحوث نظرية ميتة، وإلى جدال فقهي أو طائفي فارغ، ومعلومات تصدع الرؤوس ولا تزكي القلوب وحولوا العقيدة إلى مفهومات وتصورات مدمرة له، مع إيهام أهله أن عقيدتهم محترمة مصونة مع أن أجنحتها وأخلاقها تكسر في كل لحظة، وفي كل ميدان، وفي كل بلد.." (١)

"لعلهم يضرعون (٩٤) ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون (٩٥)﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥].وكل قوم ينظرون حتى يجيء رسولهم فينذرهم ويبين لهم، وبذلك يستوفون حقهم الذي أوجبه الله على نفسه، بأن لا يعذب قوما إلا بعد الرسالة، وبعد الإعذار لهم بالبيان، وعندئذ يقضي بينهم بالقسط حسب استجابتهم للرسول كما قال سبحانه: ﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون (٤٧)﴾ [يونس: ٤٧].والأمر كله لله، وليس لأحد من الأمر شيء، وعلى الرسل والأنبياء والدعاة إبلاغ دين الله، والهداية بيد الله وحده، يسوقها لمن يستحقها ويطلبها، ويمنعها من لا يستحقها ولا يطلبها: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون (٨)﴾ [فاطر: ٨].وجميع الأنبياء والرسل دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فمنهم من آمن، ومنهم من كذب.وهؤلاء المكذبون لا يسكتون عن الحق وأهله، فيؤذون الرسل وأتباعهم، ويسبونهم ويسخرون منهم.وبعد الإنذار الطويل، والتذكير الطويل، والتكذيب الطويل، لا بد أن ينتصر الله لأوليائه من أعدائه.فيتوجه النبي إلى قومه متحديا لهم، متوكلا على ربه، مستعينا به وليس معه إلا الإيمان بربه، القوة التي تصغر أمامها القوى، وتتضاءل أمامها الكثرة، ويعجز أمامها التدبير.إنه الإيمان بالله العزيز الجبار، الذي يصل صاحبه بمصدر القوة الكبرى المهيمنة على هذا الكون بما فيه.وليس هذا التحدي غرورا ولا تهورا ولا افتخارا، إنه تحدي القوة الحقيقية." (٢)

"لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢) صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور (٥٣)﴾ [الشورى: ٥٢،٥٣].أما قبول الناس للهدى والدين أو عدم قبولهم له فذلك بيد الله وحده، فهو الذي يعلم من

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠٩٢/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢١٢٤/٣

يستحق الهداية ويطلبها فيسوقها إليه، ويعلم من لا يستحق ذلك ممن لا خير فيه فيصرفه عنها كما قال سبحانه: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين (٥٦)﴾ [القصص: ٥٦].ومدار السعادة في الدنيا والآخرة وعنوان الفلاح إنما يكون بطاعة الله ورسوله، وكل رسول مأمور أن يبلغ ما أرسل به إلى الناس بلاغا تقوم به الحجة، وليس بيده من هداية الناس شيء، ولا من حسابهم شيء، وإنما يحاسبهم على أعمالهم من الطاعات والمعاصي عالم الغيب والشهادة كما قال سبحانه: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين (١٢)﴾ [التغابن: ١٢].وهذا القرآن الكريم فيه كل ما يسعد العباد في الدنيا والآخرة، وبه يصلون إلى أعلى المقامات في الدنيا والآخرة، لما اشتمل عليه من العلوم الشريفة، والسنن والآداب، والأحكام والشرائع، والأخلاق العالية، والترغيب والترهيب، وأحوال اليوم الآخر، حتى يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.فما الذي دهى الأمة حتى أعرضت عنه، ونبذت أحكامه وسننه وشرائعه؟إن هذا الدين الذي جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – من ربه حق واجب لكل إنسان، فيجب إيصاله إليه ودعوته إليه، حتى لا تكون فتنة وفرقة وخلاف، ويكون الدين كله لله: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب (٥٢)﴾ [إبراهيم: ٥٢].وقد جمع الله للأنبياء بين الصديقية والنبوة، كما قال سبحانه: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا (٤١)﴾ [مريم: ٤١].والصديق كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل." (١)

"سلك الخلائق الطائعة لربها، ولا يكون هو وحده نشازا في نظام الوجود كله.إن رسل الله عز وجل لا يدعون البشرية لأمر شاذ، أو مستحيل، أو ضار، إنما يدعونهم إلى التوحيد الذي يقوم عليه الوجود كله، والمركوز في فطرة البشر.إسلام الوجه لله ... والإيمان به .. وعبادته وطاعته .. وتنفيذ أوامره .. مع الخلائق الأخرى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨)﴾ [الحج: ١٨].ومن سنة الله عز وجل في إرسال الرسل بعث كل رسول من قومه وبلسانهم؛ تأليفا لقلوب الذين لم تفسد فطرهم، وتيسيرا على البشر في التفاهم والتعارف، وإن كان الذي فسدت فطرهم يعجبون من هذه السنة فلا يستجيبون، ويستكبرون أن يؤمنوا لبشر مثلهم: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم (٤)﴾ [إبراهيم: ٤].ويطلبون أن تبلغهم الملائكة، وإن هي إلا تعلة، وما كانوا ليستجيبوا إلى الهدى مهما جاءهم من أي طريق.أرسل الله تبارك وتعالى نوحا إلى قومه كما قال سبحانه: ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٥٩)﴾ [الأعراف: ٥٩].فكيف كان استقبال المنحرفين الضالين من قوم نوح لهذه الدعوة إلى التوحيد وماذا قالوا له؟ ﴿قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين (٦٠)﴾ [الأعراف: ٦٠].دعاهم نوح – صلى الله عليه وسلم – إلى عبادة الله وحده، وإقامة منهج الله في الحياة، ليكون **السلطان كله لله في** حياة الناس كلها، قال لهم ذلك، وأنذرهم

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢١٦٠/٣

عاقبة التكذيب بها في إشفاق الأخ الناصح لإخوانه، ولكنهم رموا الداعي إلى الحق المبين بالضلال المبين، وهكذا يبلغ الضال من الضلال أن يحسب أن من يدعوه إلى." (١)

"والإعانات، والتسهيلات والمسامحات، والشفاعات وقضاء الحاجات.ومن هنا يظهر ما للإمامة الصالحة، وإقامة نظام الحق من أهمية كبرى تجعلها من غايات الدين وأسسه، ولذلك أوجب الله طاعة أولي الأمر الصالحين إذا حكموا وأمروا بما جاء عن الله ورسوله كما قال سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا (٥٩)﴾ [النساء: ٥٩].والمسلم لا يمكنه أن يبلغ رضا الله تعالى بأي عمل من أعماله إذا تناسى هذه الفريضة، وتقاعس عن القيام بها.فإن غرض الدين الحقيقي وهدفه هو تحقيق العبودية لله رب العالمين في حياة البشرية كلها، وإقامة نظام الحق والإمامة الراشدة، وتوطيد دعائم الدين في الأرض كلها، حتى يكون الدين كله لله، وينسجم العالم البشري مع العالم الكوني كله في طاعة الله وعبادته سبحانه.ولا يتم ذلك إلا وفق سنة الله بالدعوة إلى الله أولا .. فإذا دخل الإيمان في قلوب البشر اشتاقت قلوبهم لمعرفة الأحكام .. وجاء عندهم الاستعداد لفعل الأوامر واجتناب النواهي .. فإذا حصل هذا وحقق البشر العبودية مكن الله لهم في الأرض كما قال سبحانه: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (٥٥)﴾ [النور: ٥٥].ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤمن بالله ورسوله لا يمكنه أن يرضى بتسلط النظام الباطل على البشرية، أو يقعد عن بذل نفسه وماله في سبيل إقامة الدين الحق في العالم.فكل من يبدو في أعماله شيء من الضعف والاستكانة في هذا الباب فاعلم أنه مدخول في إيمانه، مرتاب في أمره، فكيف ينفعه عمل من أعماله بعد ذلك.." (٢)

"القيامة.وأمر الناس بتكميل محبوبات رب العالمين في الدنيا من الإيمان، والطاعات والعبادات، والمعاملات، وحسن المعاشرة، وحسن الأخلاق، حتى يكمل الله لهم في الآخرة ما يحبون من المطاعم والمشارب والمساكن والملابس والأزواج والحور.فمسؤولية كل فرد من المسلمين عظيمة، ووظيفته كبيرة، وعمله مستمر دائم ما دام حيا كما قال سبحانه: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين (١٠٨)﴾ [يوسف: ١٠٨].ومكانة المسلم عند الله عظيمة، وحياته عند الله غالية؛ لأنه مؤمن بالله، ويقيم أمر الله، ويعبد الله، ويدعو إلى الله، ولذا توعد الله من قتل مؤمنا بغير حق متعمدا بأشد العقوبات كما قال سبحانه: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما (٩٣)﴾[النساء: ٩٣].وبحسب المكانة تكون المسؤولية، ويكون المقام عند الله، فمكانة المسلم عظيمة، ومسؤوليته كذلك عظيمة.ولا أحب عند الله من المسلم الذي يدعو الناس إلى ربهم، ويحببهم إليه، ويردهم إليه كما قال سبحانه: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (٣٣)﴾ [فصلت:

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢١٧٢/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢١٨٥/٣

٣٣].فأعظم الواجبات بعد الإيمان والتقوى الدعوة إلى الله في مشارق الأرض ومغاربها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.لذا فواجبنا جميعا رجالا ونساء .. كبارا صغارا .. العامة والخاصة .. الأغنياء والفقراء .. والسادة والعبيد .. والعرب والعجم .. أن نقوم بالدين، ونستقيم عليه، ونقيم الدين وندعو إليه في العالم حتى يكون الدين كله لله، وينعم الناس بهذا الدين الكامل الذي رضيه الله لهم، وأرسل به رسوله محمدا – صلى الله عليه وسلم – كما قال." (١)

"الدعوة ضعف الإيمان فجاء اليقين على المخلوقات والأسباب، وصار تعامل الناس معها بدون اللجوء إلى الله سبحانه، فأصابهم بسبب ذلك التعب والشقاء.فكل من لم يرض بالتوجه إلى رب الأسباب وكله الله إلى الأسباب وأذله بها، ثم عاقبه على ذلك كما قال سبحانه: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤)﴾ [الأنعام: ٤٤].فالله عز وجل هو الفعال وحده لا شريك له، ولكنه أخفى قدرته وراء الأسباب امتحانا وابتلاء للعباد.فالله عز وجل بحكمته وعلمه يفعل ما يشاء، ويظهر ما يشاء، ويخفي ما يشاء، وقد أظهر سبحانه أربعا، وأخفى أربعا:أظهر المخلوقات وأخفى نفسه .. وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة .. وأظهر قيمة الأشياء .. وأخفى قيمة الأعمال .. وأظهر الأبدان والأجساد وأخفى الأرواح والعقول.والأمة إذا تركت الدعوة إلى الله أصيبت بآفتين: ذهاب الدين من حياتها تدريجيا حتى لا يبقى منه إلا بعض الشعائر والآداب .. وصار اليهود والنصارى أئمتها في أمور حياتها كلها.وأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – لما عرفوا حقيقة الإيمان، وقاموا بالدعوة، صار إمامهم إمام الهدى محمد – صلى الله عليه وسلم – في جميع أحوالهم، فسعدوا وأسعدوا، فرضي الله عنهم ورضوا عنه.وكل إنسان يملك ثلاثة جواهر:النفس .. والمال .. والوقت ..وقد جاد أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذه الثلاثة، وبذلوها للدين، لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله.وبجهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه وأتباعه خرج كثير من الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن البدعة إلى السنة، ومن." (٢)

"حتى يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، فلا تفلت منه لحظة في غير طاعة الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – كما قال سبحانه: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (١٦٢) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢،١٦٣].إن كل ما يراه الإنسان من ظاهرة التمسك بالكتاب والسنة، وحسن الاستقامة، والرغبة في الدين لدى بعض الناس، إنما ذلك ثمرة جهود العلماء والدعاة المخلصين، فلا نكتفي بالفرح والنظر إلى هذه الثمار الطيبة فحسب، بل يجب أن نقوم نحن بزرع بساتين جديدة كما فعلوا حتى يعم الإسلام أقطار الأرض، فتلك أمانة تحملناها، وحق علينا يجب أداؤه لكل إنسان، حتى يكون الدين كله لله.فالمسلم لو صام نهاره، وقام ليله، وقرأ القرآن كله في يوم، وتصدق بآلاف الريالات يوميا، فإنه لا يصل بعمله الفردي هذا إلى درجة ما يصل إليه الدعاة من الأجر والثواب.فالدال على الخير كفاعله، حيث ينال هؤلاء الدعاة أجور المدعوين الذين اعتنقوا الإسلام، أو رغبوا فيه واستقاموا عليه بتبليغهم إياه كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم -: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢٣٢/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢٣٦/٣

من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» أخرجه مسلم (١).فالدعاة مشاركون في أجور مئات الألوف من المصلين، والصائمين، والمجاهدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في أنحاء العالم من غير أن ينقص من أجور المدعوين شيء.وكما أن الله أمر بعبادته بقوله: ﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١)﴾ [البقرة: ٢١]. ____________(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).." [1]

"وقد بين النبي – صلى الله عليه وسلم – أصول دعوة الكفار بالترتيب: الدعوة إلى الله .. فإن لم يستجيبوا طالبناهم بالجزية .. فإن أبوا قاتلناهم.وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: « ... إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم، إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم» أخرجه مسلم (١).والصحابة رضي الله عنهم كانت أمامهم الدعوة إلى الله أصالة، فإذا لم يقبل الناس الدعوة طالبوهم بدفع الجزية، فإن أبوا قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.ثم جاء بعد من قدم القتال على الدعوة فخاف الملوك والكفار، ورفعت النصرة من الله، فتوجهت القلوب إلى الأسباب والأشياء، وصار المسلمون كالكفار في الاعتماد على الأسباب فغلب من أسبابه أقوى.وصار المسلمون الآن أذلة لتغير اليقين والترتيب وكثرة المعاصي والذنوب، وقوة أسباب الأعداء، ولا يرفع الله عنهم هذا الذل حتى يرجعوا إلى الدين ويستقيموا عليه ويدعوا إليه كما قال سبحانه: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (٩٦)﴾ [الأعراف: ٩٦]. ____________(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٣٠).." [2]

"والدين لا ينتشر ولا يحفظ إلا بأمرين:الدعوة إلى الله .. والجهاد في سبيل الله.فالدعوة أولا لعموم الناس، ثم الجهاد في سبيل الله لمن عاند وأبى إلا الكفر أو آذى المسلمين أو اعتدى عليهم كما فعل النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه رضي الله عنهم.وهذا واجب المسلمين في كل زمان ومكان، فاتباع المهاجرين والأنصار ليس فقط بأداء العبادات وترك المحرمات.بل يكون مع ذلك الاقتداء بهم في الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله كما قال سبحانه: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله فإن** انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩) وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (٤٠)﴾ [الأنفال: ٣٩، ٤٠].وجميع طبقات الأمة محتاجون إلى الدعوة إلى الله:فالكفار والمشركون يدعون إلى الدخول في الإسلام والخروج من الكفر.والمبتدعة والعصاة يدعون إلى الله ببيان أحكام الدين الصحيحة، والترغيب في

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢٤١/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢٥٨/٣

الأعمال الصالحة، والترهيب من الأعمال السيئة لعلهم يتوبون.والعباد يحتاجون إلى الدعوة ليزيد إيمانهم، ولتحسن أعمالهم، ولتتحرك قلوبهم لدعوة غيرهم.والعلماء يحتاجون إلى الدعوة ليعملوا بعلمهم، وينشروا علمهم في الأمة.وعامة المؤمنين يدعون إلى الله ليزيد إيمانهم ويكمل، فيتوبوا من ذنوبهم، ويحسنوا أعمالهم، ويحفظوا إيمانهم لئلا ينقص.فليس أحد يستغني عن الدعوة إلى الله والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح والإرشاد، لا المؤمن ولا الكافر، ولا العالم ولا الجاهل، ولا المطيع ولا العاصي.وكل يدعو بحسب حاله .. وكل يدعى بحسب حاله.وإذا قمنا بالدعوة إلى الله يجب أن نخرج من قلوبنا عاطفة الانتقام من الناس." (١)

"يخسرون الدنيا والآخرة، وأي خسران فوق هذا؟﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (١١٩)﴾ [النساء: ١١٩].فلا بد من الانتشار في الأرض لإبلاغ دين الله، ونشر السنن والأحكام بين الناس، ومقاتلة من يصد عن سبيل الله، حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** .. كما قال سبحانه: ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٤١)﴾ [التوبة: ٤١].ومن أجل ذلك دعا النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الله في كل مكان، وعرض دعوته وما جاء به من الدين على أهل مكة .. وأهل الموسم .. وأهل الطائف .. وأهل المدينة .. وأنذر الناس كافة .. والعالمين قاطبة. وجاهد بنفسه، وغزا بنفسه، وأرسل البعوث والسرايا لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، وقمع المعتدين، ودفع عدوان الظالمين. وكذلك فعل الصحابة معه، ومن بعده، فساروا في مشارق الأرض ومغاربها دعاة إلى الله، مبلغين دين الله، معلمين سنن رسول الله، مجاهدين في سبيل الله، لا يخافون في الله لومة لائم.ومضوا في هذا السبيل داعين إلى الله، مجاهدين في سبيل الله، في مشارق الأرض ومغاربها، حتى مات أكثرهم في غير مكان مولده، فعلوا ذلك كله امتثالا لأمر ربهم: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب (٥٢)﴾ [إبراهيم: ٥٢].فعقبة بن نافع مات في الجزائر .. وأبو لبابة في تونس .. وأبو أيوب الأنصاري في أسطنبول .. وأبو طلحة الأنصاري في جزائر الروم .. وقثم بن عباس في سمرقند .. وقتيبة بن مسلم الباهلي في فرغانة .. وعبد الرحمن الغافقي في فرنسا .. والنعمان بن مقرن في نهاوند .. وعلي بن أبي طالب في الكوفة .. والبراء بن مالك في تستر .. والحارث بن هشام في اليرموك .. وأبو عبيدة في الأردن .. وعبد الله بن رواحة في مؤتة .. وخالد بن الوليد في حمص .. وسلمان." (٢)

"فهي إيمان وعمل، وجهاد وكفاح، ومحنة وابتلاء، وصبر وثبات، وذلك كله من أجل إعلاء كلمة الله، وتوجه إلى الله وحده في جميع الأحوال؛ لأنه الذي يملك كل شيء، وبيده خزائن كل شيء.ثم يجيء الرضا من الله .. ثم يجيء النصر .. ثم يجيء النعيم، هكذا سنة الله التي قد خلت في عباده: ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٢٣)﴾ [الفتح: ٢٣].والداعي إلى الله مبارك أينما كان، يبذل كل خير، ويتحمل كل أذى.فهو كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح، وكالغيث أينما حل نفع، وكالشمس يهتدي الناس بنور علمه، وكالسراج يحرق نفسه ليضيء

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢٦٣/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢٦٩/٣

للناس.والذي يدعو إلى الله وإلى سنة رسول الله مخلصا يجعله الله سببا لجمع الأمة كلها على الدين.والذي يدعو إلى نفسه وإلى طريقته أو إلى جماعته يمزق الأمة كلها، ويجعلها فرقا وأحزابا متناطحة، يفني بعضها بعضا كالمشركين الذين حذرنا الله منهم بقوله: ﴿ولا تكونوا من المشركين (٣١) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون (٣٢)﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].والدعوة إلى الله مركبة من عدة أعمال كالطعام الذي يقدم للناس مركب من عدة أشياء، وهكذا الدعوة إلى الله مركبة من عدة أشياء، ليست كلاما فقط، فيها الإيمان .. والعبادات .. والمعاملات .. والمعاشرات .. والأخلاق .. وفيها التعليم .. وفيها الشورى .. وفيها الجولات والزيارات .. وفيها الدعاء والذكر.فإذا وجدت هذه الأشياء فالدعوة تنبت ثم تثمر ثم تتسع، ثم يظهر الحق، ويزول الباطل، ويكون الدين كله لله.والدعوة إلى الله تجمع الأمة على الهدى كالروح تجمع البدن والجوارح على الحياة، فإذا خرجت الروح أنتن الجسد وتمزق، وكذا الدعوة إذا خرجت من." (١)

"والله تبارك وتعالى يوجه عباده المؤمنين والدعاة إلى الله ليتسامحوا مع الذين لا يرجون أيام الله، مع المخالفين المحرومين كما قال سبحانه: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (١٤)﴾ [الجاثية: ١٤].هذا توجيه كريم من الكريم للذين آمنوا ليتسامحوا مع الذين لا يرجون أيام الله، تسامح المغفرة والعفو، وتسامح الكبر والارتفاع، وتسامح القوة والاستعلاء.فالذين لا يرجون أيام الله مساكين، يستحقون العطف أحيانا، لحرمانهم من ذلك النبع الصافي، نبع الإيمان بالله، والطمأنينة إليه، والاحتماء بركنه، وحرمانهم كذلك من المعرفة الحقيقية بالله، وبأسمائه وصفاته وأفعاله.والمؤمنون الذين يملكون كنز الإيمان وذخره، ويتمتعون برحمته وفيضه، أولى بالمغفرة لما يبدو من أولئك المحرومين من نزوات وحماقات هذا من جانب.ومن جانب آخر ليترك هؤلاء المؤمنون **الأمر كله لله يتولى** جزاء المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، ويحسب لهم العفو والمغفرة عن الإساءة في سجل الحسنات.وكل عائد إلى الله، وهناك الجزاء على العمل: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (١٥)﴾ [الجاثية: ١٥].وبذلك يتسع صدر المؤمن، ويرتفع شعوره، ويحتمل الإساءة الفردية المتكررة، والنزوات الحمقاء من الجاهلين والمطموسين في غير ضعف وفي غير ضيق، فهو أكبر وأفسح وأقوى.وهو حامل مشعل الهدى للتائهين المحرومين من النور، وحامل بلسم الشفاء للمحرومين من النبع، وهو مجزي بعمله لا يصيبه من وزر المسيء شيء، والأمر لله في النهاية، وإليه المرجع والمآب والحساب والعقاب: ﴿إن إلينا إيابهم (٢٥) ثم إن علينا حسابهم (٢٦)﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].والنبي - صلى الله عليه وسلم - هو خاتم النبيين، وقد أوصاه ربه بالصبر والثبات في جميع الأحوال كما قال سبحانه: ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا." (٢)

"فهم لا يملكون جميعا أن يحدثوا شيئا إلا بإذن الله، وفق مشيئته التي جرت بتلك السنن في تصريف العباد، ولكن المؤمنين يطابقون ويجمعون في القدر المتروك لهم للاختيار بين الخضوع القهري، المفروض عليهم في ذوات أنفسهم وفي تكوينهم العضوي، وبين الخضوع الاختياري الذي يلتزمونه بأنفسهم بناء على المعرفة والهدى والاختيار.وبذلك يعيشون في

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢٩٠/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٣٢٠/٣

سلام مع أنفسهم ذاتها؛ لأن الجانب القهري فيها والجانب الاختياري يتبعان ناموسا واحدا وربا واحدا، فالمؤمنون بالله أعقل العقلاء.وأما العصاة والكفار فهم مقهورون على اتباع ناموس الله الفطري الذي يقهرهم، ولا يملكون أن يخرجوا عنه في تكوينهم الجسمي، بينما في الجانب الذي ترك لهم الاختيار فيه هم ناشزون على سلطان الله المتمثل في منهجه وشرعه، شاذون عن طاعة الله من بين سائر الخلق.وهم أشقياء في انفصام شخصيتهم، وهم بعد هذا كله في قبضة الله لا يعجزونه في شيء، ولا يحدثون شيئا إلا بقدره وإذنه، فالسلطان كله لله، وهم أعجز أن يكون لهم في ذواتهم سلطان، فكيف يكون لهم على المؤمنين سلطان، فلا يؤذون أولياء الله إلا بما شاء الله بإذن الله: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ [البقرة: ١٠٢].وحواس بعض الناس وجوارحهم مطموسة الاتصال بعقولهم وقلوبهم، فيسمعون ولا يعقلون ما سمعوا .. وينظرون ولا يميزون ما نظروا .. فهي معطلة لا تؤدي حقيقة وظيفتها، فهؤلاء في النار كما قال سبحانه: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١٧٩)﴾ [الأعراف: ١٧٩].والأسماع والأبصار والعقول بيد الله وحده، ولكن الله سن سنة وترك الخلق لمقتضى السنة، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول ليهتدوا بها، فإذا هم عطلوها حقت عليهم سنته التي لا تتخلف ولا تحابي أحدا، ولقوا جزاءهم." (١)

"عدلا.فلا يضيق الداعي إذا كذبه الناس وهو يدعوهم إلى الحق، ولا يتألم من العناد الصفيق بعد تكرار البيان والإعلام، فليس إباؤهم عن تقصير منه في الجهد، ولا قصور فيما معه من الحق.ولكن هؤلاء كالصم الذين لا يسمعون، والعمي الذين لا يبصرون، وما يفتح العيون والآذان إلا الله، فهو شأن خارج عن طبيعة الدعوة، والداعية داخل في اختصاص الله سبحانه وحده.فكل عبد من عباد الله لا قدرة له خارج مجال العبودية ولو كان رسولا، **فالأمر كله لله الواحد** القهار في الدنيا والآخرة، وفي العالم العلوي وفي العالم السفلي: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ [آل عمران: ١٥٤].والله جل جلاله أعلم بعباده من أنفسهم، فهو الذي يحكم على العباد بأن هذا مهتد وهذا ضال: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (٧)﴾ [القلم: ٧].وهو سبحانه الهادي الذي أنزل الهدى، وهو صاحب الحق في وزن الناس به، وتقرير من هو المهتدي، ومن هو الضال: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (٣٢)﴾ [النجم: ٣٢].والهداية إلى الإيمان نعمة كبرى بل هي أجل النعم، لا يعرفها إلا من ذاقها، فهي تنشئ في القلب حياة بعد الموت، وتطلق فيه نورا بعد الظلمات.حياة يعيد بها تذوق كل شيء، وتصور كل شيء، بحس آخر لم يكن يعرفه قبل هذه الحياة، ونورا يبدو كل شيء تحت أشعته جديدا كما لم يبد من قبل قط لذلك القلب الحي هو الذي نوره الإيمان كما قال سبحانه: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون (١٢٢)﴾ [الأنعام: ١٢٢].فالقلوب إذا لم يدخلها الإيمان والهدى فهي ميتة مظلمة، فإذا دخل الإيمان في." (٢)

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٣٨٨/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٣٨٩/٣

"بذبحه: ﴿فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾ [الصافات: ١٠٢].إنها إشارة وليست وحيا صريحا، ولا أمرا مباشرا، ولكنها إشارة من ربه، وهذا يكفي، فلبى دون أن يعترض أو يسأل.ولم يلب في انزعاج ولا جزع، بل استجاب مطمئنا راضيا واثقا أنه يؤدي واجبه، والذي لا يهوله الأمر فيؤديه في اندفاع وعجلة ليخلص منه وينتهي.إن الأمر شاق على النفس جدا، فالله لا يطلب إليه أن يرسل بابنه الوحيد إلى المعركة .. ولا يطلب إليه أن يكلفه أمرا تنتهي به حياته .. إنما يطلب إليه أن يتولى ذبح ابنه بيده.وهو مع هذا يتلقى الأمر هذا التلقي، ويعرض على ابنه هذا العرض، ويطلب إليه أن يرى فيه رأيه.إنه لا يأخذ ابنه على غرة لينفذ إشارة ربه وينتهي، إنما يعرض الأمر عليه، كالذي يعرف المألوف من الأمر، فالأمر في حسه هكذا، ربه يريد فليكن ما يريد، وابنه ينبغي أن يعرف، وأن يأخذ الأمر طاعة واستسلاما، لا قهرا ولا اضطرارا؛ لينال هو الآخر أجر الطاعة، وليسلم هو الآخر، ويتذوق حلاوة التسليم لأمر ربه.إن إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – يحب لابنه إسماعيل – صلى الله عليه وسلم – أن يتذوق حلاوة الإيمان، ولذة التطوع التي ذاقها.فماذا كان من أمر الغلام الذي يعرض عليه الذبح تصديقا لرؤيا رآها أبوه؟.﴿قال يأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين (١٠٢)﴾ [الصافات: ١٠٢].لقد تلقى الأمر لا في طاعة فحسب، ولكن في رضى كذلك ويقين.ثم هو الأدب مع الله بالاستعانة به على ضعفه، ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة.فلم يأخذها بطولة، ولم يأخذها شجاعة، إنما أرجع الفضل كله لله، إن هو أعانه على ما يطلب إليه، وأصبره على ما يراد به.." (١)

"كتبه ليهتدي بها الناس إلى ربهم.فمن استجاب فآمن بالله وعمل بشرعه فهو من المؤمنين .. ومن أبى الإسلام فعليه أن يدفع الجزية مقابل رعايته في المجتمع الإسلامي .. فإن أبى الإسلام وأبى دفع الجزية فهذا مستكبر معاند، مؤذ ظالم كافر غير شاكر، عاص غير مطيع، يجب قتاله حتى يكون الدين كله لله.فالقتال في سبيل الله له أسباب .. وله أوامر .. وله أوقات .. وله أحوال.والدعوة إلى الله مشروعة ومفتوحة كل وقت لكل مسلم ومسلمة، والإسلام جاء لهداية الناس ورحمتهم ودعوتهم لعبادة الله وحده لا شريك له.فالدعوة إلى الله واجبة على المسلمين في جميع الأوقات والأحوال ليلا ونهارا .. سرا وجهارا .. حال الأمن وحال الخوف .. حال الإقامة وحال السفر، والنبي – صلى الله عليه وسلم – أعطاها أكثر الوقت، وهي مسؤولية الأمة بعده.أما الجهاد في سبيل الله فيشرع عند اللزوم، بل هو واجب لدفع عدو عن المسلمين، وقتال معاند، ونصر مظلوم، وحماية المسلمين، ورفع الظلم عنهم، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.فنوح – صلى الله عليه وسلم – دعا إلى الله ولم يقاتل، وهود وصالح، وإبراهيم ولوط، وإسماعيل وإسحاق، وموسى وعيسى، جميع هؤلاء الأنبياء دعوا إلى الله، ولم يؤمروا بقتال، وقاتل داود من أنبياء بني إسرائيل.ثم من الله على هذه الأمة بخاتم الأنبياء والمرسلين فدعا إلى الله، ولما أوذي والمؤمنون معه أذن الله لهم بالقتال بعد الهجرة إلى المدينة كما قال سبحانه: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].ولما أظهر الله دينه،

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٤٣٦/٣

وأعز أهله، وصارت لهم دار في المدينة، وقويت شوكتهم، عظم ذلك على الكفار، فزاد شرهم وظلمهم، وعظم كيدهم وطغيانهم، فحملوا سيوفهم وركبوا خيلهم للقضاء على الإسلام وأهله والدعاة إليه، واجتمع." (١)

"الجنة» أخرجه البخاري (١).وأهل الجهاد في سبيل الله هم الأعلون في الدنيا والآخرة، والرسول - صلى الله عليه وسلم - في الذروة العليا منه، واستولى - صلى الله عليه وسلم - على أنواعه كلها .. فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان .. والدعوة والبيان .. والسيف والسنان، فلهذا كان أرفع العالمين ذكرا، وأعظمهم عند الله قدرا، وأمره الله عز وجل بالجهاد من حين بعثه فقال: ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا (٥٢)﴾ [الفرقان: ٥٢].فهذه آية مكية أمره الله فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان، وإبلاغ القرآن.ثم لما استمر في الدعوة إلى الله، وآذاه الكفار، وظلموه وسبوه، وأرادوا قتله، وكفروا به، وصدوا عن سبيل الله، وصدوه عن المسجد الحرام، وبالغوا في ظلمهم وطغيانهم، وأصروا على كفرهم وشركهم، أذن الله له بالقتال بعد أن منع منه ثلاثة عشر عاما في مكة، فلما بلغ الأذى والظلم أشده: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩)﴾ [الحج: ٣٩].فجاهد عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة إلى المدينة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ويعبد الله وحده لا شريك له، امتثالا لأمر ربه الذي قال له: ﴿ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٩)﴾ [التحريم: ٩].والجهاد بالقلب واللسان، وبالسيف والسنان، كله لإعلاء كلمة الله ونشر دين الله، ليحصل الخير لجميع البشرية، ويكف عنهم الشر، وذلك يتطلب بذل النفس والمال والوقت، والتضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله.وحقيقة المجاهدة تكون بثلاثة أشياء:الأول: أن نكمل العمل من أوله إلى آخره، عبادة ودعوة، وشرطه أن يكون خالصا لله، موافقا لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. ـــــــــــــــــــ(
١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).." (٢)

"فتنة ويكون الدين كله لله.ولا يهولن المسلم أن تكون هذه القوة الضالة ضخمة أو عاتية، فهي بضلالها عن مصدر قوتها الأول، قوة الله عز وجل، تفقد قوتها الحقيقية، كما ينفصل جرم ضخم من جرم ملتهب، فما يلبث أن ينطفئ ويبرد، ويفقد ناره ونوره، على حين تبقى لأية ذرة متصلة بمصدرها المشع قوتها وحرارتها ونورها، ومن كان الله معه فمعه كل شيء، ومن لم يكن الله معه فليس معه شيء.أما القوى الطبيعية التي يرسلها الله عقوبة أحيانا، وابتلاء أحيانا كالخسوف والزلازل والبراكين، فموقفه منها الاتعاظ والاعتبار والتضرع إلى الله، والتوبة إليه.والجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس، وكلاهما مطلوب من العبد، والجهاد باللسان مقدم على الجهاد بالسيف، وكلاهما مطلوب من العبد.فمن كان له مال وهو يقدر على الجهاد بنفسه وجب عليه الجميع، وإن كان لا يقدر بنفسه وله مال وجب عليه الجهاد بماله.فإن كان لا يقدر بالمال ولا بالنفس فالحرج عنه مرفوع كما قال سبحانه: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١)﴾ [التوبة: ٩١].والجهاد فريضة من فرائض الله إذا قامت أسبابه، فإذا تركته الأمة وأقبلت على الدنيا هلكت كما قال سبحانه: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٤٩١/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٤٩٤/٣

إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين (١٩٥)﴾ [البقرة: ١٩٥].ويجب على المسلمين أن يقوموا بما أمرهم الله به من جهاد أعدائهم بحسب استطاعتهم، وأن يتوكلوا على الله وحده ولا ينظروا إلى قوتهم وكثرتهم ولا يركنوا إليها، فإن ذلك من الشرك الخفي، ومن أسباب إدالة العدو عليهم، ووهنهم عن لقاء العدو؛ لأن الله أمرنا بفعل الأسباب، ولكن لا نركن إليها، بل نتوكل على الله وحده كما قال سبحانه: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم." (١)

"مؤمنين (٢٣)﴾ [المائدة: ٢٣].وعلينا ألا نغتر بأهل الكفر، ولا بما أعطوه من القوة والعدة، فإن المسلمين يقاتلون بأعمالهم، فإن أصلحوها وصلحت وعلم الله منهم الصدق والإخلاص أعانهم ونصرهم على عدوهم وأذل أعداءهم وخذلهم، فالخلق كلهم عبيده، ونواصيهم بيده، وهو القوي الذي لا يقهر، والعزيز الذي لا يغلب، ينصر أولياءه، ويخذل أعداءه: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٦٠)﴾ [آل عمران: ١٦٠].ومن كفر سلط الله عليه العذاب والشقاء، وعذبه في دنياه بالأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنار: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٥٥)﴾ [التوبة: ٥٥].والله عز وجل أمر المؤمنين أن يجاهدوا الكفار لا طمعا في أرضهم وأموالهم، إنما يجاهدونهم لأجل إنقاذهم من النار إن أسلموا، ولأجل كف ظلمهم وإراحة المسلمين من شرهم وتطهير الأرض من شركهم وكفرهم كما قال سبحانه: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله فإن** انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩) وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (٤٠)﴾ [الأنفال: ٣٩، ٤٠].وقد شرع الله القتال في الإسلام وأذن به لتحقيق أهداف كثيرة:أحدها: الدفاع عن المؤمنين، وحفظهم من الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها، وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم ودينهم.الثاني: تقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة، فقد جاء الإسلام بهذا الخير ليهديه للبشرية كلها، ويبلغه إلى أسماعها وقلوبها، ثم من شاء بعد البيان أن يؤمن أو يكفر.فمن وقف في وجه من يقوم بذلك، ومنع الناس من الاستماع للدين والحق، أو صدهم عنه، فهذا يجب قتاله لأنه منع الناس من قول الحق، وسماع الحق،." (٢)

"يضيع أجر المحسنين (١٢٠) ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون (١٢١)﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١].إن الله عز وجل كريم يعطي المجاهدين على الظمأ جزاء .. وعلى النصب جزاء .. وعلى الجوع جزاء .. وعلى الخطى جزاء .. وعلى كل نيل من العدو جزاء .. يكتب به للمجاهد عمل صالح .. ويحسب به من المحسنين.وكذلك على النفقة الصغيرة والكبيرة أجر .. وعلى الخطوات لقطع الوديان أجر .. أجر كأحسن ما يعمل المجاهد في الحياة.ألا ما أجزل هذا العطاء من رب العالمين .. وما أوسع رحمته لعباده .. وما أعظم فضله عليهم.خلقنا .. ورزقنا .. وهدانا .. واشترانا .. ووفقنا للعمل الصالح .. ويسره لنا .. وأعاننا عليه .. وحببه إلينا .. وأكرمنا بالإسلام .. وشرفنا بالدعوة إليه .. وضاعف لنا الأجر .. ووعدنا على ذلك الجنة: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٤)﴾ [الجمعة: ٤].إن العبادة أمانة .. وإن دعوة الناس إلى الله أمانة .. وإن تعليم الناس أمانة، وإن الجهاد في

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠٠٠/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠٠١/٣

سبيل الله أمانة .. ونحن فيها خلفاء .. وعليها بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – أمناء .. ونحن مسئولون عنها.فعلينا جميعا أن نقوم بأداء هذه الأمانات حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.وإذا اتسعت رقعة الأرض الإسلامية، وكثر عدد الرجال المستعدين للجهاد في سبيل الله، فقد آن أن توزع الجهود في الجهاد، وعمارة الأرض، والتجارة، وغيرها مما يحتاجه المجتمع المسلم، فهذه مرحلة أخرى، يصار إليها إذا صار الواقع كذلك كما قال سبحانه: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (١٢٢)﴾ [التوبة: ١٢٢].." [1]

"والجهاد في أول الإسلام كان للدعوة إلى الله حيث لا قتال، بل دعوة إلى الله كما قال سبحانه: ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا (٥٢)﴾ [الفرقان: ٥٢].ففي مكة قيل للمسلمين في أول الإسلام كفوا أيديكم كما قال سبحانه: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [النساء: ٧٧].وفي المدينة بعد الهجرة كان جهاد المنافقين باللسان كما قال سبحانه: ﴿ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٩)﴾ [التحريم: ٩].ثم كان الجهاد بالسيف لما عز الإسلام وأوذي المسلمون كما قال سبحانه: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩)﴾ [الحج: ٣٩].وكان الإذن بالقتال أولا لمن آذى المسلمين وقاتلهم كما قال سبحانه: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (١٩٠)﴾ [البقرة: ١٩٠].ثم أذن الله للمسلمين بقتال المشركين كافة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، كما قال سبحانه: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين (٣٦)﴾ [التوبة: ٣٦].وقال سبحانه: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله** **فإن** انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩)﴾ [الأنفال: ٣٩].والسلام الذي يدعو إليه الإسلام يقوم على أمرين:الأول: أن تنقطع الفتن التي تلاحق المسلمين في كل أرض.الثاني: أن يكون الدين كله لله.وإذا قوي الإيمان سهل على العبد امتثال أوامر الله كلها، وتلذذ بمباشرتها.فإذا اجتمع للعبد قوة الإيمان مع قوة البدن فذلك الذي يحبه الله في ميدان الجهاد.." [2]

"حتى تقع بينهم الفتنة كما هو واقع، فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد في سبيل الله جمع الله قلوبهم، وألف بينهم، وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم.وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شيعا، ويذيق بعضهم بأس بعض كما قال سبحانه ﴿ياأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٣٨) إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (٣٩)﴾ [التوبة: ٣٨،٣٩].والعذاب قد يكون من عند الله مباشرة، وقد يكون بأيدي العباد كما قال سبحانه: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون (٦٥)﴾ [الأنعام: ٦٥].وأعظم ميادين الإصلاح والتوجيه ثلاثة:ميدان الدعوة .. وميدان التعليم .. وميدان الجهاد في سبيل الله.والكفار والشياطين والطغاة أشد ما تكون عليهم إذا كنت فيها،

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣/٢٥٢٥

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣/٢٥٣٥

أو في واحد منها؛ لأنه بالدعوة تنزل الهداية، وبالعلم يزول الجهل، وبالجهاد يزول الباطل.وبهذه الثلاثة يكون الدين كله لله، ويعبد الله الذي يستحق العبادة، ويزول حكم أهل الباطل من الأرض.." (١)

"وخسر المبطلون، وعلموا أنهم كانوا كاذبين.فإذا كشف الغطاء تبين لهم فساد ما كانوا عليه، ولا سيما إذا حشروا في صور الذر، يطؤهم أهل الموقف بأرجلهم إهانة لهم وتحقيرا وتصغيرا، كما صغروا أمر الله، وحقروا عباده في الدنيا.قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال» أخرجه أحمد والترمذي (١).والإمامة في الدين من الرتب العالية، بل هي أعلى مرتبة يعطاها العبد في الدين، ولذلك كان جزاؤه عليها الغرف العالية في الجنة، كما قال سبحانه:﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما (٧٤) أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما (٧٥)﴾ [الفرقان: ٧٤، ٧٥].فالناصح لله .. المعظم له .. المحب له .. يحب أن يطاع ربه فلا يعصى .. وأن تكون كلمته هي العليا .. وأن يكون **الدين كله لله** .. وأن يكون العباد ممتثلين أوامره .. مجتنبين نواهيه، مسلمين له.فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إماما يقتدي به المتقون، كما اقتدى هو بالمتقين الذين جعلهم الله أئمة في الدين، لصبرهم وكمال يقينهم كما قال سبحانه: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون (٢٤)﴾ [السجدة: ٢٤].ويجب على ولي الأمر أن يتحلى بمكارم الأخلاق، فيعامل الخلق بحسن الخلق، ويتقي شر الجاهلين بالإعراض عنهم، ويتقي شر الشياطين بالاستعاذة منهم. __________(١) حسن: أخرجه أحمد برقم (٦٦٧٧).وأخرجه الترمذي برقم (٢٤٩٢)، وهذا لفظه، صحيح سنن الترمذي رقم (٢٠٤٥).." (٢)

"عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (١٦٤)﴾ [آل عمران: ١٦٤].والله وحده والإسلام وحده هو الذي جعل للعرب رسالة قيمة يقدمونها للعالم، وهم الذين علموا البشرية كيف تحترم الإنسان؟.وهم الذين قدموا لها نظاما للحياة الإنسانية الراقية.وكان هذا الإسلام بشعائره وشرائعه .. وآدابه وأخلاقه .. هو بطاقة الشخصية التي تقدم بها العرب للعالم فعرفهم واحترمهم وسلمهم القيادة والإمامة.وهم اليوم وغدا لا يحملون إلا هذه البطاقة، ليست لهم رسالة غيرها يتعرفون بها على العالم البشري.وهم إما أن يحملوها كما استلموها بجلالها وجمالها فتعرفهم البشرية وتكرمهم، وإما أن ينبذوها فيعودوا هملا كما كانوا من قبل لا يعرفهم أحد، ولا يعترف بهم أحد، ولا يقدرهم أحد.إن لكل أمة من الأمم الكبيرة رسالة .. والمسلمون أكبر أمة تحمل أكبر رسالة .. وأكبر أمة هي التي تحمل أكبر رسالة .. وهي التي تقدم أكبر منهج .. وهي التي تنفرد في الأرض بأرفع مذهب في الحياة وأحسنه.وقد سعدت البشرية أيما سعادة حين قبلت هذه الرسالة في عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين، وعهد التابعين لهم بإحسان.فما بال أكثر المسلمين اليوم لا يحسنون عرض الرسالة لا بالقول ولا بالفعل، ولا يرغبون في ذلك، ولعلهم زهدوا فيه فذلوا وهانوا على الله وعلى خلقه:

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠٤١/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠٨٥/٣

﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (٦٦) وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (٦٧) ولهديناهم صراطا مستقيما (٦٨)﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨].ومقصود جميع الولايات في الإسلام أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يحكم بشرع الله في كل أمر وحالة.ويحصل ذلك بطاعة الله ورسوله .. والدعوة إلى الله .. والجهاد في سبيله ..." (١)

"لا يعلمون (٨)﴾ [المنافقون: ٨].فالله سبحانه هو العزيز، وعزه سبحانه هو المصدر لكل عزة، وعز الرسل والمؤمنين مستمد من عز الله عز وجل، وعلى هذا فالعز كله لله، والعزة التي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلا إذا استظلت بظل الله، واحتمت بحماه، أما عزة الكفار المذكورة في قوله سبحانه: ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق (٢)﴾ [ص: ٢]، فهذه العزة هي التعزز، وهو في الحقيقة ذل؛ لأنه تشبع من الإنسان بما لم يعطه؛ لأن كل عز ليس بالله فهو ذل، كما يتعزز الكفار بالآلهة كما قال سبحانه: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢)﴾ [مريم: ٨١،٨٢].اللهم أنت العزيز الذي لا يغلب، القوي الذي لا يعجزه شيء، القاهر الذي قهر كل شيء، أعز الإسلام والمسلمين، وأخذل من خذل الدين، وانصر عبادك الموحدين، يا قوي يا عزيز نعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تذلنا أو تضلنا.." (٢)

"٤ - فقه النفع والضرقال الله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون (١٨٨)﴾ [الأعراف: ١٨٨].وقال الله تعالى: ﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين (٧١)﴾ [الأنعام: ٧١].كل ما سوى الله عز وجل مملوك لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع إلا بإذن الله، **فالأمر كله لله أولا** وآخرا، وظاهرا وباطنا.وهو سبحانه الذي يقلب الليل والنهار، ويقلب القلوب والأبصار، المتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، والخفض والرفع، ما من دابة إلا وهو آخذ بناصيتها: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)﴾ [الأعراف: ٥٤].وذلك كله يقتضي تعظيمه ومحبته سبحانه، وعبادته وطاعته؛ لإحسانه إلى عباده، وإسباغ نعمه عليهم.وكتاب الله عز وجل مملوء من ذكر حاجة العبيد إلى الله دون ما سواه، ومن ذكر نعمائه عليهم، ومن ذكر ما وعدهم به في الآخرة من صنوف النعيم واللذات، وليس عند المخلوق شيء من هذا.فعلى العبد التوكل على ربه وحده، والشكر له ومحبته على إحسانه، وفي تعلق العبد بما سوى الله مضرة عليه إذا أخذ منه القدر الزائد على حاجته المعينة على عبودية الله وتفريغ قلبه له.والله سبحانه غني حميد، كريم رحيم، فهو المحسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه سبحانه، ولا يدفع مضرة، بل رحمة منه وإحسانا.." (٣)

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٥٨٨/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٦٧١/٣

(٣) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٧٤٥/٣

"وترزق هي التي تشرع فتحل وتحرم، وتأمر وتنهى.وقد أباح الله للناس جميعا أن يأكلوا مما رزقهم الله في الأرض حلالا طيبا إلا ما شرع لهم حرمته لمضرته، وحذرهم من عدوهم الشيطان الذي غر أباهم آدم فأوقعه فيما حرم الله فقال سبحانه: ﴿يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (١٦٨)﴾ [البقرة: ١٦٨].وينادي الله المؤمنين بالصفة التي تربطهم به سبحانه، وتوحي إليهم أن يتلقوا منه الشرائع، وأن يأخذوا عنه الحلال والحرام، ويذكرهم بما رزقهم، فهو وحده الرازق، الذي أحل لهم الطيبات التي تنفعهم وحرم عليهم الخبائث التي تضرهم فيقول: ﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون (١٧٢)﴾ [البقرة: ١٧٢].والله عز وجل مالك الملك، ومالك كل موجود؛ لأنه موجده، وقد استخلف الإنسان في هذه الأرض، ومكنه مما ادخره له فيها من أرزاق وأقوات، وقوى وطاقات، على عهد منه وشرط.ولم يترك له هذا الملك العريض فوضى يصنع فيه الإنسان ما يشاء، كيف شاء.إنما استخلفه على أن يقوم بالخلافة وفق منهج من استخلفه، وحسب شريعته.فما وقع منه من عقود وأعمال، وعبادات ومعاملات، ومعاشرات وأخلاق، وفق التعاقد فهو صحيح نافذ، وما وقع منه مخالفا للعقد فهو باطل موقوف.فإن أنفذه قوة وقسرا فهو إذن ظلم واعتداء لا يقره الله، ولا يقره المؤمنون بالله.فالخلق والأمر والحكم في **الكون كله لله وحده**، والناس كلهم ليس لهم أن يخرجوا عن منهج الله وشريعته؛ لأنهم وكلاء مستخلفون في الأرض بشرط وعهد، ولهم حقوق وعليهم واجبات، وليسوا ملاكا خالقين لما في أيديهم من أرزاق، ولا مدبرين بملك غيرهم إلا حسب أمره.ومن بنود هذا العهد أن يقوم التكافل بين المؤمنين بالله، فيكون بعضهم أولياء بعض، وأن ينتفعوا برزق الله الذي أعطاهم كإخوة.." (١)

"تطلب منه منفعة لك، وتدعو وتسأل من ضره أقرب من نفعه، وليس له من الأمر شيء كمن: ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (١٢) يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير (١٣)﴾ ... [الحج: ١٢، ١٣].لكن أحسن إلى الناس لله لا لرجائهم، وكما لا تخافهم فلا ترجوهم، وارج الله ولا ترج الناس.والخلق كلهم لو اجتهدوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بأمر قد كتبه الله لك، ولو اجتهدوا على أن يضروك لم يضروك إلا بأمر قد كتبه الله عليك، ولن ينفعوك أو يضروك إلا بإذن الله، فلا تعلق بهم رجاءك.ولو أصابتك مضرة كالخوف والجوع والمرض لم يقدر جميع الخلق على دفعها إلا بإذن الله، وهم لا يدفعونها إلا لغرض لهم في ذلك.والإنسان كلما كان أذل لله، وأعظم افتقارا إليه، وخضوعا له، كان أقرب إليه، وأعز له، وأعظم لقدره، وأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله عز وجل.والرب سبحانه أكرم ما تكون عليه أحوج ما تكون إليه، وأفقر ما تكون إليه، والخلق أهون ما يكون عليهم أحوج ما يكون إليهم، وأعظم ما يكون العبد قدرا عند الخلق إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه.فإن أحسن إليهم مع الاستغناء عنهم كان أعظم ما يكون عندهم، ومتى احتاج إليهم ولو في شربة ماء نقص قدره عندهم بقدر حاجته إليهم.وهذا من حكمة الله ورحمته ليكون الدين كله لله، ولا يشرك به شيئا.والعابد حقا من جمع بين أمرين:الأمر الشرعي .. والأمر الكوني.وعلى هذين

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٧٥٧/٣

الأمرين مدار الدين.فإن العبد إذا شهد عبوديته لربه، ولم يكن مستيقظا لأمر سيده، لا يغيب بعبادته عن معبوده، ولا بمعبوده عن عبادته.." (١)

"والله جل جلاله أحق بالتعظيم والثناء من كل أحد، فالثناء كله لله، والتحيات كلها لله، والصلوات كلها لله، والطيبات من الكلمات والأقوال والأفعال كلها لله.فالله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإليه يصعد الكلم الطيب، والصلاة مشتملة على عمل صالح، وكلم طيب، والسلام من أسماء الله الحسنى، فهو السلام الحق بكل اعتبار.وقبول الصلاة يتوقف على تحقيق ستة أشياء:الإيمان بالله .. وصفة الإحسان .. وصفة الإخلاص .. وصفة العلم .. واستحضار عظمة الله .. وأداء حقوق الناس.وإذا أقيمت الصلاة هكذا جاءت المعاملات طيبة، والمعاشرات طيبة والأخلاق طيبة.وهكذا كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يتصفون بخمس صفات جذبت قلوب الكفار إلى الإسلام وهي:الإيمان .. والعبادات .. وحسن المعاملات .. وحسن المعاشرات .. وحسن الأخلاق.ففي الأسواق جذبهم إلى الإسلام حسن الأخلاق، وحسن المعاملات، وفي البيوت جذبتهم حسن المعاشرات.وفي المساجد جذبتهم صفات الإيمان، وحسن العبادات، فتأثروا بذلك ودخلوا في دين الله أفواجا.والصلاة صلة بين العبد وربه، وهي تربية وتدريب للمسلم بأن لا يتحرك أي عضو من أعضائه إلا امتثالا لأمر الله ورسوله، وذلك باستخدام الأعضاء في الحياة اليومية طبقا للسنة المطهرة في مجال العبادات والمعاملات والمعاشرات والأخلاق.سواء كان الإنسان ذكرا أم أنثى، وسواء كان حاكما أو محكوما، وسواء كان." (٢)

"وشهود العبد هذا مما يقوي إيمانه بما جاءت به الرسل من التوحيد والإيمان، والأوامر والنواهي، والثواب والعقاب.العاشر: مشهد الرحمة:فإذا وقع العبد في المعصية خرجت من قلبه تلك الغلظة والقسوة والغضب الذي كان عنده لمن صدر منه ذنب، حتى لو قدر عليه لأهلكه، وربما دعا عليه غضبا لله، وحرصا منه على أن لا يعصي ربه، فلا يجد في قلبه رحمة للمذنبين.فإذا جرت عليه المقادير وأذنب استغاث بالله، والتجأ إليه، ودعاؤه عليهم بالدعاء لهم بالمغفرة.الحادي عشر: مشهد العجز والضعف.فالإنسان أعجز شيء عن حفظ نفسه، ولا حول له ولا قوة إلا بربه، تجري عليه أحكام القدر وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.ليس له من نفسه إلا الجهل والظلم، فالهلاك أدنى إليه من شراك نعله، كشاة ملقاة بين الذئاب والسباع لا يردهم عنها إلا الراعي، فلو تخلى عنها طرفة عين لتقاسموها أعضاء.وهكذا حال العبد ملقى بين الله وبين أعدائه من شياطين الإنس والجن، فإن حماه منهم وكفهم عنه لم يجدوا إليه سبيلا، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه طرفة عين اغتاله وظفر به أحدهم.وفي هذا المشهد يعرف العبد نفسه حقا، ويعرف فضل ربه حقا، فمن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة، ومن عرفها بالعجز عرف ربه بالقدرة، ومن عرف صفاته الممدوحة فيه كالقوة والكلام، والحياة والصدق، عرف أن الذي أعطاه ذلك أولى به منه، فمعطي الكمال أولى بالكمال، فمن لم يعرف نفسه لم

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٧٨٣/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٨٠٠/٣

يعرف ربه.وإذا عرف العبد ذلك عرف أنه ليس بيده شيء، ولا بيد غيره شيء، وأن **الأمر كله لله العلي** الكبير كما قال سبحانه: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب." (١)

"وليتعرف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته.وسلاهم بما أعطاهم بما هو أجل قدرا وأعظم مما فاتهم، فكل مصيبة وبلية تهون أمام منة الله على المؤمنين بالهداية إلى الإسلام كما قال سبحانه: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (١٦٤)﴾ [آل عمران: ١٦٤].والله قوي عزيز، وهو على كل شيء قدير، والمخلوقات كلها بالنسبة لله أصغر من الخردلة فهو سبحانه وحده الكبير المتعال.والله عز وجل لا يستعمل قدرته أمام الطغاة والجبابرة، بل يهلكهم ويدمرهم بأضعف مخلوقاته وأصغرها وأهونها؛ ليعلم الناس أنهم ليسوا بشيء، وأن الله قادر على إهلاكهم بأهون شيء عليهم.كما أرسل الله البعوضة على النمرود فأهلكته .. وفتح ماء السماء والأرض على قوم نوح فأغرقهم .. وكما فتح البحر لفرعون وقومه فأغرقهم في جوفه .. وكما فتح السد على قوم سبأ فأهلك زروعهم وخرب ديارهم .. وكما أرسل الريح على قوم عاد فدمرتهم .. وكما أرسل النار على قوم شعيب فأحرقتهم .. وكما أرسل الصيحة على قوم ثمود فأهلكتهم .. وكما أهلك قوم لوط بطرف جناح جبريل .. وأهلك أصحاب الفيل بالطير الأبابيل .. وأرسل الجراد والقمل والضفادع على قوم فرعون.وقد شرع الله سبحانه الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ونصرة الدين، وقمع المعتدين، وإذا تركته الأمة هلكت كما قال سبحانه: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله فإن** انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩)﴾ [الأنفال: ٣٩].وإذا أقبلت الأمة على الدنيا وأعرضت عن الآخرة، سلط الله عليها الذل حتى تعود إلى ربها كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر." (٢)

"وإن كان مسلما طلب أن يطاع في أغراضه وما يهوى، وإن كان فيها ما هو ذنب ومعصية لله، ويكون من أطاعه أحب إليه وأعز عنده ممن أطاع الله وخالف هواه، وهذه شعبة من حال فرعون، وسائر المكذبين للرسل.وإن كان عالما أو شيخا أحب من يعظمه دون من يعظم نظيره، وربما أبغض غيره حسدا وبغيا، كما فعلت اليهود مع محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام، ولهذا أخبر الله عنهم بمثل ما أخبر به عن فرعون، وسلط عليهم من انتقم منهم.والأنبياء والرسل دينهم واحد وهو الإسلام، وشرائعهم مختلفة، وهؤلاء الرسل يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا.ومن كان من المطاعين من الأمراء والعلماء تبعا للأنبياء والرسل أمر بما أمروا به ودعا إليه، وأحب من دعا إلى مثل ما دعا إليه، فإن الله يحب ذلك الشخص، ومن كره أن يكون له نظير يدعو إلى ذلك، فهذا يطلب أن يكون هو المطاع المعبود، وله نصيب من حال فرعون.ومن طلب أن يطاع مع الله، فهذا يريد من الناس أن يتخذوه من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، ومن الناس من يحسن إلى غيره ليمن عليه، أو ليجزيه بطاعته له، وتعظيمه إياه، أو نفع آخر.فالمتبع للرسل يأمر الناس بما أمرتهم به الرسل، ليكون **الدين كله لله لا** له، فإذا أمر غيره بمثل ذلك أحبه وأعانه وسر به.وإذا أحسن إلى الناس فإنما يحسن إليهم ابتغاء

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٩٠٢/٤

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٩٧٣/٤

وجه ربه الأعلى، ويعلم أن الله قد من عليه بأن جعله مؤمنا محسنا.والناس ثلاثة أقسام:عبد محض .. وحر محض .. ومكاتب قد أدى بعض كتابته.فالعبد المحض: هو عبد المال والطين، الذي قد استعبدته نفسه وشهوته، وملكته وقهرته، فانقاد لها انقياد العبد لسيده الحاكم عليه.والحر المحض: هو الذي قهر شهوته، وملك نفسه، فانقادت معه، وذلت له،." (١)

"ودخلت تحت رقه وحكمه، فهي مملوكة عنده، يأمرها بما شاء مما يرضي ربه، ويمنعها مما يسخط ربه.والمكاتب: من قد عقد له سبب الحرية، وهو يسعى في كمالها، فهو عبد من وجه، حر من وجه آخر، فهو عبد ما بقي عليه درهم، فكذا المسلم عبد لنفسه ما بقي عليه حظ من حظوظ نفسه.فالحر من تخلص من رق المال والطين، وفاز بعبودية رب العالمين، فاجتمعت له العبودية والحرية.ويتم إصلاح النفوس بأمرين:تكوين القلب .. وتكوين الجسم.وتكوين القلب: هو بذل الجهد لترسيخ الإيمان واليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فيه.أما تكوين الجسم: فهو استغلاله في السبل التي جاء بها النبي - صلى الله عليه وسلم - من السنن والأحكام والآداب، ويتم ذلك بالتعلم ... والتذكير .. وتزكية النفس بالأخلاق الحميدة، وإخلاص العمل لله .. وإبلاغ الناس دين الله ليكون الدين كله لله.والنفوس وما تحب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:الأولى: نفس سماوية علوية، ومحبتها منصرفة إلى معرفة الله، ومعرفة أسمائه وصفاته، وفعل الفضائل والطاعات، واجتناب الرذائل والمعاصي، وهذه النفس مشغوفة بما يقربها من الرفيق الأعلى، وذلك قوتها وغذاؤها وشفاؤها ودواؤها.الثانية: نفس سبعية غضبية، ومحبتها منصرفة إلى القهر والبغي، والعلو في الأرض، والكبر والرئاسة على الناس بالباطل، فلذاتها في ذلك وشغفها به.الثالثة: نفس حيوانية شهوانية، فهذه النفس محبتها منصرفة إلى المأكل والمشرب، والمنكح والملبس، ونحو ذلك من الشهوات والملاذ.وربما جمعت بين الأمرين العلو والفساد كما قال سبحانه عن فرعون: ﴿إن." (٢)

"الشريعة الكاملة التي تأمر بكل خير، وتنهى عن كل شر، ومخالفة الهوى الذي يوقع في كل شر، ويمنع كل خير كما قال سبحانه: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨)﴾ [الجاثية: ١٨].واتباع الهوى يضل العبد عن سبيل الله، ويخرجه عن الصراط المستقيم فيقع في العذاب الشديد؛ لأنه ترك الهدى واتبع الهوى كما قال سبحانه: ﴿ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢٦)﴾ [ص: ٢٦].واتباع الهوى هو إيثار ميل النفس إلى الشهوة والانقياد لها فيما تدعو إليه من معاص الله عز وجل.وانقياد الإنسان واتباعه للشهوات يجعله في مصاف الحيوانات، ويجلب له الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة.وجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله، والهوى شر داء خالط القلوب، وشر إله عبد في الأرض.وخير الناس من أخرج الشهوات من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه، ومن أطاع هواه أعطى عدوه مناه.والإنسان إذا كان كلما هوى شيئا ركبه، وكلما اشتهى شيئا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى، فقد اتخذ إلهه هواه.وإذا تمكنت الشهوة من الإنسان وملكته وانقاد لها كان كالبهائم أشبه منه بالناس.وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في الأمر ولا يطلبه أصلا، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٠٧٧/٤

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٠٧٨/٤

لغضب الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، بل يرضى إذا حصل له ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه؛ لأن قصده الحمية لنفسه، أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه، وليس قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا.." (١)

"إلى المعاصي عن طريق الشهوات، ثم يسوقه عن طريق الشهوات إلى المحرمات، ثم يوقعه في الكبائر لتكميل شهواته، ثم يشغله بالشهوات والمحرمات والكبائر عن أوامر الله، ثم يخرجه من الدين.فالمسلم يأخذ من الشهوات المباحة حسب أمر الشرع، ويستخدمها في طاعة الله، وينفقها في مرضاة الله، ويجتنب الشهوات المحرمة مطلقا، ويقبل على طاعة الله، ويجعل الدنيا وسيلة للآخرة.وبهذا يتكون المجتمع الإسلامي القادر على تحمل أعباء جهاد الكفار والمشركين، والمنافقين وأهل الكتاب، فإن من لا يجاهد نفسه ولا ينتصر عليها لا يقدر على جهاد غيرها.فيجاهد المسلم هؤلاء الأعداء في سبيل الله، حتى لا تكون فتنة، ويكون **الدين كله لله كما** قال سبحانه: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله فإن** انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩)﴾ [الأنفال: ٣٩].وقال سبحانه: ﴿ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٧٣)﴾ [التوبة: ٧٣].والجهاد للأعداء يكون بالدعوة إلى الله أولا، فإن لم يؤمنوا فعلى أهل الكتاب أن يدفعوا الجزية، فإن أبوا فعلى المسلمين قتالهم.أما الكفار والمنافقون فلا يقبل منهم إلا الإسلام، فإن أبوا فعلى المسلمين قتالهم، فسبيل الله هي الجهاد، وطلب العلم، ودعوة الخلق به إلى الله.واليهود والنصارى يعرفون أن هذا القرآن حق من عند الله، ويعرفون من ثم ما فيه من سلطان وقوة، وما فيه من خير وصلاح، وما فيه من طاقة دافعة للأمة التي تدين به، وبالأخلاق التي جاء بها، وبالشرائع التي سنها، ويحسبون كل حساب لهذا الكتاب وأهله.ويعرفون حق المعرفة أن الأرض لا تسعهم وتسع أهل هذا الدين، إنهم يعرفون ما فيه من حق، ويعرفون ما هم فيه من باطل، ويعرفون أن هذا الدين لا يمكن أن." (٢)

"يهادن الجاهلية التي صاروا إليها.ويعرفون جيدا أن هذا الدين لا يمكن أن يستعلي إلا على أنقاض الجاهلية التي هم عليها، ولا يمكن أن يكون **الدين كله لله حتى** تجلو الجاهلية عن هذه الأرض.وهم يعلمون كل ذلك، ويدرسون هذا الدين دراسة دقيقة عميقة، وينقبون عن أسرار قوته، وعن مداخله إلى النفوس، ويبحثون بجد كيف يستطيعون أن يفسدوا القوة الموجهة في هذا الدين؟.وكيف يلقون بالريب والشبه والشكوك في قلوب أهله؟ وكيف يحرفون الكلم عن مواضعه؟ وكيف يصدون أهله عن العلم الحقيقي به؟ وكيف يحولونه من حركة دافعة تحطم الباطل والجاهلية، وتسترد سلطان الله في الأرض، وتطارد أعداءه، وتجعل الدين كله لله، إلى حركة ثقافية باردة .. وإلى بحوث نظرية ميتة .. وإلى جدل فقهي أو طائفي فارغ .. وإلى مسابقات وألغاز؟.وكيف يفرغون مفهوماته وقواعده وأصوله في أنظمة وتصورات غريبة عنه، مدمرة له، مع إيهام أهله أن عقيدتهم محترمة مصونة؟إنهم يدرسون هذا الدين دراسة عميقة فاحصة، لا لأنهم يبحثون عن الحقيقة، ولا لينصفوا هذا الدين .. كلا.إنهم يقومون بهذه الدراسة العميقة لأنهم يبحثون عن مقتل لهذا الدين، ويبحثون عن منافذه ومساربه إلى

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣١٠٤/٤

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٣٦٢/٤

الفطرة ليسدوها، ويبحثون عن أسرار قوته ليقاوموه منها، مستخدمين المنافقين والمغفلين في ذبحه.ولو تمكنوا من الإجهاز عليه بالحديد والنار لفعلوا .. ولكنهم عجزوا فحاربوه بإثارة الشبهات حوله، والتشكيك به؛ لينفروا المسلمين منه، ويصدوا الناس عنه: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨)﴾ [الصف: ٨].وأهل الكتاب يعرفون كل صغيرة وكبيرة في هذا الدين، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وهم يعلمون أن الهجوم الصريح على هذا الدين يثير حماسة." (١)

"وحتى لا يكون التعبد فقط لإحسان الله إلى عبده سواء في الدنيا أو الآخرة، بل يكون لذات المعبود سبحانه.والله سبحانه يطلع على قلوب العباد، فأي قلب رأى فيه غيره سلط عليه إبليس كما قال سبحانه: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣)﴾ [مريم: ٨٣].وكل من عرف الله تعالى طابت له الحياة، وصفا له العيش، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف كل مخلوق، وأنس بالله، وقرت عينه بالله، وقرت به كل عين، وقرت عينه بالموت.ومن عرف الله لم يبق له رغبة فيما سواه، وأحبه على قدر معرفته به وخافه ورجاه ولهج بذكره، واشتاق إليه، واستحيا منه، وأجله وعظمه على قدر معرفته به.ومن أحب الدنيا حتى صارت أكبر همه فليوطن نفسه على تحمل المصائب.ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث:هم لازم .. وتعب دائم .. وحسرة لا تنقطع ..ذلك أن محب الدنيا لا ينال منها شيئا إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه، فلو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثا.ومحب الدنيا كشارب الخمر، كلما ازداد شربا ازداد سكرا.وأسعد الناس في الدنيا والآخرة هم أهل الإيمان والتقوى، والإحسان والإخلاص، الذين لا يفعلون شيئا إلا ابتغاء وجه ربهم الأعلى، لا يريدون سواه كما قال سبحانه: ﴿وسيجنبها الأتقى (١٧) الذي يؤتي ماله يتزكى (١٨) وما لأحد عنده من نعمة تجزى (١٩) إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى (٢٠) ولسوف يرضى (٢١)﴾ [الليل: ١٧ - ٢١].وهؤلاء هم الأنبياء ومن سار على هديهم.وصاحب التقوى لا ينبغي له أن يتحمل من الخلق ونعمهم ومننهم، وإن حمل منهم شيئا بادر إلى جزائهم عليه؛ لئلا يبقى لأحد من الخلق عليه نعمة تجزى، ليكون **عمله كله لله وحده**، لا يفعل ما يفعله إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى وحده لا." (٢)

"الحاسبين (٦٢)﴾ [الأنعام: ٦٢].فلا بد للناس أن يستيقنوا أن الله محاسبهم ومجازيهم على أساس شريعته هو لا شريعة غيره، وأنهم إن لم ينظموا حياتهم، ويقيموا معاملاتهم كما يقيمون شعائرهم وعباداتهم وفق شريعة الله في الدنيا، فإن هذا سيكون من أول ما يحاسبون عليه بين يدي الله عز وجل.وأنهم سيحاسبون على أنهم لم يتخذوا إلها في الأرض، ولكنهم اتخذوا من دونه أربابا متفرقة، وأشركوا مع الله غيره من خلقه.والأمر كله لله، وسنة الله ماضية لا تتخلف، وأجله الذي أجله لا يستعجل لكل حي، ولكل فرد، ولكل أمة: ﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (٤٩)﴾ ... [يونس: ٤٩].والآجال كالأرزاق كلها بيد الله، والأسباب والأمراض ستار وراءه قدرة الله.والأجل قد ينتهي بالهلاك الحسي، هلاك الاستئصال كما وقع لبعض الأمم الخالية كقوم نوح

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٣٦٣/٤

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٤٢٤/٤

وعاد وثمود .. وقد ينتهي بالهلاك المعنوي، هلاك الهزيمة والضياع .. وهو ما يقع للأمم إما لفترة تعود بعدها للحياة .. وإما دائما فتضمحل، وتنمحي شخصيتها، وتنتهي إلى اندثارها كأمة، وإن بقيت كأفراد.وكل أولئك وفق سنة الله التي لا تتبدل مصادفة ولا ظلما.فالأمم التي تأخذ بأسباب الحياة تحيا، والأمم التي تنحرف عنها تضعف أو تضمحل أو تموت بحسب انحرافها.والأمة الإسلامية منصوص على أن حياتها في اتباع رسولها، والرسول يدعوها لما يحييها، لا بمجرد الاعتقاد فقط، ولكن بالعمل الذي تنص عليه العقيدة في شتى مرافق الحياة، والحياة وفق المنهج الذي شرعه الله لها، والشريعة التي أنزلها، وإلا جاءها الأجل وفق سنة الله كما قال سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون (٢٤) واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم." (١)

"وأين هذا من الإمام الغاش لرعيته الظالم لهم، الذي قد حرم الله عليه الجنة، وأوجب له النار.الطبقة السادسة: المجاهدون في سبيل الله.وهؤلاء هم جند الله الذين يقيم بهم دينه، ويدفع بهم بأس أعدائه، ويحفظ بهم دينه، وهم الغزاة الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا.قد بذلوا أنفسهم في محبة الله ونصر دينه، وهم شركاء لكل من يحمونه في أعمالهم التي يعملونها، وإن باتوا في ديارهم.ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم، فإنهم كانوا هم السبب فيه.وقد حث الله عز وجل عباده المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، ورغبهم فيه، وأجزل لهم الأجر عليه فقال سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١١)﴾ [الصف: ١٠ - ١١].وقد أثنى الله عز وجل على عمار المساجد بالصلاة والطاعات بقوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (١٨)﴾ [التوبة: ١٨].وأخبر سبحانه أنه لا يستوي عنده عمار المسجد الحرام بالطواف والاعتكاف والصلاة وسقاية الحاج، لا يستوون هم وأهل الجهاد في سبيل الله بقوله سبحانه: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين (١٩) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون (٢٠) يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم (٢١) خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم (٢٢)﴾ [التوبة: ١٩ - ٢٢].." (٢)

"وحذر من معصيته بقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين (١٤)﴾ [النساء: ١٤].والحلقة المفقودة في حياة المسلمين اليوم هي انعدام المربين القادرين أو قلتهم، مع أن وجودهم ضروري لكمال الأمة وسعادتها.ومما يزيد في المحنة ويضاعف الألم أن الأمة الإسلامية لطول ما فقدت التربية الصحيحة قد فقدت الاستعداد النفسي لقبول التربية، ومن هنا فلا فائدة من وجود الدواء والأطباء إذا كان المريض يرفض التداوي به ويأباه، ومن هنا كان الخطر جسيما، وزوال المرض عسيرا.ولعل خير من يقوم بتهيئة الأمة لقبول التربية هم المربون الصالحون الصادقون، بما

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٤٧٨/٤

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٥٢٨/٤

يوجهون به الأمة للاقتداء بخير القرون في العبادة .. والدعوة .. والتعليم .. وحسن الخلق .. وحسن المعاملات .. حسب ما ورد في كتاب ربهم .. وسنة نبيهم – صلى الله عليه وسلم – .. وذلك بطريقتين: جماعية وفردية.فالجماعية: هي أن يتعاون المسلمون فيما بينهم، ويعيدون للمسجد دوره، ويجتمعون فيه كل يوم، ويتشاورون في أعمال الدين، وكيف يؤدونها، وكيف يكونون سببا لنشرها في العالم، وكيف يفرغون الأوقات ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم ليكون الدين كله لله، ويتحقق مراد الله من عباده، وبذلك يزيد إيمانهم، وتصلح أعمالهم، وتحسن أخلاقهم، ويكونون أمة يقتدى بهم.ويختارون عالما بالكتاب والسنة مقتديا بسلف الأمة، ويسندون له أمر تعليمهم، وتربية عقولهم وأرواحهم وأخلاقهم، ويعاهدونه على السمع والطاعة، فيعلمهم الكتاب والسنة، ويزكيهم بالأخلاق والآداب الإسلامية.وهذه الطريقة هي التي سلكها النبي – صلى الله عليه وسلم – بأصحابه مدة حياته، فقد اتخذ دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة مجلسا له ولأصحابه يعلمهم ما يوحى إليه، ويربيهم بأوامر ربهم، ويعرفهم بعظمة ربهم ليكبروه، وبنعمه ليشكروه، وباليوم الآخر وما فيه ليتقوه.." (١)

"﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٤)﴾ [الجمعة: ٤].فيا سعادة من هو عابد لربه: ﴿قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب (٩)﴾ [الزمر: ٩].ويا سعادة من هو داع إلى الله وإلى دين الله وشرعه في مشارق الأرض ومغاربها، حتى يعبد الله وحده لا شريك له.وما أعلى درجات من هو معلم لدين الله في جميع أوساط المسلمين، ليعبد الناس ربهم على بصيرة.وما أعظم حسنات من أنفق ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله.ويا بشرى لكل من جاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.ويا بشرى لكل من بادر للقيام بالأعمال الصالحة ابتغاء وجه ربه الأعلى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون (٢٥)﴾ ... [البقرة: ٢٥].هذا ما ندعو إليه .. وهذا ما نحبه لأنفسنا .. وهذا ما نحبه لكل إنسان إلى يوم القيامة: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب (٥٢)﴾ [إبراهيم: ٥٢].وكل ما نحبه ونرجوه أن يصلح الله أحوال الأمة في الدنيا .. وأن يسكنهم الجنة في الآخرة .. وأن يهديهم إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة: ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (٨٨)﴾ [هود: ٨٨].اللهم: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (٨)﴾ [آل عمران: ٨].﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٣)﴾ [الأعراف: ٢٣].." (٢)

"وكان القشيرى يقول: "الإمامة بالدعاء، لا بالدعوى" يعني: بتوفيق الله وتيسيره ومنته، لا بما يدعيه كل أحد لنفسه.وقال إبراهيم النخعي: "لم يطلبوا الرياسة، بل أن يكونوا قدوة في الدين".وقال ابن عباس: "اجعلنا أئمة هدى"، كما قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾.وعن الحسن قال: "من استطاع منكم أن يكون إمامًا لأهله، إمامًا لحيِّه، إمامًا

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٦٢٧/٤

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٦٥٠/٤

لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك إلا كان لك منه نصيب".وقد فصَّل الإمام المحقق ابن قيم الجوزية –رحمه الله تعالى – الفرق بين حب الرياسة، وبين حب الإمامة في الدين، فقال –رحمه الله–:(والفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله: هو الفرق بين تعظيم أمر الله، والنصح له، وتعظيم النفس، والسعي في حظها، فإن الناصح لله المعظم له المحب له يحب أن يُطاع ربُّه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه، فقد ناصح الله في عبوديته، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إمامًا يقتدى به المتقون، كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم جليلًا، وفي قلوبهم مهيبًا، وإليهم حبيبًا، وأن يكون فيهم مُطاعًا، لكي يأتموا به، ويقتفوا." (١)

"يكفوا عن ابتغاء القوم، وتطلبهم، وتعقب آثارهم، حتى لا تبقى لهم قوة، وحتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله! إن هذا المعنى هو عين ما نقصده مما سنذكره –فيما يلي إن شاء الله– من سعي الكافرين ودأبهم في تحصيل الدنيا، أو في الصد عن سبيل الله تعالى، بجانب معنى ثانٍ أشار إليه – صلى الله عليه وسلم – فيما رُوي عنه من قوله: "ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها" (١)، وأشار إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله. عنه حين شكا إلى الله تعالى: "جَلَدَ الفاجر، وعجزَ الثقة"، وأشار إليه أحمد بن حرب في قوله: "يا عجبا لمن يعرف أن الجنة تُزَيَّن فوقه، والنار تُسَعَّرُ تحته، كيف ينام بينهما؟ ".

ومعنى ثالث هو: استثارة الشعور بالاستحياء من الله جل جلاله في قلوب جند الله المسلمين حين يرون مَن لا خلاق لهم عند الله يكدحون ويضحون لنصرة باطلهم، ويوفون مع إمامهم إبليس بالعهد الذي قطعه على نفسه: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾، في حين يتباطأ كثير من المسلمين عن نصرة دين الحق مع أنهم عاهدوا الله على الانقياد لشرعه: ﴿واذكروا عهد الله وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾.

...

---

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في "الصحيحة" رقم (٩٥٣).." (٢)

"فأما رجل حلت به مصيبة فاجعة محرقة، شأنها عظيم في الملكوت، فيذهب فيتخذ عرسا، ويجتمع في بيته لغط وضوضاء، فهذا سمج، وقد جاوز القصد، وتكلف جهلا. فأن أراد به الله فهو جهل عندنا، وإن أراد به التصنع فممقوت.وفعل الأقوياء أن يضع كل شيء موضعه: السرور في موضعه، الحزن في موضعه. ويتقرب إلى الله بذلك الحزن، كما يتقرب بالسرور؛ لأن **ذلك كله لله وبالله**. ولو أن رجلا شكر في موضع الصبر لكان لشكره موضع هناك، ولو قال عند الذنب: (الحمد لله) لكان لقوله هناك موضع. ولكن الحمد في موضع النعمة، والاستغفار في موضع الذنب، والشكر في موضع النعمة، والصبر في موضع الشدة، فإذا حولته وجدت لكل منه متسعا في الأخر؛ ولكن هذا نقص في التدبير،

---

(١) علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم ص/١٢٣

(٢) علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم ص/٢٩٠

ونكس للأمور. وروى أن عمر بن الخطاب مر بعثمان رضى الله عنهما وهو قاعد، فبدأه عثمان بالسلام، فقال عمر رضى الله عنه: يا أبا محمد، ولم تنكس السنة؟! ففي هذا القدر عتب عليه عمر رضى الله عنه؛ السلام من المار على الجالس؛ لأنه هو الوالج عليه. والسلام أمان من العباد، فإنما ينبغى الأمان من الوارد. فإذا أزلته عن موضعه انتقض. فوجدنا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو سيد ولد آدم عليه السلام، عند المصائب، إظهار تعظيم أمر وإجلاله، ويبكى ويحزن. ولما توفى الله ابنه." (١)

"أخلاق الجبابرة على أخلاق المؤمنين، لبعدهم من مشاهدة اليقين ولاستيلاء أخلاق النفس عليهم، ثم إن نفوسهم مع علمهم أن الخلق **والأرض كله لله عز** وجله، وأن الحمد والملك له، قد تطمع في غير الله وترجو سواه، وقد تضطرب بجبلتها عن أثقال الحقائق، وقلوبهم لا تطمئن بل تنزعج عند الابتلاء بالمصائب والفاقات، ولاتصبر للخالق، وإن ألسنتهم قد تسبق بالمدح والفرح مع رؤية الأواسط أو بالذم والأسى على فوت العطاء لوجود الغفلة وذهابهم عن مشاهدة ما يعلمون، فهذا دليل نقص توحيدهم وضعف يقينهم، وإن معرفتهم معرفة سمع وخبر لامعرفة شهادة وخبر، وقد شركهم الموقنون بتسليم ذلك لله في العلم والقدرة وإثبات الأواسط والأسباب لمجاري الحكمة وعود الثواب والعقاب على الخليقة، ولكن زادوا عليهم بحسن اليقين وقوة المشاهدة وجميل الصبر وحقيقة الرضا، فسكنت القلوب واطمأنت النفوس عند النوازل والبؤس، وثبتوا في الإبتلاء لشهود المبلي يدبر الخلائق كيف شاء، فحصل لهم في اليقين وحال من التوكل ونصيب من الرضا، وخرج أولئك من حقائق هذه المعاني ودخلوا في عمومها، ودخل عموم المؤمنين مع الموقنين في فرض التوكل، قد جاوزهم الموقنون فارتفعوا عليهم وعلوا في فضله ووقف العموم ونكصوا عن العلو لقعود اليقين بهم وحجب الأسباب لهم، وسبق المقربون إلى الفضل، ويؤت كل ذي فضل فضله، هم درجات عند الله، والله بصير بما يعملون، وقال بعض العلماء: احتجب عن العموم بالأسباب فهم يرونها، وحجب الأسباب بنفسه عن الخصوص فهم يرونها ولا يرونها، وحدثونا عن سري السقطي قال: ثلاث يستبين بهن اليقين، القيام بالحق في مواطن الهلكة، والتسليم لأمر الله عند نزول البلاء، والرضا بالقضاء عن زوال النعمة، وقال يوسف بن أسباط قبله: كان يقال: ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه، من إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى باطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.ذكر التكسب والتصرف في المعايشولايضرالتصرفوالتكسب لمن صح توكله ولايقدح في مقامه ولا ينقص من حاله قال الله سبحانه: (وجعلنا النهار معاشا) النبأ: ١١، وقال تعالى: (وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) الأعراف: ١٠ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أحل ما أكل العبد من كسب يده وكل بيع مبرور، وقد كان الصانع بيده أحب إليهم من التاجر، والتاجر أحب إليهم من البطال، وقال ابن مسعود: إني لأكره أن يكون الرجل بطالا ليس في عمل دنيا، ولا في عمل آخرة، ولأن التوكل من شرط الإيمان ووصف الإسلام، قال الله تعالى: (إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) يونس: ٨٤، فاشترط في الإيمان به والإسلام

---

(١) المنهيات الترمذي، الحكيم ص/٧٣

له التوكل عليه، فإن كان حال المتوكل التصرف فيما قد وجه فيه ودخل في الأسباب وهو ناظر إلى المسبب في تصريفه، معتمد عليه واثق به في حركته، متسبب فيما يقلبه فيه مولاه، متعيش." (١)

"وروى حماد، عن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: أن رجلا من علماء أهل الشام وجد نعت بخت نصر وأنه غلام يتيم، وله والدة، وله ذؤابة في رأسه من أهل بابل، وأنه تقدم فسأل عنه وعن أمه حتى عرفهما بالنعت، فنزل عليهما وكان وهو غلام يسوق العجاجيل والدجاج، فقال له ذات يوم: إنك ستملك فارس والشام، فاكتب لي أمانا ولقومي. قال: ما أدري ما هذا الذي يذكر، فلم يزل به حتى قال له: اكتب أنت ما شئت، وكتب له ولقومه أمانا، فأراد أن يختمه، فلم يكن لبخت نصر خاتم فأخذ خاتم حديد من نطاق أمه فختمه، ثم أنه دخل الشام، فأتاه الرجل فحيل بينه وبينه، فقال لمقدمته: إن للملك ودخل عليه، فقال: ما تعرفني؟ قال: ما أعرفك. فقص عليه القصة وذكره، ودفع إليه الأمان. فقال: ما أدري ما هذا الذي تذكر، ورثث هذا كابرا عن كابر عن آبائي. فلم يزل به حتى أقر. فوفي له وأمنه، وقال: لا يسمع هذا منك أحد. ولما ظهر على الشام، إذ هو بدم يحيى بن زكريا يغلي، فقال: لأقتلن على هذا الدم حتى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفا، فجاء قاتله فقال: إن هذا الدم لا يسكن أبدا حتى تقتلني فأنا قتلته فقتله وسكن الدم، وظهر على الشام وخرب بيت المقدس وحرق التوراة، وجاء معه دانييل وميخائيل وعزير وحزقاييل ودفعهم إلى صاحب مطبخه، ثم ذكر الرؤيا وزاد فيها فيجيء بني من العرب فيغلب وينقض تلك الأوثان كلها ويكون الدين كله لله.وقال ابن الكلبي: كان سنمار الرومي من أصنع الناس للبنيان، فبنى لبعض ملوك العرب بنيانا سر به وأعجبه، وخاف إن استبقى سنمار بني بعده مثل ذلك البنيان، لغيره من الملوك، فأمر به فرمى من فوق القصر فمات، فضربت به العرب الأمثال في سوء الجزاء، حتى قال بعضهم:جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار وما كان عن ذنبسوى رصه البنيان سبعين حجة ... يعلى عليه بالقراميد والسكبفلما رأى البنيان تم سحوقه ... وآض كمثل الطود ذي الباذخ الصعبوظن سنمار به كل حظوة ... وفاز لديه بالمودة والقربفقال اقذفوا بالعلج من رأس شاهق ... فذاك لعمر الله من أعظم الخطبكتب ملك الروم إلى معاوية: إن الملوك لم تزل تراسل بعضهم بعضا، وتجتهد أن يغرب بعضهم على بعض، أفتأذن في ذلك؟ فأذن له. فوجه إليه رجلين أحدهما طويل والآخر أيد، فقال معاوية لعمرو: أما الطويل فقد أصبنا كفؤا له وهو قيس بن سعد بن عبادة، وأما الآخر الأيد فقد احتجنا إلى رأيك فيه. فقال: هاهنا رجلان كلاهما إليك بغيض: محمد بن الحنفية، وعبد الله بن الزبير. قال معاوية: الذي هو أقرب إلينا منهما فلما دخل الرجلان وجه إلى قيس ابن سعد فدخل، فلما مثل بين يديه معاوية نزع سراويله فرمى بها إليه فلبسها فبلغت ثندوته، فأطرق مغلوبا. وقيل لقيس في ذلك: لم تبذلت في حضرة معاوية؟ هلا فعلت غير ذلك؟ فقال:أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهودوألا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عادي نمته ثمودوإني من القوم اليمانين سيد ... وما الناس إلا سيد ومسودوب جميع الناس أصلي ومنصبي ... وجسم به أعلو الرجال مديدثم وجه إلى محمد بن الحنفية، فدخل فخبر بما دعى إليه، فقال: قولوا له: إن شاء فليجلس وليعطني يده حتى أقيمه أو يقعدني، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد، فاختار الرومي الجلوس، فأقامته، فانصرف الطويل والأيد

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢/٢٤

مغلوبين.قلت: أما هذا الخبر فمنكر ليس بصحيح، ولا له أصل لأنه يخالف أخلاق قيس ومحمد، وليس فيه كبير فائدة لمنزلتهما.باب جامع من المذكراتمما لم يذكر في الأبواب المتقدماتكان يقال: المتقون سادة، والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة – يعني في الخير.قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه: حلق القفا مما يزيد في الحفظ.وقال عبد الله بن عباس أيضا: حلق الرأس لا يصح في العقوبة، لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نسكا لمرضاته.قال عمر بن عبد العزيز: إياكم والمثلة في العقوبة: حز الرأس واللحية.." (١)

"بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلمولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها (١) وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم لا يتقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاةالوظيفة السادسة أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال قال تعالى ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجلوالمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجلوقيل لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والأذى فإنه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعملاما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالمال لله عز وجل وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافهوأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخل بإمساك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لأن **المال كله لله عز** وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل فيحفكم تبخلواالوظيفة السابعة أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقعوفي حديث أبان عن أنس بن مالك طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية (٢) وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٢١١

به فأبقى أو اكل فأفني والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكموفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم (٣) ـــــــــــــــ(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها تقدم في الصلاة(٢) حديث أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية أخرجه ابن عدي والبزار(٣) حديث سبق درهم مائة ألف أخرجه النسائي وابن حبان وصححه من حديث أبي هريرة." (١)

"وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أولا من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا **التعب كله لله وأن** الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العبادوظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوي به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن أهل السنة والجماعة قال ما أنا عليه وأصحابي (١)وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله أعلم تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم ـــــــــــــــ(١) حديث افتراق الأمة وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢١٨/١

السنة والجماعة الحديث أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة فقالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جياد." (١)

"سابق وقيامها على الدوام بلا اضطراب ولا اختلال لاحق لكان في ذلك ما يحير ألباب الرجال يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها الولوج الدخول اي يعلم ما يدخل في الارض من مياه امطارها وما يخرج منها من نابتة تنبت فيها من عشبها واشجارها وما نزل من السماء ملك ولا صعد اليها الا بعلم الرب الذي ليس في الوجود ذرة الا وهو رقيب عليها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير اي انه تعالى معنا بعلمه وقدرته مشاهد لأعمالنا واقوالنا واحوالنا فقال تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وقال تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعلمون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه فمن كان موقنا ان الله سبحانه معه ومشاهده أينما كان يصير بعمله كائنا ما كان استحيا من الله ان يخطر على قلبه او يجري على جوارحه ما لا شرعه الرسول ولا نزل به القرآن واستحيا ألا يلبس معصية أينما كان له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور **الملك كله لله وهو** غني عنه والامر كله خيره وشره يرجع اليه يوم الجزاء ولم يكن شيء غائبا عن علمه ولا خارجا عن محكمه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل سلط سبحانه الليل على." (٢)

"فصل في الحروف الزوائد والنواقصفي البقرة ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ وفي يونس ﴿بسورة مثله﴾في البقرة ﴿إلا إبليس أبى واستكبر﴾ وفي ص ﴿إلا إبليس استكبر﴾في البقرة ﴿فمن تبع هداي﴾ وفي طه ﴿فمن اتبع﴾في البقرة ﴿وإذ نجيناكم﴾ وفي الأعراف ﴿وإذ أنجيناكم﴾في البقرة ﴿يذبحون أبناءكم﴾ وفي ابراهيم ﴿ويذبحون﴾في البقرة ﴿حيث شئتم رغدا﴾ وفي الأعراف ﴿حيث شئتم﴾في البقرة ﴿وسنزيد المحسنين﴾ وفي الأعراف ﴿سنزيد﴾في البقرة ﴿فبدل الذين ظلموا قولا﴾ وفي الأعراف ﴿منهم قولا﴾في البقرة ﴿وذي القربى﴾ وفي النساء ﴿وبذي القربى﴾في البقرة ﴿وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون﴾ وفي آل عمران ﴿والنبيون﴾في البقرة ﴿ويكون الدين لله﴾ وفي الأنفال ﴿كله لله﴾في آل عمران ﴿من آمن تبغونها عوجا﴾ وفي الأعراف ﴿من آمن به وتبغونها﴾في آل عمران ﴿إلا بشرى لكم ولتطمئن﴾ وفي الأنفال ﴿إلا بشرى ولتطمئن به﴾في سورة النساء ﴿فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾ وفي بني اسرائيل ﴿فاحشة وساء سبيلا﴾في الأنعام ﴿ما لم ينزل به عليكم سلطانا﴾ وفي باقي القرآن ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾في الأنعام ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ وفي هود ﴿ولا أقول إني ملك﴾." (٣)

"٣٤٧- فصل: عيش الصديقين وعيش البهائم١٥٢٠- ينبغي أن يكون العمل كله لله، ومعه، ومن أجله، وقد كفاك كل مخلوف، وجلب لك كل خير، وإياك أن تميل عنه بموافقة هوى، وإرضاء مخلوق، فإنه يعكس عليك الحال، ويفوتك المقصود، وفي الحديث: "من أرضى الناس بسخط الله، عاد حامده من الناس ذاما"١٥٢١.١- وأطيب العيش

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢٣٠/٣

(٢) التذكرة في الوعظ ابن الجوزي ص/٧٦

(٣) المدهش ابن الجوزي ص/٢٠

عيش من يعيش مع الخالق سبحانه، فإن قيل: كيف يعيش معه؟ قلت: بامتثال أمره، واجتناب نهيه، ومراعاة حدوده، والرضا بقضائه، وحسن الأدب في الخلوة، وكثرة ذكره، وسلامة القلب من الاعتراض في أقداره، فإن احتجت، سألته، فإن أعطى، وإلا، رضيت بالمنع، وعلمت أنه لم يمنع بخلا، وإنما نظرا لك، ولا تنقطع عن السؤال؛ لأنك تتعبد به، ومتى دمت على ذلك، رزقك محبته، وصدق التوكل عليه، فصارت المحبة تدلك على المقصود، وأثمرت لك محبته إياك، فحينئذ تعيش عيش الصديقين. ولا خير في عيش إن لم يكن كذا فإن أكثر الناس مخبط في عيشه، يداري الأسباب، ويميل إليها بقلبه، ويتعب في تحصيل الرزق بحرص زائد على الحد، وبرغبة إلى الخلق، ويعترض عند انكسار الأغراض، والقدر يجري، ولا يبالي بسخط، ولا يحصل له إلا ما قدر، وقد فاته القرب من الحق، والمحبة له، والتأدب معه، فذلك العيش عيش البهائم.____________١ رواه البزار "كشف الأستار: ٣٥٦٨"، والبيهقي في الزهد "٨٨٧" عن عائشة رضي الله عنها.." (١)

"وعن عمرو بن شمر عن جابر قال: قال لي محمد بن علي: يا جابر بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبونا وينالون أبا بكر وعمرو، ويزعمون أني أمرتهم بذلك فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله عز وجل بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما إن أعداء الله لغافلون عنهما. وعن أفلح، مولى محمد بن علي، قال: خرجت مع محمد بن علي حاجا فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته فقلت بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلا قال: ويحك يا أفلح، ولم لا أبكي؟ لعل الله ينظر إلي منه برحمة فأفوز بها عنده غدا قال: ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه. وعن خالد بن دينار عن أبي جعفر أنه كان إذا ضحك قال: اللهم لا تمقتني. وعن عبد الله بن عطاء قال: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم علما عند أبي جعفر (محمد بن علي) لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم. وعن أحمد بن يحيى قال: قال محمد بن علي: كان لي أخ في عيني عظيم، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه. وعن موسى بن عمير، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أنه كان يقول في جوف الليل. أمرتني فلم آتمر، وزجرتني فلم أزدجر، هذا عبدك بين يديك، ولا أعتذر. محمد بن مسعر قال: قال جعفر بن محمد فقد أبي بلغة له فقال: لئن ردها الله عز وجل لأحمدنه محامد يرضاها. فما لبث أن أتى بها بسرجها ولجامها. فركبها. فلما استوى عليها وضم عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال الحمد لله. لم يزد عليها. فقيل له في ذلك فقال: وهل تركت أو أبقيت شيئا؟ جعلت **الحمد كله لله عز** وجل. وعن أبي حمزة عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء. وإن أسرع الخير ثوابا البر وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بمالا

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٤٦٤

يعنيه.وعن عبد الله بن الوليد قال: قال لنا أبو جعفر محمد بن علي: يدخل أحدكم يده كيس صاحبه فيأخذ ما يريد؟ قال قلنا: لا. قال: فلستم إخوانا كما تزعمون.." (١)

"قال هؤلاء لربي فما لي قال قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وزاد من حديث أبي مالك الأشجعي وعافنيوفي رواية قال فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتكرواه مسلم٢٤٠١ – وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء رجل بدوي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني خيراقال قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبرقال وعقد بيده أربعا ثم ذهب فقال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم رجع فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وقال تفكر البائس فقال يا رسول الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر **هذا كله لله فما** لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قلت سبحان اللهقال الله صدقت وإذا قلت الحمد للهقال الله صدقت وإذا قلت لا إله إلا اللهقال الله صدقت وإذا قلت الله أكبرقال الله صدقتفتقول اللهم اغفر لي فيقول الله قد فعلت فتقول اللهم ارحمني فيقول الله قد فعلت وتقول اللهم ارزقني فيقول الله قد فعلتقال فعقد الأعرابي سبعا في يدهرواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وهو في المسند وسنن النسائي من حديث أبي هريرة بمعناه٢٤٠٢ – وعن سلمى أم بني أبي رافع رضي الله عنها مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قالت يا رسول الله أخبرني بكلمات ولا تكثر علي فقال قولي الله أكبر عشر مرات يقول الله هذا لي وقولي سبحان الله عشر مرات يقول الله هذا لي وقولي اللهم اغفر لي يقول قد فعلت فتقولين عشر مرات ويقول قد فعلترواه الطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح٢٤٠٣ – وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحاتقيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا باللهرواه أحمد وأبو يعلى والنسائي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد." (٢)

"فصلالإقطاع اليوم إقطاع استغلال ليس له بيعه ولا هبته باتفاق الأئمة، ولا ينتقل إلى ورثته، بخلاف ما كان في العصور الأولى.وما يأخذه الجندي ليس أجرة للجهاد، لأنه لو كان أجرة كان لفعل الجهاد، وإنما عليهم أن يقاتلوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، وأجرهم على الله، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.والإقطاع الذي يأخذونه معاونة لهم، ورزقا لنفقة عيالهم ولإقامة الخيل والسلاح، وفي الحديث (مثل الذي يغزو من أمتي في سبيل الله مثل أم موسى ترضع ابنها وتأخذ أجرها) فهي ترضعه لما في قلبها عليه من الشفقة والرحمة، لا لأجل أجرها، كذلك المجاهد يغزو لما في قلبه من الإيمان بالله والدار الآخرة، لا لأجل المال.وإذا كان الله قد أمر المسلمين من الصحابة وغيرهم أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأوجب عليهم عشر أموالهم من الخارج من الأرض فكيف لا يجب على من يعطي مالا ليجاهد؟ وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – (من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا) فالذي يعطي المجاهد يكون مجاهدا بماله، والمجاهد يجاهد بنفسه، وأجر كل واحد منهما على الله لا ينقص أحدها من الآخر شيئا،

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٣٦٣/١

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٢٨٠/٢

ولم يكن هذا أجيرا لهذا.ولو أعطى رجل من المسلمين أرضا يستغلها ويكون هو يجاهد في سبيل الله لوجب عليه فيها العشر ولم يسقط لأجل الجهاد، فإن الإقطاع أولى.وولي الأمر لا يعطيهم من ماله وإنما يقسم بينهم حقهم كما يقسم." (١)

"وافق عمر على ذلك بعض من كان خالفه ومات بعضهم، فاستقر الأمر على ذلك.فما فتحه المسلمون عنوة فقد ملكهم الله إياه، كما ملكهم ما استولوا عليه من النفوس والأموال والمنقول والعقار.ويدخل في العقار معابد الكفار ومساكنهم وأسواقهم ومزارعهم وسائر منافع الأرض، كما يدخل في المنقول سائر أنواعه من الحيوان والمتاع والنقد.ما يقال في الكنائس والديرة وما يفعل فيها من العبادات إما مبدل أو محدث لم يشرعه الله أو نهى عنه بعد ما شرعه.وليس لمعابد الكفار خاصة تقتضي خروجها عن ملك المسلمين؛ فإن ما يقال فيها من الأقوال ويفعل فيها من العبادات إما أن يكون مبدلا أو محدثا لم يشرعه الله قط، أو يكون الله نهى عنه بعد ما شرعه.وقد أوجب الله على أهل دينه جهاد أهل الكفر حتى يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، ويرجعوا عن دينهم الباطل إلى الهدى ودين الحق الذي بعث الله به خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.ولهذا لما استولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أرض من حاربه من أهل الكتاب وغيرهم كبني قينقاع والنضير وقريظة كانت معابدهم مما استولى عليه المسلمون ودخلت في قوله سبحانه ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم﴾ [٢٧/ ٣٣] ، وفي قوله: ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ [٥٩/٦] ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ [٥٩/٧] .لكن وإن ملك المسلمون ذلك فحكم الملك متنوع، كما يختلف حكم الملك في المكاتب والمدبر، وأم الولد والعبد، وكما يختلف حكمه." (٢)

"فتزوجها رسول الله» ، فقالت أم سلمة بعد: أبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه: رسول الله صلى الله عليه وسلم.وقد روي هذا الحديث بعدة طرق في الصحاح والمسانيد، وسيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى.كعنفصل - في كلمة " إنا لله وإنا إليه راجعون "فصل - في كلمة إنا لله وإنا إليه راجعونوقد جعل الله كلمات الإسترجاع - وهي قول المصاب: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ملجأ وملاذا لذوي المصائب، وعظمة للممتحنين من الشيطان، لئلا يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة، فيهيج ما سكن، ويظهر ما كمن، فإذا لجأ إلى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة، فإن قوله: ﴿إنا لله﴾ توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وقوله ﴿وإنا إليه راجعون﴾ إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا، فهو إيمان بالبعث بعد الموت وهو إيمان أيضا بأن له الحكم في الأولى وله المرجع في الأخرى، فهو من اليقين، إن **الأمر كله لله فلا** ملجأ منه إلا إليه.وروى مسلم في صحيحه من «حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ، اللهم أؤجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها» الحديث.وروى مسلم أيضا عن «أم سلمة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا حضرتم المريض أو الميت، فقولوا خيرا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات.قال: قولي اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة» .فقلت، فأعقبني الله من هو خير لي

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣/٢٢٧

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣/٢٤٦

منه: محمدا صلى الله عليه وسلم.هكذا روي بالشك: إذا حضرتم المريض أو الميت هذا لفظ مسلم.وقد تقدم معنى هذا الحديث من طريق أخرى، «عن ابن سفينة مولى أم سلمة، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من عبد تصيبه مصيبة." (١)

"وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم: أن الأعراب علقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من حنين يسألونه أن يقسم بينهم فقال: "لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا" وفيهما عن جابر قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقال: لا وإنه قال لجابر: "لو جاءنا مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا" وقال: بيديه جميعا وخرج البخاري من حديث سهل بن سعد: إن شملة أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم فلبسها وهو محتاج إليها فسأله إياها رجل فأعطاه فلامه الناس وقالوا: كان محتاجا إليها وقد علمت أنه لا يرد سائلا فقال: إنما سألتها لتكون كفني فكانت كفنه.وكان جوده صلى الله عليه **وسلم كله لله وفي** ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج أو ينفقه في سبيل الله أو يتألف به على الإسلام من يقوي الإسلام بإسلامه وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع وكان قد أتاه صبي مرة فشكت إليه فاطمة ما تلقي من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها وقال: "لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع" وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما أن جود ربه تضاعف فيه أيضا فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة وكان على ذلك من قبل البعثة.وذكر ابن إسحاق عن وهب بن كيسان عن عبيد بن عمير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها وذلك الشهر شهر رمضان خرج إلى حراء كما يخرج لجواره معه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله تعالى برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل من الله عز وجل ثم كان بعد الرسالة جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك فإنه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام وهو أفضل الملائكة وأكرمهم ويدارسه الكتاب الذي جاء به إليه وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق.وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب له خلقا بحيث يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ويسارع إلى ما حث عليه ويمتنع مما زجر عنه فلهذا كان يتضاعف جوده.." (٢)

"رقعة الإسلام ويكثر الداخلون فيه وهو وظيفة الرسل وأتباعهم وبه تصير كلمة الله هي العليا والمقصود منه أن يكون **الدين كله لله والطاعة** له كما قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ [الأنفال: ٣٩] والمجاهد في سبيل الله هو المقاتل لتكون كلمة الله هي العليا خاصة.والنوع الثاني من الجهاد: جهاد النفس في طاعة الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه في الله" وقال بعض الصحابة لمن سأله عن الغزو؟: ابدأ بنفسك فاغزها

---

(١) تسلية أهل المصائب المنبجي ص/١١

(٢) لطائف المعارف لابن رجب ابن رجب الحنبلي ص/١٦٥

وابدأ بنفسك فجاهدها وأعظم مجاهدة النفس على طاعة الله عمارة بيوته بالذكر والطاعة قال الله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ [التوبة: ١٨] وفي حديث أبي سعيد الخدري المرفوع: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان" ثم تلا الآية خرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وقال الله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال*رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] الآية.والنوع الأول من الجهاد أفضل من هذا الثاني قال الله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠] وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل: لا أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج وقال آخر: لا أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر﴾ [التوبة: ١٩] إلى آخر الآية فهذا الحديث الذي فيه ذكر سبب نزول هذه الآية يبين أن المراد أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى من أعمال النوافل والتطوع الجهاد وإن الآية تدل على أن أفضل ذلك الجهاد مع الإيمان فدل على التطوع بالجهاد أفضل من التطوع بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج وعلى مثل هذا يحمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه هذا وأن الجهاد أفضل من الحج المتطوع به فإن فرض الحج تأخر عند كثير من العلماء إلى السنة التاسعة." (١)

"ولا فرق بين الطعن في رواة حفاظ الحديث ولا التمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل، وبين تبيين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة وتأول شيئا منها على غير تأويله وتمسك بما لا يتمسك به ليحذر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك أيضا.ولهذا نجد في كتبهم المصنفة في أنواع العلوم الشرعية من التفسير وشروح الحديث والفقه واختلاف العلماء وغير ذلك ممتلئة بالمناظرات ورد أقوال من تضعف أقواله من أئمة السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.ولم يترك ذلك أحد من أهل العلم ولا ادعى فيه طعنا على من رد عليه قوله ولا ذما ولا نقصا اللهم إلا أن يكون المصنف ممن يفحش في الكلام ويسيء الأدب في العبارة فينكر عليه فحاشته وإساءته دون أصل رده ومخالفته، إقامة للحجج الشرعية والأدلة المعتبرة. وسبب ذلك أن علماء الدين كلهم مجمعون على قصد إظهار الحق الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ولأن يكون **الدين كله لله وأن** تكون كلمته هي العليا، وكلهم معترفون بأن الإحاطة بالعلم كله من غير شذوذ شيء منه ليس هو مرتبة أحد منهم ولا ادعاه أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين فلهذا

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ابن رجب الحنبلي ص/٢٢٧

كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيرا ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم.." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ [الأحزاب: ٧٠] في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله ﴿وقولوا قولا سديدا﴾ [الأحزاب: ٧٠] قاصدا إلى الحق والعدل.وعن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – صوابا وقيل صدقا وقيل هو لا إله إلا الله وقيل القول الذي يوافق ظاهره باطنه أو ما أريد به وجه الله تعالى، وقيل الغرض النهي عن الخوض فيما لا يعنيهم والحث على حفظ اللسان في كل باب فإنه رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله تعالى في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ [الأحزاب: ٧١] بتوفيق صالح الأعمال.وعن ابن عباس بقبول حسناتكم ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [الأحزاب: ٧١] الآية وفي آل عمران ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [البقرة: ١٨٩] راجين الفلاح لا القطع، فإن **الأمر كله لله كذا** قيل إن أريد القطع بالنسبة إلى وعده وعادته فلا نسلم عدم القطع في الفلاح للمتقي الخالص، وأن بالنسبة إلى ذات التقوى فالكلام في السبب العادي كيف وخلف الوعد والكذب في الخبر والرجوع عن الحكم وتبديل القول محال في حقه تعالى كما سبق وفيه تنبيه على توقف الفلاح على التقوى؛ ولهذا عن ابن جميل التقوى هنا واجبة؛ لأن الفلاح توقف عليها فلو لم تبق زال الفلاح وفي آل عمران أيضا ﴿فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ [آل عمران: ١٢٣] بصرف العبد جميع ما أنعم به عليه مولاه لما خلق له، وذلك بالتقوى عن عقابه وفي الحجرات ﴿واتقوا الله﴾ [البقرة: ١٨٩] فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره أو مخالفة حكمه والإهمال فيه ﴿لعلكم ترحمون﴾ [الأنعام: ١٥٥] راجين رحمتكم وفي المائدة ﴿وتعاونوا﴾ [المائدة: ٢] تناصروا ﴿على البر﴾ [المائدة: ٢] اتباع أمر الله والعمل به أو الإسلام أو العفو والإعفاء ﴿والتقوى﴾ [المائدة: ٢] اجتناب ما نهى عنه أو السنة ومتابعتها.وعن الخازن ليعن بعضكم بعضا على كسب البر والتقوى.وعن السلمي البر ما وافقك عليه العلم من غير خلاف والتقوى مخالفة الهوى وقيل البر ما اطمأن إليه قلبك وقيل تعاونوا على البر والتقوى طاعة الأكابر من السادات والمشايخ ولا تضيعوا حظوظكم منهم ومن معاونتهم وخدمتهم وعن سهل البر الإيمان والتقوى السنةوفي العلق ﴿أو أمر بالتقوى﴾ [العلق: ١٢] بالإخلاص والتوحيد أو بالإيمان والعمل الصالح واجتناب المعاصي فنهاه عنه نقل عن العيون وفي النساء ﴿ولقد وصينا﴾ [النساء: ١٣١] أمرنا ﴿الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ [النساء: ١٣١] من الأمم المتقدمة ﴿وإياكم﴾ [النساء: ١٣١] يا أمة محمد في القرآن ﴿أن اتقوا الله﴾ [النساء: ١٣١] بأن توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا أمره فالتقوى شريعة قديمة أوصى بها الله جميع الأمم وحين استوصى من بعض المشايخ قال أوصيك يا ولدي بما أوصى به الله تعالى جميع أنبيائه وكافة أوليائه وجملة أحبائه وعامة عباده لكونه غاية ما يتقرب به إليه فليس أعز منه ولا أفضل بعده بقوله تعالى ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء: ١٣١] فعليك ببذل جهدك وغاية سعيك في تحقيق حقائق التقوى وتدقيق أسرارها فإن لها ظاهرا وباطنا وحقا وحقيقة فمن بلغها فقد ملك سلطة سرمدية انتهى وفي المائدة.﴿قال اتقوا الله﴾ [المائدة: ١١٢] قال عيسى للحواريين القائلين له – ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ [المائدة: ١١٢]– الآية ﴿اتقوا الله﴾ [المائدة: ١١٢] في سؤال المائدة ﴿إن كنتم مؤمنين﴾

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير ابن رجب الحنبلي ص/٨

[المائدة: ١١٢] ؛ لأنه سؤال تعنت وقيل أمرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال وقيل استعينوا على هذا بالتقوى كقوله تعالى - ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ [الطلاق: ٢]-، ثم الاحتجاج بهذه الآية مبني على أن شريعة من قبلنا شريعة لنا إذا قصه الله أو أخبر به الرسول بلا نكيروفي." (١)

"الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها" فقد أبعد النجعة فإن هذا الحديث لا حجة فيه لمن يقول بقتله كما سيأتي بيانه وبسطه إن شاء الله.واحتج الجمهور على قتله بالكتاب والسنة.. أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم-إلى قوله- فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ فشرط الكف بالتوبة من الشرك وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإذا لم توجد هذه الثلاث لم يكف عن قتلهم، ولم يخل سبيلهم. قال ابن ماجه: حدثنا نصر بن علي حدثنا أبو أحمد حدثنا الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راض" قال أنس: وهو دين الله الذي جاءت به الرسل، وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء، وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل الله ﴿فإن تابوا﴾ قال خلعوا الأوثان وعبادتها ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ وقال في آية أخرى ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ .وأما السنة فثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله" فعلق العصمة على الشهادتين والصلاة والزكاة.وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه "من محمد رسول الله إلى أهل عمان. أما بعد فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله والنبي رسول الله وأدوا الزكاة، وخطوا المساجد وإلا غزوتكم" خرجه الطبراني والبزار وغيرهما، ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح الأربعين.وروى ابن شهاب عن حنظلة عن علي ابن الأشجع أن أبا بكر الصديق بعث خالد بن الوليد وأمره أن يقاتل الناس على خمس: فمن ترك واحدة تقاتله على الخمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام. فقال سعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب: لو أن الناس تركوا الحج لقاتلناهم على تركه كما نقاتل على الصلاة والزكاة.وبالجملة فالكتاب والسنة يدلان على أن القتال ممدود إلى شهادتين والصلاة الزكاة، وقد أجمع العلماء على ذلك. قال في شرح الإقناع: أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون **الدين كله لله كالمحاربون** وأولى.. انتهى.." (٢)

"موجود في كتبهم يصرحون بأن من ترك الصلاة قتل وأن الطائفة الممتنعة من فعل الصلاة والزكاة والصيام والحج تقاتل حتى يكون **الدين كله لله ويحكون** عليه الإجماع كما صرح بذلك أئمة الحنابلة في كتبهم فإذا كانوا مصرحون بأن من ترك بعض شعائر الإسلام كأهل القرية إذا تركوا الآذان أو تركوا صلاة العيد انهم يقاتلون فكيف بمن ترك الصلاة رأسا؟وهؤلاء

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٣/٢

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى حمد بن ناصر آل معمر ص/٢٣

يقولون من قال لا إله إلا الله محمدا رسول الله فقد عصم ماله ودمه، وإن كان طائفة ممتنعين من فعل الصلاة بل يصرحون بأن (أهل) البوادي مسلمون حرام علينا دماؤهم وأموالهم، مع العلم القطعي بأنهم لا يؤذنون ولا يصلون ولا يزكون، بل الظاهر عنهم أنهم كافرون بالشرائع وينكرون البعث بعد الموت، فسبحان الله ما أعظم هذا الجهل.وقد ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله وكلام شراح الحديث ما فيه الهدى لمن هداه الله وبين أن العصمة شرطها التوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. فمن لم يأت بهذه الثلاث لم يكف عنهم، ولم يخل سبيلهم. وقد قال تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله أن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله".وأما كلام الفقهاء فنذكره على التفصيل إن شاء الله "أما كلام المالكية فقال الشيخ على الأجهوري في شرح المختصر: من ترك فرضا آخر لبقاء ركعة بسجدتيها من الضروري قتله بالسيف حدا على المشهور.. وقال ابن حبيب وجماعة خارج المذهب كفرا، واختاره ابن عبد السلام انتهى.وقال في فضل الأذان، قال المازري: في الأذان معنيان أحدهما إظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار الإسلام وهو فرض كفاية يقاتل أهل القرية حتى يفعلوه، فإن عجز عن قهرهم على إقامته إلا بقتال قوتلوا، والثاني الدعاء للصلاة والإعلام بوقتها.وقال الأبي في شرح مسلم: والمشهور أن الأذان فرض كفاية على أهل المصر لأنه شعار الإسلام، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يسمع الأذان أغار وإلا أمسك وقال المصنف يقاتلون عليه ليس القتال من خصائص القول بالوجوب إلا أنهم اختلفوا في التمالي على ترك السنن هل يقاتلون عليها؟ والصحيح قتالهم وإكراههم لأن في التمالي على تركها إماتتها انتهى.وقال في فضل صلاة الجماعة. قال ابن رشد: صلاة الجماعة مستحبة للرجال في نفسه فرض كفاية في الجملة، ويعني بقوله في الجملة إنها فرض كفاية، على أهل المصر لو تركوها قوتلوا كما تقدم انتهى.." (١)

"وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام" وهؤلاء يقولون: من قال لا إله إلا الله عصم دمه وماله وإن لم يصل ولم يزك ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ فهذا كتاب الله. وهذه سنة رسوله. وهذا إجماع الصحابة على قتل من ترك الصلاة ومن منع الزكاة.وقال صديق الأمة أبو بكر رضي الله عنه: والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم -وفي رواية عناقا- لقاتلهم على منعها. وهذا أيضا إجماع العلماء.قال في شرح الإقناع: أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون **الدين كله لله كالمحاربين** بين وأولى. انتهى.وقال أبو العباس رحمه الله: القتال واجب حتى يكون الدين كله لله. وحتى لا تكون فتنة. فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب. فأيما طائفة ممتنعة عن بعض الصلوات المفروضات أو الزكاة أو الصيام أو الحج. أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر. أو نكاح ذوات المحارم. أو عن التزام جهاد الكفار. أو ضرب الجزية على أهل الكتاب. أو غير ذلك من التزام واجبات

(١) مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى حمد بن ناصر آل معمر ص/٢٩

الدين أو محرماتها التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها. التي يكفر الواحد بجحودها. فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها. وهذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنن كركعتي الفجر أو الأذان والإقامة عند من يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر. فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا؟ فأما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها. انتهى كلامه.فتأمل كل إمام الحنابلة وتصريحه بأن من امتنع من شرائع الإسلام الظاهرة كالصلوات الخمس والصيام أو الزكاة أو الحج، وعن ترك المحرمات كالزنا أو شرب الخمر أو المسكرات أو غير ذلك فإنه يجب قتال الطائفة الممتنعة عن ذلك حتى يكون **الدين كله لله ويلتزمون** جميع شرائع الإسلام، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائع الإسلام، وإن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف من الصحابة فمن بعدهم.فأين هذا من قولكم: إن من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه وإن ترك الفرائض وارتكب المحرمات، بل من تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده عرف أن قولكم هذا مضاد لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وما فعله الخلفاء الراشدين ومن بعدهم.." (١)

"عليه وسلم أنه قال: "ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه سؤاله من يستغفرني فاغفر له" فذكر أولا لفظ الدعاء ثم السؤال ثم الاستغفار والمستغفر سائل كما أن السائل داع فعطف السؤال والاستغفار على الدعاء فهو من باب عطف الخاص على العام، وهذا المعنى الثاني أعني الخاص هو الأظهر لوجهين: أحدهما: ما في حديث النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أن الدعاء هو العبادة" ثم قرأ الآية ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ فاستدلاله عليه الصلاة والسلام بالآية دليل على أن المراد منها سلوني.وخطاب الله عباده المكلفين بصيغة الأمر منصرف إلى الوجوب ما لم يقم دليل يصرفه إلى الاستحباب فيفيد قصر فعله على الله فلا يجعل لغيره لأنه عبادة، ولهذا أمر الله الخلق بسؤاله فقال: ﴿واسألوا الله من فضله﴾ وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم "سلوا الله من فضله فإن الله يحب الملحين في الدعاء" فتبين بهذا أن الدعاء من أفضل العبادات وأجمل الطاعات.الوجه الثاني: أنه سبحانه قال: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ والسائل راغب راهب وكل راغب راهب فهو عابد سائل وكل سائل لله فهو عابد قال الله تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ لا يتصور أن يخلو داع لله من دعء عبادة أو دعاء مسألة من الرغب والرهب والخوف والطمع له، فدعاء العبادة ودعاء المسألة كلاهما عبادة لله لا يجوز صرفها إلى غيره.فلا يجوز أن يطلب من مخلوق ميت أو غائب قضاء حاجة أو تفريج كربة ما لا يقدر عليه إلا الله لا يجوز أن يطلب إلا من الله.فمن دعا ميتا أو غائبا فقال: يا سيدي فلان أغثني أو انصرني أو ارحمني أو اكشف عني شدتي ونحو ذلك فهو كافر مشرك يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء. فإن هذا هو شرك المشركين الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم لم يكونوا يقولون تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، بل كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده كما حكاه عنه في غير موضع من كتابه. وإنما كانوا يفعلون عندها ما يفعله اخوانهم من المشركين اليوم من دعائها والاستغاثة بها والذبح لها والنذر لها يزعمون

(١) مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى حمد بن ناصر آل معمر ص/٣٣

أنها وسائط بينهم وبين الله تقربهم إليه وتشفع لهم لديه كما حكاه عنهم في قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ وقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون **الدعاء كله لله والذبح** كله لله والاستغاثة كلها بالله وجميع العبادات كلها بالله.والله سبحانه قد بين في غير موضع من كتابه أن الدعاء عبادة فقال تعالى: حاكيا." (١)

"في عبادة الله غيره فيقال: السجود عبادة وذبح القربان عبادة والدعاء عبادة فما الفارق بين السجود والذبح والدعاء إذا الكل عبادة والدعاء عبادة؟ وما الدليل على أن السجود لغير الله والذبح لغير الله شرك أكبر والدعاء بما لا يقدر عليه إلا الله شرك أصغر.ويقال أيضا: قد ذكر أهل العلم من أهل كل مذهب باب حكم المرتد وذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر به الرجل ويحل دمه وماله ولم يرد في واحد منها ما ورد في الدعاء بل لا نعلم نوعا من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير إله بالنهي والتحذير من فعله والوعيد عليه ولا يشتبه هذا إلا على من لم يعرف حقيقة ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من التوحيد ولم يعرف حقيقة شرك المشركين الذين كفرهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأحل دماءهم وأموالهم وأمره الله أن يقاتلهم (حتى لا تكون فتنة) أي لا يكون شرك (ولا يكون الدين كله لله)فمن أصغى إلى كتاب الله علم علما ضروريا أن دعاء الأموات من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، فكيف يسوغ لمن عرف التوحيد الذي بعثه الله به محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجعل ذلك من الشرك الأصغر، ويقول قد عدم النص الصريح على كفر فاعله، فان الأدلة القرآنية والنصوص النبوية قد دلت على ذلك دلالة ظاهرة ليست خفيه، ومن أعمى الله بصيرته فلا حيلة فيه ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ وأيضا فان كثيرا من المسائل التي ذكرها العلماء في مسائل الكفر والردة وانعقد عليها الإجماع لم يرد فيها نصوص صريحة بتسميتها كفرا وإنما يستنبطها العلماء من عموم النصوص كما إذا ذبح المسلم نسكا متقربا به إلى غير الله فان هذا كفر بالإجماع كما نص على ذلك النووي وغيره وكذلك لو سجد لغير الله.فاذا قيل هذا شرك لأن الذبح عبادة والسجود عبادة فلا يجوز لغير الله كما دل عل ذلك قوله: ﴿فصل لربك وانحر﴾ وقوله: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ فهذا صريح في الأمر بهما وأنه لا يجوز صرفهما لغير الله؟ فينبغي أن يقال فاين الدليل المصرح بان هذا كفر بعينه؟ ولازم هذه المجادلة الإنكار على العلماء في كل مسألة من مسائل الكفر والردة التي لم يرد فيها نص بعينها، مع ان هذه المسألة المسئول عنها قد وجدت فيها النصوص الصريحة من كلام الله وكلام رسوله وأوردنا من ذلك ما فيه الهدى لمن هداه الله.وأما كلام العلماء فنشير إلى قليل من كثير ونذكر كلام من حكى الإجماع على ذلك قال في الإقناع وشرحه من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعا لأن هذا كفعل عابدي الأصنام قائلين ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ انتهى، وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله: وقد سئل عن رجلين تناظرا فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لا نقدر أن نصل

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى حمد بن ناصر آل معمر ص/١٣٩

إليه إلا بذلك فأجاب بقوله: ان أراد بذلك أنه لا بد من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق، فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه إلا بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده وهذا." (١)

"شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له، ويقول اشفع في فلان، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهو الذين ارتضى الله سبحانه قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وقال تعالى ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾ فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضى قول المشفوع له، واذنه للشافع، فأما المشرك فانه لا يرضاه ولا يرضى قوله فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه، فانه سبحانه علقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، واذنه للشافع فمتى لم يوجد مجوع الأمرين لم توجد الشفاعة.وسر ذلك أن **الأمر كله لله وحده**، فليس لأحد معه من الامر شيء، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئا الا من بعد اذنه لهم، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئا فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيدة بأمره، واذنه، فاذا أشركهم به المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه أنه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه، وما يجب له وما يمتنع عليم فان هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على الملوك والكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج.وبهذا القياس الفاسد عبد ت الأصنام، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي، والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب، والسيد والعبد، والمالك والمملوك والغني والفقير، الذي لا حاجة به إلى أحد قط، والمحتاج من كل وجه إلى غيره، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم، فان قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم، وأنصارهم الذين قيام الملوك والكبراء بهم، ولولاهم لما انبسطت أيديهم والسنتهم في الناس فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع، لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنقص طاعتهم لهم، ويذهبون إلى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهمعلى الكره والرضاء، فأما الذي غناه من لوازم ذاته وكل ما سواه فقير إليه لذاته وكل من في السموات والأرض عبيد له مقهورون لقهره مصرفون بمشيئته لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه، وسلطانه وملكه وربوبيته والهيته مثقال ذرة قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض﴾ وقال في سيدة آي القرآن أية الكرسي: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ وقال: ﴿قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض﴾ فأخبر ان ملكه السموات والأرض. يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده، وان أحدا لا يشفع عنده الا باذنه، فانه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض.فتبين أن الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض، ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على أنها هي المعرفة." (٢)

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى حمد بن ناصر آل معمر ص/١٤٣

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى حمد بن ناصر آل معمر ص/٢٢٠

"قد أهملوا هذا الواجب فكيف لا يمنع منه العلماء ليتساووا معهم، إذ منعوا العلماء من تعليم الدين في بيوت الله ومساجد المسلمين، وقالوا لهم لا يسمح لكم بالتعليم في المساجد إلا بالاستظهار برخصة من الوزارة المكلفة بالشؤون الدينية تسمح لكم بالقيام بما تريدون، (وهذا ما كان ساءدا في زمن الاستعمار، ويكفي أنه استعمار غربي ضد الدين) فإذا طلب العلماء هذه الرخصة فإنها لا تمنح لهم، لأنهم لم يكونوا من الموالين للحكومة الحاكمة في البلاد، أو لأنهم يسيرون في اتجاه معاكس لاتجاهها أي في خط مناقض لخطها غير الإسلامي، وهذه كلها أسباب واهية اتخذت وسيلة للمنع لا غير، وفى المساجد أئمة لم تكن لهم الكفاءة للقيام بهذا الفرض العظيم، إما لعجزهم وضعفهم وأكثريتهم من هذا النوع، وإما لموافقتهم على خطة حكومتهم رضوا بها لأنها ... **والأمر كله لله من** قبل ومن بعد، وهنا نسأل: هل يسمى عالما إسلاميا من يقر ويرضى بغير الإسلام دينا للمسلمين؟؟هناك صنف آخر من الناس كانوا يتسمون بالعلم في فترة قريبة خلت، ويسمون علماء المسلمين، رأيناهم قد تخلوا عن هذا اللقب الشريف، وانكمشوا وانزووا على أنفسهم، وتركوا ما كانوا يلهثولن وراءه يوم كان الأمر بيد جمعية العلماء، فما بالهم اليوم سكتوا؟ وأين ذهبت صيحاتهم وانفعالاتهم وحماسهم والإسلام يهان ويبعد عن معاقله؟؟." (١)

"هنالك أرسل الى الامام علي رسالة قال فيها:" انك لو كنت في شدق الأسد،لأحببت أن أدخل معك فيه.ولكن هذا أمر لم أره"..!!ولزم داره طوال هذا النزاع وتلك الحروب..وحين جاءه بعض أصحابه يناقشونه في موقفه قال لهم:" لا أقاتل أحدا يقول لا اله الا الله أبدا".قال أحدهم له: ألم يقل الله: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ..؟؟فأجابهم أسامة قائلا:" أولئك هم المشركون، ولقد قاتلناهم حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله"..وفي العام الرابع والخمسين من الهجرة.. اشتاق أسامة للقاء الله، وتلملمت روحه بين جوانحه، تريد أن ترجع الى وطنها الأول..وتفتحت أبواب الجنان، لتستقبل واحدا من الأبرار المتقين.." (٢)

"[الخطبة الثالثة في أن الإسلام نظام كامل مصلح للخلق]الخطبة الثالثةفي أن الإسلام نظام كامل مصلح للخلق الحمد لله الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق وشرع له من الدين ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم فهو أفضل الأديان وأنفعها للخلق وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما كثيرا.أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واحمدوا ربكم على ما أنعم به عليكم من دين الإسلام الذي هو أفضل الأديان السماوية وأقومها فقد أعطى كل ذي حق حقه ففي مقام العبودية جعل العبادة لله وحده لا شريك له لأنه هو الخالق وحده فيجب أن تكون العبادة له وهو المحبوب المعظم لذاته فوجب أن يكون القصد والعمل له وإليه فالسجود والركوع والذبح على سبيل العبادة والتقرب لا يصح إلا لله فمن سجد أو ركع أو ذبح لغيره تعظيما وتقربا إليه فهو كافر بالله ومشرك به ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار وفي مقام الحرب

---

(١) سهام الإسلام عبد اللطيف سلطاني ص/١٤٣

(٢) رجال حول الرسول خالد محمد خالد ص/٣٨٦

والسلم سماه الله تعالى سلما لأنه متضمن للسلم فلا عدوان ولا ظلم لكن من قام في وجه الدين والدعوة إليه فقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون **الدين كله لله فالكافر** وهو الكافر إذا أدى الجزية صاغرا ذليلا ورضخ لأحكام الإسلام فإنه معصوم الدم والمال يعيش في أمان تحت ظل الإسلام وحماية المسلمين وفي مقام القوة والدفاع عن الدين والنفس يأمر بالاستعداد وأخذ الحذر والتيقظ والعمل على ما يغيظ الأعداء ويرهبهم: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ [الأنفال: ٦٠] ﴿ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [التوبة: ١٢٠] وفي مقام الوحدة والصمود أمام العدو يأمر بالاتحاد والأخوة وعدم التفرق ذلك لأن التفرق سلاح فتاك يوجب خلل الصفوف وتباين الأهداف والأغراض: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون – وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال: ٤٥ – ٤٦]." (١)

"حريرا وذهبا، فقال: " هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم» . (رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم) . ومن ذلك لبس خاتم الخطبة الذي يسمونه (الدبلة) فهو سيء للرجال والنساء؛ لأن هذه العادة سرت من النصارى، قاله محدث الشام في عصره الألباني قال: ويرجع ذلك إلى عادة قديمة يضع الرجل العروس الخاتم على رأس إبهام العروسة المرأة، ويقول: باسم الرب، ثم يضعه على رأس السبابة، ويقول: باسم الابن يعنون بالأب الله، وبالابن عيسى تعالى الله عن قولهم، ثم يضعه على رأس الوسطى، ويقول باسم روح القدس، وعندما يقول آمين يضعه في البنصر حيث يستقر.أيها المسلم إذا كانت هذه العادة متلقاة من النصارى فكيف ترضى لنفسك بصفتك مسلما أن تقلدهم فيها، وتتشبه بهم، وقد علمت أن نبيك صلى الله عليه وسلم قال: «من تشبه بقوم فهو منهم» . كيف تذهب بعقلك إلى هذه الخرافة التي لا حقيقة لها، فليست الدبلة بالتي تجلب المودة، وليس عدمها بالذي يطرد المودة. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» . وفسر العلماء التولة بأنها شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والدبلة شبيهة بالتولة؛ لأنهم يعتقدون أنها رابطة بين الزوج وزوجته، وهي بعيدة من ذلك فليست بربط شرعي؛ لأن الربط الشرعي بين الزوجين يكون بعقد النكاح، وليست ربطا كونيا؛ لأنها لا تأثير لها حسا سوى ما يقع في وهم لابسيها بناء على عقيدة لا أصل لها، ولا تعجبوا أن تكون التولة نوعا من الشرك، وذلك لأن الخلق **والأمر كله لله عز** وجل وحده، فوضع السببية في الأسباب إلى الله وحده، فمن جعل شيئا ما سببا لشيء لم يجعله الله سببا له، فقد شارك الله فيما يختص به. إذن فخاتم الخطبة (الدبلة) إن كان من ذهب فهو حرام سيئ على الرجل من جهتين، من جهة أنه ذهب، ومن جهة العقيدة الفاسدة والتقليد الأعمى الذي مصدره من النصارى، وإن كان غير ذهب أو استعملته الأنثى فهو سيء من جهة واحدة. ومن اللباس المحرم لبس الرجل والمرأة ما لا يستر من الثياب ما يجب ستره كلبس الرهيف الذي

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ١/٨٩

لا يستر، والقصير، ويتضح ذلك في الرجال في أيام الصيف حيث يلبسون سروايل قصيرة يبدو منها بعض الفخذ، وثيابا رهيفة عليها لا تستر، وهذا غير ساتر في الصلاة." (١)

"فالموفقون أهل الفهم والمعرفة جعلوا الأوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله نهجا إلى الله تعالى قاصدا.وعلموا أن **الوقت كله لله فلم** يجعلوا منه شيئا لغيره.جعلوا أوقاتهم في طاعة الله فعلا ونية. وقال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ .علموا أن الأنفاس أمانات عندهم وودائع لديهم.وعلموا أنهم مطالبون برعايتها فوجهوا هممهم لحفظها وأدائها.قال بعضهم إحالتك الأعمال إلى وجود الفراغ حمق وجهل ووجه ذلك: أولا أنه إيثار للدنيا على الآخرة، وليس هذا من شأن عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منك قال الله جلا ولعلا وتقدس ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ .والثاني أن تسويف العمل إلى آوان الفراغ غلط لأنه قد لا يجد مهلة بأن يختطفه الموت قبل ذلك.أو يزداد شغله لأن أشغال الدنيا يتداعى بعضها إلى بعضه كما قيل:فما قضى أحد منها لبانته ... ولا انتهى أرب إلا إلى أربوالثالث أنه ربما يفرغ منها إلى الذي لا يرضيه من تبدل عزمه وضعف نيته.المهم أن الواجب عليه المبادرة إلى الأعمال الصالحة على أي حال كان.شعرا:من كان يوحشه تبديل منزله ... وأن تبدل منها منزلا حسناماذا يقول إذا ضمت جوانبها ... عليه واجتمعت من ها هنا وهناماذا يقول إذا أمسى بحفرته ... فردا وقد فارق الأهلين والسكناهناك يعلم قدر الوحشتين وما ... يلقاه من بات باللذات مرتهنا." (٢)

"اللهم ثبت وقو محبتك في قلوبنا واشرح صدرونا ونورها بنور الإيمان واجعلنا هداة مهتدين وألهمنا ذكرك وشكرك واجعلنا ممن يفوز بالنظر إلي وجهك في جنات النعيم يا حليم ويا كريم واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلي الله علي محمد وعلي آله وصحبه أجمعين.(فصل)وقال ابن القيم رحمه الله:الجهاد أربع مراتب أحدها أن يجاهدها على تعلم الهدي ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة لها في معاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين الثانية أن يجاهدها على العمل به علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها الثالثة أن يجاهد على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدي والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.الرابعة: أن يجاهدها علي الصبر علي مشاق الدعوة إلي الله وأذى الخلق ويتحمل **ذلك كله لله فإذا** استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين فإن السلف مجمعون علي العالم لا يستحق أن يسمي ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه.فمن علم وعلم وعمل فذاك يدعي عظيما في ملكوت السماء وأما جهاد الشيطان فمرتبتان جهاده علي دفع ما يلقي إلي العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.." (٣)

"١- الاشتغال بخدمة السنة النبوية سندا ومتنا حيث ظهر على أيديهم علم الرجال وعلم مصطلح الحديث الذي امتازت به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم.٢- الالتزام بالكتاب والسنة قولا وعملا، عقيدة وعبادة، معاملات وسلوكا،

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٢/٤١٧

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣/٢٤٥

(٣) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤/٣٤٢

سياسة واجتماعا، مع فهمها الفهم الصحيح على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.٣- عدم تأويل آيات وأحاديث الصفات أو صرفها عن ظاهرها بغير دليل.٤- عدم تحكيم العقل والهوى في النصوص بدون دليل صحيح، كما فعل المبتدعة من جهمية ومعتزلة وغيرهم ممن إنحرف عن منهج أهل السنة والجماعة.٥- فضح أهل البدع والأهواء وهتك استارهم ببيان ضلالهم وانحرافهم وتحذير الأمة منهم ومن ضلالتهم، كل ذلك نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.٦- الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وأن يكون **الدين كله لله وذلك** بالسنان والبيان كما فعل سلفهم الصالح من الصحابة رضي الله عنهم.وقد وصف الحافظ ابن حبان في مقدمة صحيحه أهل الحديث فقال: " ... ثم اختار طائفة لصفوته، وهداهم للزوم طاعته، من إتباع سبل الأبرار، في لزوم السنن والآثار، فزين قلوبهم بالإيمان، وأنطق ألسنتهم بالبيان، من كشف أعلام دينه واتباع سنن نبيه بالدؤوب في الرحل والأسفار، وفراق الأهل والأوطار في جمع السنن ورفض." [(١)]

"ثم حرك دابته وبرز للعلج فعالج معه ساعة، فقتل العلج، وطلب المبارزة فبرز له علج آخر، فقتله، حتى قتل ستة علوج، وطلبه البراز فكأنهم كاعوا- أي جبنوا- عنه، فضرب دابته وطرد بين الصفين، ثم غاب فلم نشعر بشيء، فإذا أنا به في الموضع الذي كان، فقال لي: يا عبد الله لئن حدثت بهذا أحدا وأنا حي ... فذكر كلمة..!! ١.قال صاحب مفتاح السعادة:كان ابن المبارك يقضي جل وقته في الجهاد في سبيل الله، وكان يقاتل ويبلى بلاء حسنا، فإذا جاء وقت القسمة غاب، فقيل له في ذلك، فقال: يعرفني الذي أقاتل له٢.هكذا تكون النية في الجهاد، إنه لأجل إعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى لا لمنصب ولا لجاه، ولا لمال، إنما يكون الجهاد لنشر دين الله بين الناس، وإقامة العدل في الأرض بتحكيم الكتاب والسنة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، لا لمجرد تسلم السلطة لذاتها ولا من أجل تغلب حزب على حزب أو فئة على فئة.ثالثا: في مجال العلم:تلقى ابن المبارك العلم على مشايخ بلده ثم رحل في طلب العلم على غيرهم، كعادة الأئمة من السلف الصالح في طلب العلم٣.وكان سنه آنذاك عشرين سنة عند رحلته، وأخذ العلم عمن أدرك عن التابعين ومن بعدهم، وأكثر من الترحال والتطواف إلى أن مات في______________١ سير أعلام النبلاء: ٨/ ٣٦١، ط. الأولى، بيروت.٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: ٢/٢٤٨، ط. الأولى بالقاهرة.٣ قال يحيى بن معين: أربعة لا تؤنس منهم رشدا: حارس الدرب ومنادى القاضي وابن المحدث ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث. معرفة علوم الحديث للحاكم، ص: ٩.." [(٢)]

"﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون *﴾ . [النمل: ٦٢]﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم *﴾ . [فاطر: ٢]﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين *﴾ . [آل عمران: ١٣٩]﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا

---

(١) من أعلام أهل السنة والجماعة عبد الله بن المبارك محمد بن مطر الزهراني ص/١٢

(٢) من أعلام أهل السنة والجماعة عبد الله بن المبارك محمد بن مطر الزهراني ص/٢٢

يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن **الأمر كله لله يخفون** في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء." (١)

"الثانية: ان يجاهدها على العمل به بعد علمه والا فمجرد العلم بلا عمل ان لم يضرها لم ينفعها.الثالثة: ان يجاهدها على الدعوة اليه وتعليمه من لا يعلمه والا كان من الذين يكتمون ما انزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.الرابعة: ان يجاهدها على الصبر لتحمل مشاق الدعوة الى الله واذى الخلق ويتحمل **ذلك كله لله فاذا** استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين فان السلف مجمعون على ان العالم لا يستحق ان يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماء.واما جهاد الشيطان: فمرتبتان:احدهما: جهاده على دفع ما يلقي الى العبد من الشبهات والشكوك القادمة في الايمان ...الثانية: جهاده على منع ما يلقى اليه من الارادات والشهوات. فالجهاد الاول يكون بعده اليقين والثاني بعده الصبر. قال تعالى:"وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون" فأخبر ان امامة الدين انما تنال بالصبر واليقين فالصبر يدفع الشبهات والارادات واليقين يدفع الشكوك والشبهات.واما جهاد الكفار والمنافقين: فاربع مراتب:بالقلب واللسان والمال والنفس.وجهاد الكفار اخص باليد وجهاد المنافقين اخص باللسان.واما جهاد ارباب الظلم والبدع والمنكرات: فثلاث مراتب:." (٢)

"أنتظر أن تكون أنت أخي، نعم. أخي. كن أنت أخ لكل من ترجو منه نظير ذلك تجن جزاءك وفاقا.إخوتاه ..لعل مثل هذا الكلام يمر على خاطركم فتستشعرونه هنيهة ثم لا تلبثون بعد ذلك أن تنطلقوا إلى مألوف ما استمرأت عليه الأنفس، لعل بعضكم يجد في هذا الحديث تهويلا، في نوع من معايشة الأكاذيب والأوهام التي نحاول تصديقها فرارا من الجزع واليأس، وطامة هؤلاء أن تعلقت قلوبهم بالنتائج وسرعة جني الثمار، والأصل أننا نبني ولو لبنة، ونزرع ولو بذرة، ثم **الأمر كله لله نفوضه** إليه، ولكن نبقى دائما نمحص الدعوة، ونتهم أنفسنا، ونلقي باللائمة علينا، فنحن لا نعمل للناس، نحن نعمل من أجل رب الناس، وتوفيقه مرهون بإصلاحنا لأنفسنا، فلا يضيرك بعدها شيء لأنك اخترت الله فمحاولة النقد الذاتي ليس فيها تعجيز ولا تهوين ولا شرخ للصف، بل هي محاولة لتمحيص النوايا وتجديد الإيمان الفينة بعد الفينة بالمواجهة الصريحة ولا نعبأ بعد ذلك بقول قائل فإننا لا نرضي سوى ربنا.وقد يتلقى بعضنا مثل هذه الدعوات بنفس جزعة، لا تنزع من قولة " ليت "، ولسان حالهم كما قالت العرب قديما: "قد كان ذلك مرة فاليوم لا "، وهؤلاء مرضى الجزع لا صبر لهم البتة، والخطب ما زال هينا فما يدريك والبلية أعظم " هذا ولما ترى تهامة!! " وامتحان الإيمان في الصبر " أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم " [آل عمران/١٦٥] نعم إن مصابنا الآن في فقدان إخواننا الذين افترستهم الدنيا حتى تكاد تعدم الحبيب في الله، إن تلك البلية تحتاج إلى تصحيح للنيات من جديد،

---

(١) ارق نفسك وأهلك بنفسك خالد الجريسي ص/١٤٢

(٢) البيان في مداخل الشيطان عبد الحميد البلالي ص/١٧٠

وبداية لصحوة جديدة قبل أن تملكنا الدنيا، والتي عادت كأن لم يعد شيء سواها يهمنا.لا .. لا إخوتاه لسنا لمثل هذه ننتسب، لسنا حاملي هذه الجنسية." (١)

"الأصل السادس عشر: الأمر كله بيد الله ، فسلم تسلمقال – تعالى – عن إبراهيم: "إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه "(البقرة: ١٣١ – ١٣٢).قال ابن كثير رحمه الله: " وقوله – تعالى –: " إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين " أى: أمره الله – تعالى – بالإخلاص له والاستسلام والانقياد ، فأجاب إلى ذلك شرعا وقدرا.وقوله " ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب " أى: وصى بهذه الملة وهى الاسلام لله ، أو يعود الضمير على الكلمة ، وهى قوله: " أسلمت لرب العالمين " لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ، ووصوا أبناءهم بها من بعدهم " اهـ.فسلم لربك يا طالب الوصول ، فالأمر كله له ، قال الملك: " إذ تعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون * ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن **الامر كله لله يخفون** فى أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ولبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور " (آل عمران: ١٥٣ – ١٥٤).." (٢)

"" وطائفة قد أهمتهم أنفسهم " .. نعم: فكم من ناس فى هذه الدنيا لا هم لهم إلا أنفسهم .. سلموا أمرهم لأنفسهم لا لله .. وقديما قالوا: من عاش لنفسه عاش صغيرا ومات حقيرا .. فسلم نفسك لله وحده يأمرها وينهاهابما هو أنفع وأصلح لها ، فهو سبحانه عليم حكيم .. ضع يديك ورجليك فى قيود الشريعة الفضية لتتحرر من ذل العبودية لغير الله .. سلم تسلم فالامر كله لله.كم رأينا رجلا أهم شيء لديه أن يأكل ويشرب ويلبس وينام .. أهم شيء مزاجه ، أما العيال فمالى وللعيال! ، فأنا الذى آتى بالعيال .. والزوجة؟ .. وما لى بالزوجة ، فلتذهب لأهلها يطعموها .. وعن الآخرة يقول: حينما يأتى الحساب ستفرج!!طبعا أنت ستتعجب هذا الرجل ، فكلامه لا يقوله إلا جاهل أو عاص ، ولكن لا تعجب ، فهذا الكلام موجود بداخل الكثير منا – معاشر الملتزمين – وإن كان لا يقوله بلسانه .. نعم: كثير منا يود أن يعيش لنفسه – ونفسه – فقط – .. ودعونا نتصارح حتى نعالج تلك المشاكل ، وإلا فسيظل السوس ينخر فى العظم .. عظم الامة.إن سبب مصائبنا اليوم أنفسنا .. ترانا " منكوسين موكوسين " لماذا؟ .. من أنفسنا .. شلة يهود .. شرذمة يهود يضربوننا على أم رؤوسنا لماذا؟ .. لماذا استضعفونا واستهانوا بنا؟ .. لهواننا على أنفسنا .. مع أننا أكثر من هؤلاء الناس جميعا ، وعندنا كل الامكانيات التى تؤهلنا لسيادة العالم ولكن لا نسود .. لأن " السوس " فى قلوبنا.." (٣)

---

(١) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٨

(٢) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/١٧٧

(٣) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/١٧٨

"من هنا .. ألست من داخل قلبك تعتقد أن القرآن كلام الله؟! ، إذا لا حرج عليك طالما أن قلبك مطمئن بالايمان!! فقال الامام أحمد: " يا أبا سعيد ، إن كان هذا عقلك فقد استرحت!! " .. وما أكثر أصحاب العقول المستريحة فى زماننا .. أراح دماغه .. وغير عابىء بأى أمر .. وتارك نفسه مع الماشى ، وحينما يموت لا يجد إلا النار.لذلك – إخوتاه – حينما يقول الله: " هل لنا من الأمر من شىء " ، نقول له: إن الامر كله لله.الامر أمر الله .. فإذا أرادك أن تحمل فاحمل ما أمرك به .. هذه مسئوليتك .. وهذه هى الامانة التى قال الله عنها: " إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا " (الأحزاب: ٧٢) .. احمل مسئولية هذا الدين ، فالدين أمانة .. الدين نسبك وصهرك .. الدين مسئولية كل مسلم .. الدين مسئوليتك الشخصية ، وسوف تسأل عنه .. ووالله ثم والله لتسألن عن دين الله .. ماذا عملت به ، وماذا قدمت له؟قال أبو بكر الصديق لما منعوا الزكاة: أينقص الدين وأنا حى؟!! كلا والله .. فهل ينقص وأنت حى .. هل ينقص الدين فى بيتك وفى منطقتك وفى أرضك وفى كل العالم؟! .. نعم ينقص ، لأنك لم تحمله.والمنافقون هم الذين لا يريدون أن يحملوا الدين: " يقولون هل لنا من الأمر من شىء قل إن **الأمر كله لله** " .. يقولون لأنفسهم: ما الذى أتى بكم إلى هنا؟! .. " يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان." (١)

"فكن معه وسيحميك ويحرسك ويحفظك ويسددك وينجيك ، وإن ابتلاك فسيرضيك.قال ابن القيم – رحمه الله – : " اصدق الله ، فإذا صدقت عشت بين عطفه ولطفه ، فعطفه يقيك ما تحذره ، ولطفه يرضيك بما يقدره " اهـ.ستعيش وتحيا بين العطف واللطف .. فيعطف عليك .. فكل ماتخاف منه لن يحدث ، لأنه – سبحانه – هو الملك – فلا يجرى فى الكون شىء إلا بقدره وإذنه ومشيئته ، فسيحميك بعطفه .. وإذا قدر عليك شيئا تكرهه فسيرضيك بلطفه. إذا فكل لله كما يريد ، يحميك ويرضك .. فسلم له تسلم.فلان كان يقود السيارة وفى لحظة القدر لم ير أمامه ، فكانت الحادثة .. وفيها حصل العطف واللطف .. فالعطف: أن السيارة تكسرت لكنه خرج هو وأولاده سالمين .. هذا عطف ..أما اللطف: فإنه نزل من السيارة ساجدا يقول: الحمد لله .. يقولون له: السيارة انتهت ، يقول: يا أخى ، الحمد لله ، الحمد لله .. فهذا لطف .. وعلى العكس: من يحلق لحيته: فيعصى فيؤذى فيتلفظ بما يسخط الله .. فلا هو نفذ الامر فعاش بعطف الله ، ولا هو سكت فعاش سعيدا وفاز بلطف الله.وهكذا .. إذا عشت لله فنفذت أوامره ، وسلمت له زمام نفسك فأطعته فى كل مايأمرك به ، سلمت ، وسيرك بين عطفه ولطفه – اللهم احفظنا بعطفك ولطفك يا رب .. فسلم تسلم لتصل فالامر كله لله.* * *." (٢)

"والدارسين فيها حتى يتحقق التفوق للقيم الإسلامية، فيشيع السلام ويكون الدين كله لله.وهذا المفهوم الإسلامي للأمن، والسلام يختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الأمنالقومي الذي ترفع لواءه المجتمعات المعاصرة، وتتخذه ذريعة للممارسة مختلف أشكال العدوان ضد بعضها البعض.وتعريف –الجهاد– بالشكل المذكور أعلاه، يجعل ترجمة هذا –المصطلح– إلى

---

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/١٨١

(٢) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/١٨٣

اللغات الأخرى أمرا صعبا وضارا. فهو صعب؛ لأنه لا يوجد ما يقابله في اللغات الأخرى، وهو ضار؛ لأن الترجمة تشوه معناه كما حدث لترجمته إلى اللغة الإنكليزية التي أطلقت عليه اسم –الحرب المقدسة Holy War– حيث عممت مظهرا واحدا من مظاهر الجهاد، وطمست بقية المظاهر. ولا بد هنا من الإشارة إلى أثر تراث ما قبل الإسلام في تطبيقات الجهاد عند الشعوب الإسلامية. فالعربي فهم المظهر المرادف لثقافة الغزو الذي كانت القبائل العربية تمارسه قبل الإسلام. والمسلم الباكستاني جذبه المظهر النفسي المشابه لثقافة التقشف الهندوسي، التي كان عليها في جاهليته. وهذا كله من سوء التأويل الذي تتسبب به الموروثات الثقافية السابقة، إذا لم تقم التربية بدورها في الجهاد التربوي الذي يستهدف تزكية مناهج الفهم والتطبيق.." (١)

"أعماله، وقوله: "محياي ومماتي" أي: ما آتيه في حياتي، وما أموت عليه من الإيمان والعمل **الصالح كله لله رب** العالمين، لا شريك له في شيء من ذلك. وقوله: "اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" فيه التوسل إلى الله بملكه وألوهيته وربوبيته، واعتراف العبد بأنه عبد له ظالم لنفسه معترف بذنبه، وأنه سبحانه غافر الذنوب ولا يغفرها إلا هو، وهو بهذا يطمع من ربه أن يغفر له ذنبه. وقوله: "واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت" فيه سؤال الله الهداية إلى الخلق الحسن، واعترافه بأنه لا يهدي إليه إلا الله، وأن يصرف عنه الخلق السيئ الرديء، واعترافه بأنه لا." (٢)

"تحقيق للتوحيد والقدر، وأنه لا رب غيره، ولا خالق سواه، ولا يملك المخلوق لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بل الأمر كله لله، ليس لأحد سواه منه شيء. وقوله في ختام هذا الدعاء: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" فيه الاعتراف بأن شأن الله سبحانه وعظمته وكمال أسمائه وصفاته أعظم وأجل من أن يحصيها أحد من الخلق، أو يبلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه. ومن أدعية السجود كذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، أوله وآخره، وعلانيته وسره" ١.______________١ صحيح مسلم (رقم:٤٨٣) .." (٣)

"خلق الله عز وجل المخلوقات من أرض وسماء، وجبال ودواب، وماء وهواء، و ... قبل خلق الإنسان، وجعلها منقادة لعبادته، لا تعرف خالقا سواه، ولا إلها غيره .. تسبحه وتسجد له، قال تعالى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾ [الإسراء: ٤٤]. وخلق سبحانه وتعالى الملائكة وهم من خواص خلقه، وجعلهم مقربين إليه يقومون بتنفيذ أوامره في تدبير أمور الكون .. وهم كسائر مخلوقاته في حالة دائمة من التسبيح والعبادة له سبحانه ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون

---

(١) أهداف التربية الإسلامية ماجد عرسان الكيلاني ص/٢٤٩

(٢) أذكار الطهارة والصلاة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٤٥

(٣) أذكار الطهارة والصلاة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٧٧

عن عبادته ولا يستحسرون﴾ [الأنبياء: ١٩].خلق آدم:ومع عبادة **الكون كله لله وتسبيحه** الدائم له، فإنه سبحانه وتعالى أراد أن يخلق مخلوقا جديدا يعبده باختياره بعد أن يعطيه عقلا لا يوجد مثله في سائر مخلوقاته، ويودع فيه من الملكات والمقومات ما يستطيع من خلالها أن يصل لمعرفة الله عز وجل، لدرجة لم يصل إليها مخلوق آخر – بما في ذلك الملائكة – وبجانب هذا العقل جعل له سبحانه وتعالى نفسا تحب الشهوات، ولا تنظر إلى عواقب الأمور .. تريد أن تاخذ حظها من كل عمل يقوم به هذا المخلوق .. تحب الراحة، وتكره التكليف.وبين العقل والنفس يوجد القلب الذي يعد بمثابة الملك: يصدر الأوامر فيسمع له الجميع ويطيع .. ففيه مركز القيادة والإرداة واتخاذ القرار، ولقد خلقه الله سبحانه وتعالى بإرادة حره، وأعطاه مزية حرية الاختيار، وطالبه بعبادته في الغيب في ظل هذه المعطيات.أخبر سبحانه وتعالى الملائكة هذا الأمر ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠].فاستعظمت الملائكة أن يوجد مخلوق لا يعبد الله عبودية تامة كبقية الخلائق، وأن يوجد مكان في الوجود يعصى فيه الإله ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٣٠].." [1]

"وليس معني هذا أنه ليس على هؤلاء الجاهلين مسئولية في البحث عن الطريق الصحيح، فالمسئولية مشتركة بينهم وبين أصحاب الرسالة ... عليهم أن يبحثوا عن الحق، وعلى أصحاب الرسالة أن يجتهدوا في توصيل الحق إليهم .. من هنا ندرك قيمة الجهاد في الإسلام والحكمة من كثرة الحث عليه في الكتاب والسنة، وتفضيله على كثير من الأعمال .. فجوهر الجهاد هو بذل الوسع والطاقة في سبيل الله، وإقامة دينه، وتبليغ دعوة الإسلام –دون إكراه– فيكون وسيلة لإنقاذ البشرية وإسعادها بالإسلام "وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس" [الحج: ٧٨].إن الجهاد هو الوسيلة العظيمة لتبليغ الدعوة وتوصيلها إلى الناس جميعا، ومن خلال قيام المسلمين به يتم إنقاذ الكثيرين من الضلالة والنار "انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" [التوبة: ٤١].وعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟قال: «لا تستطيعونه»، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه».ثم قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد» (١).وغني عن البيان أن للجهاد صورا كثيرة يجمعها معنى «الجهاد» وهو: بذل الجهد في سبيل الله، تأمل قوله تعالى: "ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون" [آل عمران: ١٥٧]، فلقد جمع الله عز وجل في هذا الآية بين من يقتل في سبيل الله وبين من يموت دون قتال وهو في سبيل الله، وجعلهما مشتركين في الأجر.إن توصيل رسالة الله عز وجل للبشر يحتاج إلى بذل حقيقي للجهد وتضحية عظيمة بالغالي والنفيس، وصبر وثبات على المحن والعقبات التي تعترض طريق توصيل الرسالة، فلا راحة للمسلمين حتى يكون الدين كله لله.يقول الإمام حسن البنا: فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لامناص منها ولا مفر معها، ورغب فيه أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء، فلم يلحقهم في مثوبتهم إلا من عمل بمثل عملهم، ومن اقتدى بهم في جهادهم، ومنحهم

---

(١) العودة إلى القرآن لماذا وكيف مجدي الهلالي ص/٤

من الامتيازات الروحية والعملية في الدنيا والآخرة ما لم يمنح سواهم وتوعد المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات، ورماهم بأبشع النعوت والصفات ووبخهم على الجبن والقعود، ونعى عليهم الضعف والتخلف، وأعد لهم في الدنيا خزيا لا يرفع إلا أن جاهدوا، وفي الآخرة عذابا لا يفلتون منه ولو كان لهم مثل أحد ذهبا (٢).ماذا لو فرطنا؟!إن اتفقت معي –أخي القارئ– على ذلك، وقرأت آيات وأحاديث الجهاد من هذا المنظور، فستدرك –كما أدركت– مدى التقصير والتفريط الذي وقعت فيه الأمة في حق البشرية بتخليها عن هذا الأمر الإلهي، وخيانتها لواجب البلاغ، وستدرك كذلك مدى خطورة تفريط الأمة في التطبيق الصحيح للرسالة في ذاتها لأن التطبيق الصحيح للإسلام يسعد أبناءه ويدفعهم لبذل غاية الجهد لإنقاذ غيرهم. ــــــــــــــــــــــــ(١) رواه البخاري ومسلم.(٢) رسالة الجهاد من مجموع رسائل الإمام حسن البنا ص٤٢١ – دار التوزيع والنشر الإسلامية– مصر.." (١)

"فإن كان الأمر كذلك؛ فإن تفريط الأمة في القيام بهذين الأمرين: (أن تتمثل في ذاتها الرسالة، وأن تقوم بتبليغها) يضعها في دائرة العتاب والغضب الإلهي، وكيف لا وهي بذلك قد قصرت في أداء الأمانة التي ائتمنها الله عليها، وتخلت عن موقعها الريادي للبشرية، وما ينتج عن ذلك من ضياع الكثيرين والكثيرين حين يموتون على الكفر رغم ما فيهم من خير مخبوء وشوق إلى الهداية.إن الخسارة التي تخسرها البشرية بتخلي أمة الإسلام عن وظيفتها خسارة فادحة، فالآلاف –كل يوم– يموتون على الضلالة والكفر، ولو أن الرسالة قد بلغتهم بطريقة صحيحة لآمن الكثير منهم.لماذا نعاقب؟!لعل ما قيل في الأسطر السابقة يجيب عن الأسئلة التي تتردد على ألسنة المسلمين كلما ازداد حال الأمة سوءا، وكلما تعالت هجمات أعدائها عليها ... فمن هذه الأسئلة: لماذا نعاقب بهذه العقوبات المتوالية؟! إلى متي الذل والهوان الذي تعيشه أمتنا منذ أمد بعيد؟ لماذا يتركنا الله هكذا نسام سوء العذاب من اليهود وغيرهم وهو سبحانه قادر بأن يكف بأسهم عنا وينصرنا عليهم؟إن الرؤية الإيمانية لهذه العقوبات لابد وأن تنطلق من عدة أمور.أولها: أن هذا العقوبات تأتي بعلم الله وإذنه ومشيئته "وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله" [آل عمران: ١٦٦] .. "ولو شاء ربك ما فعلوه" [الأنعام: ١١٢].وثانيها: أن هذا العقوبات صورة من صور العتاب الإلهي للأمة لأنها تخلت عن رسالتها، ولم تعمل بما تضمنته، وتركت مهمة توصيلها وإبلاغها للبشر جميعا."أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم" [آل عمران: ١٦٥].وثالثها: أن هذه العقوبات تعد بمثابة وسيلة قوية لإيقاظ الأمة وإفاقتها من غفلتها، وإعادتها إلى رشدها "وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون" [الزخرف: ٤٨]، .. قال صلى الله عليه وسلم: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد: سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» (١).إصلاح الداخل أولا:لا يمكن للأمة أن تؤدي أمانة البلاغ، ومن ثم الشهادة على الناس إلا إذا تمثلت في أبنائها معاني الرسالة؛ فيستمدون منها –بعون الله– القوى الروحية الدافعة للعمل والجهاد، ويستشعرون من خلال تطبيقها الصحيح معنى العزة بالله، فتفيض عليهم السعادة في كيانهم، فينطلقون راشدين لتحقيق مراد ربهم بأن يكون الدين كله لله.وحين يهملون تطبيق الرسالة: تنحط اهتماماتهم، وينكفئون على ذواتهم، ويصبح جل تفكيرهم في كيفية تحصيل متطلبات الطين، وشهوات النفس.من هنا نقول بأن نقطة البداية

---

(١) التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم مجدي الهلالي ص/٦

الصحيحة لرفع العقوبات عن الأمة، وتغيير ما حاق بها ونزل بساحتها؛ هو إصلاحها من الدخل "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" [الرعد: ١١].فإن لم يحدث ذلك؛ فستظل العقوبات والمحن تتوالى عليها، ولن يرفعها مجرد الدعاء أو المساعدات للمنكوبين -على أهميتها- بل لابد من دفع ضريبة التغيير الحقيقي.وحتى لو هدمت المساجد، وقتل النساء والأطفال هنا وهناك فلن يرفع البلاء إلا إذا سرنا في طريق التغيير "وإن عدتم عدنا" [الإسراء: ٨].والتغيير المنشود يشمل كيان الإنسان بمحاوره الأربعة:أولا: تغيير وإصلاح المفاهيم والتصورات في العقول، وإعادة بناء اليقين الصحيح فيها.ثانيا: إصلاح الإيمان في القلوب وتقوية الإرادة. ـــــــــــــــ(١) صحيح، رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٢٣).." [١]

"ولكي نشهد على الناس شهادة صحيحة لابد من تبليغهم الرسالة أولا على أحسن ما يكون التبليغ، ثم التعرف على موقفهم من هذه الرسالة، فإذ ما سألنا الله عز وجل يوم القيامة عن هذه الشهادة كان الجواب المفترض أن نجيب بمثله: إننا قمنا بتبليغ الرسالة إلى قوم (كذا) و (كذا) فاستجاب بعضهم ولم يستجب الآخر.من هنا نقول بأن تربية الفرد لا تكتمل إلا إذا كانت له حركة وجهد يبذله في تبليغ رسالة ربه ودعوة خلقه إليه.يؤكد الإمام حسن البنا على هذا المعنى فيقول: كلف الله المؤمنين بمهمة، وألقي على عاتقهم بواجب هو: هداية البشر إلى الحق، وإرشاد الناس جميعا إلى الخير، وإنارة العالم كله بشمس الإسلام، فذلك قوله تبارك وتعالى: +يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون – وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس" [الحج: ٧٧، ٧٨].معني هذا أن القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة، ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصايا النبيلة.ويستطرد قائلا تحت عنوان: وصاية المسلم تضحية لا استفادة.ثم بين الله تبارك وتعالى أن المؤمن في سبيل هذه الغاية قد باع لله نفسه وماله فليس له فيها شيء، وإنما هي وقف على نجاح هذه الدعوة وإيصالها إلى قلوب الناس، وذلك قوله تعالى: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" [التوبة: ١١١].ومن ذلك نرى أن المسلم يجعل دنياه وقفا على دعوته ليكسب آخرته جزاء تضحيته.ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذا يتصف بكل ما يجب أن يتحلى به الأستاذ من نور وهداية ورحمة ورأفة، وكان الفتح الإسلامي فتح تمدين وتحضر وإرشاد وتعليم (١).وإسلاماه:ولئن كان بذل الجهد في سبيل الله مطلوبا من المسلم في كل وقت؛ إلا أن الحاجة تشتد إليه في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى، كيف لا والمسلمون قد أصبحوا تحت أقدام أعدائهم، وتراجع دورهم الحضاري، وأصبحوا عالة على الأمم الأخرى، بالإضافة إلى تغلغل المشروع الصهيوني في ديار الإسلام، واستعلاء الباطل، وارتفاع رايات المادية والعلمانية، مع ابتعاد المسلمين عن تطبيق تعاليم دينهم بصورة صحيحة ..من هنا تبرز الحاجة لبذل غاية الجهد في اتجاه تغيير هذا الوضع، والمساهمة الفعالة في بناء المشروع الإسلامي الذي ينطلق من قوله تعالى: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" [الرعد: ١١].مستهدف التربية الحركية:التربية الحركية لابد وأن تشمل ضبط وتوجيه حركة المسلم في الحياة، وهدفها أن يكون له أثر طيب في كل

---

(١) التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم مجدي الهلالي ص/٧

مكان يحل فيها "وجعلني مباركا أينما كنت" [مريم: ٣١]، وأن يساهم مساهمة بناءه في إقامة المشروع الإسلامي الذي يهدف إلى استئناف الحياة الإسلامية الصحيحة، ويهدف كذلك إلى إنقاذ البشرية من الضياع، وإسعادها بالإسلام "ويكون الدين كله لله" [الأنفال: ٣٩]. ـــــــــــــــ(١) رسالة إلى أي شيء ندعو الناس؟ ص ٣٤، ٣٥ بتصرف يسير.." (١)

"إن فصيلة دم أمتنا هي الإيمان، ويوم أن يضعف الإيمان، ويتمكن الهوى وحب الدنيا من قلوب أبنائها، فإنها بذلك تفقد مصدر قوتها وتميزها على سائر الأمم، وليس ذلك فحسب؛ بل إن ضعف الإيمان وغلبة الهوى من شأنه أن يستدعى غضب الله عليها لأنها بهذا الضعف لن تستطيع أن تبلغ رسالته، ومن ثم فإن العقوبات ستتوالى عليها حتى تفيق من غفلتها، وتعود للإيمان فتتقوى به، وليس أدل على ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد: سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» (١).وعن أنس بن مالك مرفوعا: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل للعامة، فيقول الله: ادع لخاصتك أستجب، وأما العامة فلا، فإني عليهم غضبان» (٢).مشكلتنا إيمانية:من هنا نقول بأن مشكلة أمتنا إيمانية بالدرجة الأولى، ولن ينصلح حالها، ولن تستعيد عافيتها إلا بالإيمان، فتستبدل بذلك غضب الله برضاه، ومن ثم تستدعى نصره وتمكينه ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧].وليس معنى القول بأن مشكلة أمتنا مشكلة إيمانية هو ترك الأخذ بأسباب التقدم المادية التي أخذت بها سائر الأمم، أو ترك الجهاد لتبليغ الدعوة وإقامة المشروع الإسلامي، بل المقصد هو إعادة ترتيب الأولويات، فالإيمان أولا ثم يلي ذلك توجيه وتصريف الطاقة التي يولدها ذلك الإيمان في المجالات المختلفة، والسعي الدؤوب لاستكمال المشروع الإسلامي الذي يبدأ بإصلاح الفرد، فالبيت، فالمجتمع، وينتهي بأستاذية العالم ﴿ويكون الدين كله لله﴾ [الأنفال: ٣٩].مع الأخذ في الاعتبار أن أهم عامل لنجاح هذا المشروع هو وجود المسلم الصحيح الذي ممكن لله في قلبه، وفانعكس ذلك على سائر حياته ليتحقق فيه قوله تعالى: ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ١٦٢].ولا يمكن أن يظهر هذا النموذج إلا بالإيمان، فالإيمان هو الوقود الذي يولد الطاقة الدافعة للقيام بالواجبات المختلفة في أي زمان ومكان ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين - إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].العمود الفقري للإيمان:فإن كانت فصيلة دم أمتنا هي الإيمان، وأننا الآن نعاني من نقص شديد فيه، فإن أعظم مقو للإيمان هو القرآن (٣).فالقرآن هو المنبع العظيم للإيمان والذي لا يوجد له مثيل، ويكفي أنه ينادي على الجميع أن هلموا إلى واستكملوا نقص إيمانكم، فمنابعي ممتلئة وجاهزة لإمدادكم جميعا بما تحتاجونه من إيمان ﴿ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا﴾ [آل عمران: ١٩٣].يقول محمد بن كعب القرظي: «المنادي هو القرآن، ليس كلهم رأي النبي صلى الله عليه وسلم» (٤). ـــــــــــــــ(١) صحيح، رواه أبو داود، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٢٣).(٢) رواه ابن المبارك

---

(١) التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم مجدي الهلالي ص/٣٢

في الزهد ح (٩٢٢).(٣) بفضل الله عز وجل تم بسط القول حول هذه المعاني في كتاب «إنه القرآن سر نهضتنا» وإنما نختصر هنا المعنى للدخول من خلاله إلى موضوع هذا الكتاب.(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد ص٥٨.." [(١)]

"بماذا تفسر استعلاء اليهود وقيامهم بإذلالنا وهم الذين كتب الله عليهم الذلة والمسكنة؟!عن أنس بن مالك مرفوعا: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل للعامة، فيقول الله: ادع لخاصتك أستجب، وأما العامة فلا، فإني عليهم غضبان» (١).وعن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (٢).مشكلتنا إيمانية:من هنا نقول بأن مشكلة أمتنا إيمانية بالدرجة الأولى، ولن ينصلح حالها، ولن تستعيد عافيتها إلا بالإيمان، فتستبدل بذلك غضب الله برضاه، ومن ثم تستدعى نصره وتمكينه ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧].وليس معنى القول بأن مشكلة أمتنا مشكلة إيمانية هو ترك الأخذ بأسباب التقدم المادية التي أخذت بها سائر الأمم، أو ترك الجهاد لتبليغ الدعوة وإقامة المشروع الإسلامي، بل المقصد هو إعادة ترتيب الأولويات، فالإيمان أولا، ثم يلي ذلك توجيه وتصريف الطاقة التي يولدها ذلك الإيمان في المجالات المختلفة، والسعي الدؤوب لاستكمال المشروع الإسلامي الذي يبدأ بإصلاح الفرد، فالبيت، فالمجتمع، وينتهي بأستاذية العالم ﴿ويكون الدين كله لله﴾ [الأنفال: ٣٩].مع الأخذ في الاعتبار أن أهم عامل لنجاح هذا المشروع هو وجود المسلم الصحيح الذي مكن لله في قلبه، فانعكس ذلك على سائر حياته ليتحقق فيه قوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ١٦٢].ولا يمكن أن يظهر هذا النموذج إلا بالإيمان، فالإيمان هو الوقود الذي يولد الطاقة الدافعة للقيام بالواجبات المختلفة في أي زمان ومكان ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين - إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].ولك أن تتأمل ما قاله المصلحون في هذا الشأن ومنهم الإمام حسن البنا، فمن أقواله رحمه الله: إذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعا (٣).واقرأ معي هذه الكلمات التي كتبها محمد أمين المصري .. يقول رحمه الله: إن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يعمد إلى إصلاح اقتصادي أو أخلاقي أو صحي أو سياسي أو إداري أو علمي.ولكنه عمد إلى إصلاح الإيمان .. فكان من بعد ذلك كل إصلاح وكل قوة وكل خير، ولا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها.فرجل العقيدة هو السبيل الوحيد لعلاج أنواع الانحرافات؛ ذلك أن رجل العقيدة يندفع في تحقيق أهدافه، وهو إنسان ملأت نفسه عقيدته، فهو يعيش من أجلها ويرضى بكل أذى في سبيلها .. ويبذل فيها جهده وكل غال ورخيص ..رجل العقيدة إن لم تكن لديه الوسائل الكاملة سعى إلى إيجادها ولو كان أمرا مستحيلا (٤) .. إن مثل هذا الإنسان يصيح بالناس ويترك فيهم أقوى الآثار ولو كان أبكما (٥).فالوسيلة الفعالة القوية هي تكوين أمثال هؤلاء الرجال، والإصلاح الذي نرقبه لا يتم إلا في إيجاد أمثال هؤلاء (٦). __________(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٩٢٢).(٢) حسن رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠).(٣) رسالة إلى أي شيء ندعو

---

(١) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن مجدي الهلالي ص/٦

الناس ص٣٧.(٤) المسؤولية لمحمد أمين المصري ص٣٩.(٥) المصدر السابق ص ٣١.(٦) المصدر السابق ص٣٩.." (١)

"إن مقتضى هذه الحقائق يؤكد على أن جهد أبناء الدعوة ينبغي أن يتجه أولا وقبل أي شيء، نحو الله سبحانه وتعالى لاستجلاب رضاه ومعيته وكفايته.نعم، لا بد من بذل الجهد في دعوة الناس وإيقاظهم، وإقامة المشروع الإسلامي ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ [الحج: ٧٨]، ولكن تبقى الحقيقة بأن **الأمر كله لله** ﴿ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾ [هود: ١٢٣].لا تحزن إن الله معنا:ولك أن تتصور رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه، وإذ بكل قوى الباطل تتبعهم، حتى يصل المشركون إلى فم الغار، فيخاف أبو بكر خوفا شديدا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وعلى الدعوة، ويقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا نبي الله لو أن أحدهم طأطأ بصره رآنا .. إن قتلت فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة، ليفاجأ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتأثر بهذه المخاوف، بل كان هادئ النفس، رابط الجأش، على ثقة مطلقة بالله عز وجل، وبدا ذلك واضحا من إجابته على ما أثاره أبو بكر من مخاوف: اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما ... لا تحزن إن الله معنا .. (١).نعم، أخي الحبيب، لا ينبغي علينا أن نحزن إن كان الله معنا ﴿وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا﴾ [النساء: ٤٥]. ______________(١) الرحيق المختوم.." (٢)

"هذه هي أهم الحقائق التي نزلت سورة يوسف لتؤكدها من خلال سياق الأحداث التي حدثت والنتائج التي تحققت، وحتى لا تنسى هذه الحقائق في خضم أحداث القصة: جاءت نهاية السورة لتقررها بصورة مباشرة، وتقول لنا بأنه كلما تزلزلت تصوراتنا عن إمكانية وقوع الفرج وانكشاف الضر، ومجيء النصر من أحد دون الله، ويئسنا تماما من ذلك، واتجهت القلوب بكليتها إلى ربها، كان الفرج والنصر أقرب مما يتخيله الجميع ومن خلال أهون الأسباب ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾ [يوسف: ١١٠].هل نترك الأسباب؟!وليس معنى هذا هو ترك الأخذ بالأسباب، وعدم بذل الجهد مع الناس، أو الانفصال عنهم، بل المقصد هو عدم التعلق القلبي بهم، أو الاعتقاد بأنهم يملكون كشف الضر عنا، أو أنهم يملكون القدرة على فك الحصار عن الدعوة ولو يسيرا .. **فالأمر كله لله** ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ [الأنعام: ١٧].إن إقامة المشروع الإسلامي والتمكين لدين الله في الأرض لن يتم إلا من خلال التعلق التام بالله عز وجل، مع بذل غاية الجهد واستنفاد جميع الأسباب المتاحة، ومد جسور التعاون مع الجميع، وكيف لا ونحن مأمورون بذلك: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ [الحج: ٧٨].فالأخذ بالأسباب المشروعة جزء من شريعة الله، وجزء كذلك من قدر الله، وحين يتركها أهل الدعوة فهم مقصرون في أداء واجبهم، وفي نفس الوقت عليهم – مع بذلهم لعظيم الجهد واستنفادهم لجميع الأسباب المتاحة أمامهم – أن تكون قلوبهم متعلقة تمام التعلق بالله عز وجل من حيث كونه – سبحانه – هو مالك هذا الكون والمتصرف فيه، وأن الأمر كله بيده وأنه هو وحده القادر على كشف الضر وتفريج الكرب،

---

(١) أين المخرج فالصخرة أغلقت الغار مجدي الهلالي ص/٦

(٢) صبرا آل ياسر مجدي الهلالي ص/٦

وأن الأمة كلها لو اجتمعت على أن تضر الدعوة بشيء لم يأذن به الله فلن يتم لها ما أرادت ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ [البقرة: ١٠٢].جهد البشر:ومع التأكيد القرآني الدائم على أن الناصر هو الله، وأن كاشف الضر، وفارج الكرب هو الله، وأن الذي يمكن للعباد هو الله، إلا أنه يؤكد أيضا على أن الفرج والنصر وكشف الضر يحتاج إلى ستار من الأسباب يتنزل عليه .. تأمل معي قوله تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين – ويذهب غيظ قلوبهم﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].إن هذا الدين لن يقام إلا بجهد الفئة المؤمنة، وجهادها المرير، واستنفادها لجميع الأسباب المتاحة أمامها، مع يقينها بأن هذا كله لا يشكل سوى ستارا يستدعي قدر الله بالنصر والتمكين، ولو تعلقت قلوب الفئة المؤمنة بهذا الستار ولو يسيرا لتأخر الفرج والنصر حتى يخلص تعلقها بالله وحده.." (١)

"فقام العبد العاصي، فنظر ذات اليمين وذات الشمال، فلم ير أحدا خرج، فعلم أنه المطلوب، فقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق افتضحت على رءوس بني إسرائيل، وإن قعدت معهم منعوا لأجلي، فأدخل رأسه في ثيابه نادما على فعاله، وقال: إلهي وسيدي، عصيتك أربعين سنة وأمهلتني وقد أتيتك طائعا فاقبلني، فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القرب، فقال موسى: إلهي وسيدي، بماذا سقينا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال: يا موسى، سقيتكم بالذي به منعتكم.فقال موسى: إلهي أرني هذا العبد الطائع. فقال: يا موسى إني لم أفضحه وهو يعصيني، أأفضحه وهو يطيعني؟! (١).تاسعا: خطابه الودودالذي يخاطبك بهالله عز وجل يملك كل شيء في هذه الأرض التي نسكنها، والسماء التي تراها أعيننا ﴿لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾ [المائدة: ١٢٠].وكل المخلوقات التي نراها من جبال وأنهار وبحار وأشجار ورمال وأحجار ودواب و ...كل هذا خاضع لله عز وجل ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد: ١٥].وخضوع **الكون كله لله عز** وجل خضوع سرمدي يغلفه الحمد لإتاحته سبحانه الفرصة للوجود من العدم، واستمرار بقائه وحفظه، ويغلفه كذلك الإجلال لعظمته، والرهبة من جبروته وسلطانه ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾ [الرعد: ١٣].ومن مظاهر الإجلال والرهبة والخضوع لله عز وجل عبودية الملائكة له سبحانه، فهناك بعضهم في حالة من الركوع منذ أن خلقه الله عز وجل، ومنهم من هو في حالة السجود له سبحانه منذ أن خلقهم ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون – يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].يقول صلى الله عليه وسلم: «إن لله ملائكة في السماء قياما إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة إلا وقعت على ملك يسبح، ولله ملائكة سجدوا منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رءوسهم، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوفا لم يتفرقوا عن مقامهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم عز وجل، فينظرون إليه تبارك وتعالى، فقالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك» (٢).من أنت؟هذا الإله العظيم بعظمته وجبروته، بجلاله وكماله، بعزه وسلطانه كيف يخاطبك أنت؟! ومن أنت؟! أنت ذرة يسيرة في ملكه لا تساوي شيئا بجوار جبل من الجبال أو بحر من البحار، بل إن الأرض كلها بمن عليها بالنسبة لمملكته لا تساوي مقدار حبة رمل من صحراء شاسعة لا حدود لها.وبالإضافة إلى ذلك

---

(١) صبرا آل ياسر مجدي الهلالي ص/٨

فلا تنس أن ربك هو الذي أوجدك من العدم، فقبل شهور من ولادتك لم تكن شيئا مذكورا.وتذكر أن حياتك كلها متوقفة على إمداداته، ولو توقفت تلك الإمدادات لانتهت حياتك.ما المتوقع أن يكون خطاب العزيز للذليل، والغني للفقير، والقوي للضعيف، والعظيم للحقير، والكبير للصغير، والمعطي للآخذ، والقادر للعاجز.أليس من المتوقع أن يكون الخطاب الموجه إلينا يتناسب مع صفاته سبحانه وصفاتنا؟أليس من المتوقع من إله عظيم له هذا الملك والجلال والكمال أن يكون خطابه عبارة عن تعريف بمهمتنا مع بيان بالأوامر المطلوبة منا وكفى؟!ولكنه ليس كذلك.إنه خطاب عجيب يقطر ودا وحبا. ــــــــــــــــــ(١) كتاب التوابين لابن قدامة المقدسي ٦٩، ٧٠.(٢) رواه البيهقي في السنن والخطيب وابن عساكر، انظر كنز العمال (٢٩٨٣٦).." [١]

"طلب منهم إحضار ما تبقى عندهم من ماء، ثم وضع فيه أصابعه الشريفة، فنبع من بينها الماء ليشرب الجميع ويتوضأ (١).فهنا استنفد صلى الله عليه وسلم الأسباب الموجودة، وشكل الماء القليل «الستار» الذي تنزل من خلاله المدد الإلهي.فعلينا- إذن- أن نجتهد في الأخذ بالأسباب المتاحة أمامنا، مع يقيننا بأنها لا تفعل شيئا بذاتها، فالفاعل هو الله، وإنما نأخذ بها لأننا مأمورون بذلك.التوكل وإنجاح الأسباب:ويؤكد على هذا المعني محمد عبد الله دراز- رحمه الله- في تعليقه على اتخاذه صلى الله عليه وسلم الزاد وهو ذاهب للتعبد في غار حراء فيقول: وفي هذا بيان للسنة النبوية في اتخاذ الزاد والعمل بالأسباب، وأن التوكل على الله ليس في ترك الأسباب التي وضعها الله، بل التوكل هو تفويض الأمر إلى الله في إنجاح هذه الأسباب، لأنها لا نجح لها من طبيعتها، وإنما نجحها بتوفيقه وتيسيره، لا رب غيره (٢).فالمؤمن يجمع بين الأمرين -كما يقول ابن القيم- يجرد عزمه للقيام بالأسباب حرصا واجتهادا، ويفرغ قلبه من الاعتماد عليها، والركون إليها، تجريدا للتوكل، واعتمادا على الله وحده، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين هذين الأصلين في الحديث الصحيح حيث يقول: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» فأمر صلى الله عليه وسلم المؤمن بالحرص على الأسباب، والاستعانة بالمسبب، ونهاه عن العجز، وهو نوعان: تقصير في الأسباب، وعدم الحرص عليها، وتقصير في الاستعانة بالله، وترك تجريدها (٣).وخلاصة القول أن الذي يدير الكون ويتعاهده ويتابعه هو الله وحده لا شريك له، وأنه سبحانه هو الذي أمرنا باتخاذ الأسباب دون الركون إليها أو التعلق بها.الإمداد على قدر الاستعدادالله عز وجل هو رب كل شيء ومليكه، ومدبر أمره .. هذه هي الحقيقة التي يقوم عليها الوجود كله.أما الإنسان- أي إنسان- فهو مخلوق من مخلوقات الله، حياته كلها متعلقة بإمدادات ربه إليه، ولو تركه لحظة واحدة لتوقف فيه كل شيء.والإنسان إذ يعيش في الحياة بفضل إمدادات ربه؛ فإنه- يقينا- لا يقدر على فعل أي شيء- مهما صغر- إلا إذا أذن له الله بفعله، وفتح له خزائنه.لذلك كان من الضروري أن نقدم المشيئة الإلهية عند العزم على فعل أي شيء.نقدمها ونحن على يقين بأن **الأمر كله لله** ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا - إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤].ولئن كان الله عز وجل قد خاطب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم- وهو سيد البشر- قائلا: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فماذا عن بقية البشر؟؟هل يمكن أن يكون لأحد منهم صلاحية أو قوة ذاتية في هذا الكون؟! ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله﴾ [آل

---

(١) كيف نحب الله ونشتاق إليه مجدي الهلالي ص/٤٧

عمران: ١٥٤].فالله عز وجل هو خالق كل شيء، وهو ربه يمده بما يحتاجه، وما الإنسان إلا مخلوق صغير ضئيل في هذا الكون الرحيب، لا يمكنه- بمفرده- أن ينفذ إرادته، فإرادته لا تنفذ إلا من خلال موافقة الله على إنفاذها، ومن ثم إمداده بما يظهرها .. من هنا ندرك بعضا من معاني قوله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان: ٣٠].وقوله: ﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ [المدثر: ٥٦]. ______________(١) حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وغيره.(٢) كنوز مختارة من السنة ص ١٦ لمحمد عبد الله دراز، دار القلم- الكويت.(٣) تهذيب مدارج السالكين ص ٦٤٠.." (١)

"أنا ضعيف وظروفي متشابكة:فإن قلت: ولكني ضعيف لا أصلح لما قصدت، ذكرتك بما تضمنته الصفحات السابقة بأن الأمر كله لله، وأن القوة والقدرة والعلم والإحاطة والخلق والإمداد والتدبير بيده سبحانه، وكل ما يريده منا هو صدق العزم على تغيير أنفسنا، وتغيير أمتنا إلى الوضع الذي يرضيه.ويؤكد ابن عطاء في حكمه المشهورة على هذا المعنى فيقول: «من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ [الكهف: ٤٥].ويعلق ابن عباد النفري على هذه الحكمة فيقول: ومن أغرب ما رأيته في هذا المعنى ما رواه عبد الصمد بن مغفل عن عمه وهب بن منبه أن رجلا قتل نفسا فجاء إلى سائح من سائحي بني إسرائيل فسأله عن ذلك وهل له توبة؟ فرفع له السائح من الأرض عرجونا (١) أبيض قديما حائلا، ثم قال له: إذا اخضر هذا العرجون قبلت توبتك، وأراد السائح بذلك أن يؤيسه من التوبة لعظم ذنبه.فأخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم، فتاب وجعل يعبد الله زمانا ويدعو حتى اخضر ذلك العرجون بإذن الله وقدرته (٢).فالأمر- إذن- عندي وعندك، فالله عز وجل يريد منا الحرص والتصميم والعزم الأكيد أن نكون من هؤلاء الرجال ... أن نكون ربانيين، متواضعين، وأن نكون على استعداد لبذل كل ما نملك من أجل تبليغ دعوته، وتغيير وضع الأمة البائس، فإن رأى- سبحانه- منا ذلك، فيقينا سيفتح لنا من خزائنه ما يصل بنا إلى ما عزمنا عليه؛ ألم يقل سبحانه: ﴿فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا – ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما﴾ [الفتح: ١٨، ١٩].واعلم- أخي- بأن الحرص والتصميم والعزم الأكيد يمكن أن يتوافر في أي شخص- إن أراد- بغض النظر عن عمره، أو جنسه، أو صحته، أو جاهه، أو مقدار ما يمتلك .. معنى ذلك أن قولك بأنك ضعيف وظروفك الحياتية متشابكة، ليس له أي علاقة بما نتحدث عنه، فكل ما هو مطلوب مني ومنك تصميم جازم وعزيمة وقادة تهيمن علينا، وهذا في متناول أيدينا جميعا إن أردنا.الخطوة الأولى للنجاح:وبعد اتخاذك لهذا القرار واستشعارك بأنك ستكون من أولئك الرجال الذين سينقذون الأمة- بإذن الله-: عليك أن تطلب من الله هذا الأمر .. أن تنطرح بين يديه سبحانه وتلح عليه إلحاحا شديدا بأن تكون ممن يصنع بهم مجد هذه الأمة، ولا تقطع إلحاحك وتضرعك إلى ربك ما حييت، فلقد أخبرنا الله عز وجل بأن الخطوة الأولى لبلوغ الهدف هي العزم الأكيد لبلوغه ﴿فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم﴾ [محمد: ٢١].والخطوة التي تليها مباشرة هي التوكل على الله عز وجل، والاستعانة الصادقة به في بلوغ الهدف: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ [آل عمران: ١٥٩].وقد جمع الأمرين قوله صلى الله عليه وسلم: « ..

---

(١) عودة الروح ويقظة الإيمان مجدي الهلالي ص/١٠

احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز .. » (٣).واقترب الوعد الحق:وتأكد- أخي- أن الله عز وجل يحرك أحداث هذا الكون في اتجاه التمكين لهذا الدين وإن بدت الأمور على عكس ذلك .. وكيف لا وقد وعد سبحانه بأنه سيتم نشر نوره على العالمين: ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ [الصف: ٨]. ______________(١) العرجون هو عذق النخل إذا يبس واعوج.(٢) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية لابن عباد النفري ص ٣١٦ - مكتبة الإيمان القاهرة.(٣) رواه مسلم.." (١)

"من مظاهر نجاح الحرب الفكرية:لعلك -أخي القارئ- تذكر ما حدث منذ قرابة العامين عندما تم الإعلان عن نية امرأة مسلمة القيام بإلقاء خطبة الجمعة وإمامة المسلمين من الرجال والنساء في الولايات المتحدة الأمريكية وما صاحب ذلك من ضجة إعلامية واستنكار في أوساط العالم الإسلامي، وبالفعل قامت هذا المرأة بإلقاء خطبة الجمعة، ونقلت لنا الكاميرات صور للرجال والنساء ينصتون إليها وهم جلوس بجوار بعضهم البعض.ومنذ بضعة أسابيع (في أواخر عام ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م) طالعتنا الصحف بصور فوتوغرافية جديدة لنفس المرأة وهي تخطب الجمعة وتؤم المصلين من الرجال والنساء في بلدة من بلدان أوربا.والجديد في هذه المرة عدم حدوث تفاعل مع الحدث، أو استنكار له من قبل العلماء كما حدث في المرة الأولى، لتنجح الحرب الفكرية في هذه الجولة، وتبدأ العقول المسلمة في قبول فكرة أن الإسلام لا يمانع من إمامة المرأة للرجال، والاختلاط بين الجنسين في الصلاة، ومن ثم في غيرها.يا أهل المدينة: لا مدينة لكم:في بداية معركة اليمامة والتي كانت بين جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه وبين جيش المرتدين بقيادة مسيلمة الكذاب حدثت هزيمة للجيش الإسلامي، واستشهد العديد من المسلمين، فاستشعر الصحابة الخطر المحدق بالإسلام لو انتصر مسيلمة، فبدأوا حملة استنفار ضخمة لشحذ الهمم، وبذل أقصى ما يمكن بذله من جهد، وصعد البراء بن مالك رضي الله عنه إلى مكان مرتفع وصرخ في المسلمين قائلا: «يا أهل المدينة: لا مدينة لكم، وإنما هو الله وحده والجنة» (١).فكان لهذا النداء الصادق أثره الإيجابي في زيادة شعور المسلمين بالخطر، وما تبع ذلك من استنفار لكل طاقاتهم في القتال مع عظيم توكلهم على الله عز وجل، فكان النصر المبين بإذن الله.وهذا هو المعنى الذي ترمي إليه هذه الأسطر .. أن نستشعر الخطر المحدق بالإسلام ... ولا يخطئ من يقول بأن الوضع الذي تعيشه الأمة الآن أشد خطرا من الوضع الذي عايشه المسلمون في بداية معركة اليمامة.«إن الأمة الإسلامية بأكملها تواجه حربا فكرية بدأت وتم حشد الأنصار لها، والمراكز الفكرية في الغرب تقوم بحشد الآراء والتوجهات والموارد من أجل ذلك، فلابد أن يكون رد الفعل من قبل الأمة بجميع فئاتها متناسبا مع هذا الخطر الشديد» (٢).ومع ذلك، فإننا نوقن بأن هذا الخطر الشديد يمكن التصدي له، ودحره إذا ما صح منا العزم، وازداد التشمير لإيقاظ الأمة وبث الروح فيها، وكيف لا، والأمر كله لله، وهو وحده الذي يتولى تسيير شئون هذا الكون؟ فإذا ما رأى منا الصدق والحرص والعزيمة الوقادة، والاستعداد التام لبذل غاية الجهد من أجل نصرة دينه فإنه سبحانه سيدفع عنا هذه الهجمة الشرسة، ولعل ما حدث في غزوة الأحزاب خير دليل على ذلك: "ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا" [الأحزاب: ٢٥].* * * ______________(١) الإصابة في تمييز الصحابة

---

(١) عودة الروح ويقظة الإيمان مجدي الهلالي ص/٢١

لابن حجر العسقلاني ١/ ٤١٣.(٢) من مقال المفهوم الأمريكي للاعتدال الإسلامي د. باسم خفاجي مجلة البيان عدد (٢٣٦).." [1]

"خطر الاستبدالومن الأخطار التي ينبغي أن تقض مضاجع الدعاة والعاملين للإسلام، وتجعلهم في حالة دائمة من الاستنفار: خطر الاستبدال ..ولكي نتعرف على هذا الخطر، فإن من المناسب التذكير بمكانة الأمة الإسلامية بالنسبة للبشرية، ونقطة البداية في هذه المسألة تبدأ بالتذكير بأن الله عز وجل يريد الخير للناس جميعا، ولا يرضى لهم الكفر، ومراده دخولهم جميعا الجنة: "والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه" [البقرة: ٢٢١].ومن دلائل رحمة الله العظيمة بالبشر جميعا تلك الرسالات المتتالية التي أرسلها إليهم والتي تبشرهم بالجنة، وتخوفهم من النار، وترسم لهم طريق الهداية إليه- سبحانه- وإلى جنته.ولقد اصطفى الله عز وجل أمة الإسلام لكي تقوم بمهمة تبليغ رسالته الأخيرة للبشرية جمعاء: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس" [البقرة: ١٤٣].ولأن القرآن هو رسالته الأخيرة، لذلك فهو سبحانه لن يستبدل الأمة الإسلامية بأمة أخرى في مهمة هداية البشرية وإيصال رحمته للعالمين كما حدث من قبل مع بني إسرائيل حينما استبدل بهم أمة الإسلام بعد خيانتهم للأمانة.هل قامت الأمة الإسلامية بمهمة البلاغ؟!قامت الأجيال الأولى للأمة بأداء مهمتها خير قيام، وتحركوا في كل مكان لتبليغ الرسالة، ثم حدث ما حدث بعد ذلك من ضعف، وتكالب على الدنيا، وصراع من أجل الرئاسة فيها، فانتكست الأمة، ومن ثم تركت وظيفتها ومهمتها الأساسية في هداية البشرية.وكل يوم جديد يموت الكثيرون والكثيرون على الضلالة لأنهم- من جانبهم- لم يبحثوا عن الطريق الصحيح، وعن غاية وجودهم في الدنيا، ومن جانب آخر فإن المكلفين بتبليغهم رسالة الله لم يقوموا بذلك، وخانوا الأمانة، أو قصروا في أدائها.من هنا ندرك بعضا من حكم الابتلاءات والعقوبات المتتالية التي أصابت الأمة؛ لأنها أولا: أهملت الرسالة ولم تعمل بما تضمنته، ولأن الأمة أيضا خانت أمانة بلاغ الرسالة الذي هو المحور الثاني لوجودها .. قال صلى الله عليه وسلم: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد: سلط الله عليكم ذلا، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» (١).طليعة الإنقاذ:ومع العقوبات المتتالية للأمة إلا أنها لم تفق من غفلتها، ولم تعد لسيرتها الأولى.ولأن الله عز وجل قد كتب ألا يستبدل أحدا بهذه الأمة؛ كانت رحمته بها وبالبشرية أن أيقظ مجموعة من الأمة لتقيم الرسالة في ذواتها أولا، ثم تتولى بعد ذلك مهمة إيقاظ الأمة وإقامة الدين بشموله فيها، ليقوم مجموع الأمة- تبعا لذلك- بأداء وظيفتها الرئيسة، والغافلة عنها، ألا وهي: إنقاذ البشرية، وإسعادها بالإسلام: "ويكون الدين كله لله" [الأنفال: ٣٩]. ولقد تمثلت هذه الرحمة الإلهية في الدعاة إلى الله والعاملين للإسلام.فالعاملون للإسلام يشكلون (طليعة الإنقاذ) لأنفسهم أولا، ثم لأمتهم ثانيا، ثم للبشرية جمعاء ثالثا.الغنم بالغرمولئن كان الله عز وجل قد شرف الدعاة والعاملين للإسلام باختيارهم لأداء هذه الوظيفة العظيمة، إلا أن هذا التشريف والاختيار مرتبط، ومرتهن بمدي التزامهم بها، فإن لم يفعلوا فسيرسل لهم الله عز وجل من الآيات ما يذكرهم بأهمية بذل الوسع والطاقة في سبيل إعلاء رايته، وذلك من خلال المحن والابتلاءات المتنوعة.فإن لم يتذكروا بعد سلسلة الابتلاءات فإن سنة الله الصارمة هي الاستبدال كما قال تعالى: "وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" [محمد: ٣٨].

(١) عودة الروح ويقظة الإيمان مجدي الهلالي ص/٢٧

ـــــــــــــــ(١) صحيح، رواه أبو داود والإمام أحمد والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٢٣).." [(١)]

"للدعاء شروط عديدة لا بد من توفرها؛ كي يكون الدعاء مستجابا مقبولا عند الله، وهاك شروط الدعاء جملة وتفصيلا:[*] (أولا شروط الدعاء جملة :(١) الإخلاص لله تعالى:(٢) متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم،(٣) أن يكون الداعي عالما بأن الله ــ وحده ــ هو القادر على إجابة دعائه:(٤) أن يتوسل إلى الله بأحد أنواع التوسل المشروعة:(٥) تجنب الاستعجال:(٦) الدعاء بالخير:(٧) حسن الظن بالله ــ عز وجل ــ:(٨) حضور القلب:(٩) الدعاء بما شرع:(١) إطابة المأكل:(١١) تجنب الاعتداء في الدعاء:(١٢) ألا يشغل الدعاء عن أمر واجب، أو فريضة حاضرة:(١٣) العزم والجزم والجد في الدعاء:[*] (ثانيا شروط الدعاء تفصيلا :(١) الإخلاص لله تعالى:والإخلاص: هو تصفية الدعاء والعمل من كل ما يشوبه، وصرف **ذلك كله لله وحده**، و هو أن تبتغي بعملك وجه الله تعالى، فإن قصدت بعملك غيره تعالى لم يقبله فهو سبحان، لا شرك فيه، ولا رياء ولا سمعة، ولا طلبا للعرض الزائل، ولا تصنعا وإنما يرجو العبد ثواب الله ويخشى عقابه، ويطمع في رضاه.قال تعالى: " فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " [غافر ١٤]، وقال تعالى: " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء " [البينة /٥].قال تعالى: (فمن كان يرجو لقآء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) [الكهف / ١١٠](حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: قال الله تعالى: " أنا أغني الشركاء عن الشرك، ومن عمل عملا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه ".فلا يدعو إلا الله: فلا يجوز له أن يسأل إلا الله، أو أن يدعو غيره معه؛ لأن هذا شرك بالله تعالى.قال تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) [الجن / ١٨](حديث ابن عباس في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: يا غلام! إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله و إذا استعنت فاستعن بالله و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك و لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام و جفت الصحف.الشاهد: قوله – صلى الله عليه وسلم –[إذا سألت فاسأل الله] وهذا هو التوحيد العملي.." [(٢)]

"فالاسترجاع ملجأ وملاذ لذوي المصائب، ومعناه باختصار: إن لله توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وإن إليه راجعون إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا.إذا فالأمر كله لله، ولا ملجأ منه إلا إليه، والله عز وجل يقول: (وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) [البقرة :١٥٥ ١٥٧][*] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:قال عمر: نعم العدلان، ونعمت العلاوة، [أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة] فهذان العدلان.و [أولئك هم المهتدون] فهذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين، وهي زيادة في الحلم، فكذلك هؤلاء، أعطوا ثيابهم، وزيدوا أيضا. (١)(١١) في حال دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب:(حديث أبي الدرداء الثابت في

---

(١) عودة الروح ويقظة الإيمان مجدي الهلالي ص/٢٨

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٧٠/٧

صحيح مسلم) النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل.فلا تنسنا أخي الحبيب بدعوة منك في ظهر الغيب، واعلم بأن الله جل وعلا سيستجيب منك هذه الدعوة وسيعطيك مثلها بموعود النبي صلى الله عليه وسلم.(١٢) دعاء الناس بعد وفاة الميت:(حديث أم سلمة الثابت في صحيح مسلم) قالت دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبة في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره ونور له فيه.(١٣) دعوة المضطر:فالله ــ تبارك وتعالى ــ يجيب المضطر إذا دعاه ولو كان مشركا، (فكيف إذا كان مسلما عاصيا مفرطا في جنب الله؟(بل كيف إذا كان مؤمنا برا تقيا؟قال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) [النمل / ٦٢][*] قال ابن كثير في تفسير الآية السابقة:أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه؟. (٢)[*] قال البغوي: المضطر: المكروب المجهود. (٣) ـــــــــــــــ(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٨.(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٥٨.(٣) معالم التنزيل للبغوي ٦/ ١٧٣.." [1]

"فكن في دعائك راجيا عفو ربك، طالبا مغفرته، راغبا في جنته ونعيمه، طامعا في عطائه وغناه فهو سبحانه يستحي أن يرد عبده خائبا إذا سأله.(ولكنها لا تدل أحيانا على ذلك؛ فقد تكون استدراجا، أو لحكمة كما قال تعالى: (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا * أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا * قال تعالى: (كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا * ونرثه ما يقول ويأتينا فردا)[مريم ٧٧: ٨٠](ومن قبل استجاب الله تعالى دعاء الشيطان.قال تعالى: (قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم) [الحجر ٣٦: ٣٨]فكونه ــ عز وجل ــ أجاب إبليس سؤله، وأنظره إلى يوم القيامة ــ ليس ذلك إكراما لإبليس، بل إهانة له؛ ليزداد إثما فتعظم عقوبته، ويتضاعف شقاؤه وعذابه، إضافة إلى ذلك فإن الله ــ عز وجل ــ جعله محكا يتميز به الخبيث من الطيب، وما دام أن الخلق مستمر إلى يوم القيامة ــ فإن هذا يقتضي بقاءه ببقاء خلق البشر والله أعلم. (١)(كذلك عدم استجابة الدعاء لا تدل على فساد الداعي في كل الأحوال؛ فهناك سؤال منعه الله نبينا محمدا"قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ:=سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها. (٢)فالله ــ عز وجل ــ منع نبيه محمدا"الدعوة الثالثة، وليس ذلك دليلا على أن الرسول"لا مكانة له عند ربه، أو أنه غير مستجاب الدعوة، بل هو سيد البشر، ودعاؤه مستجاب، ولكن الله ــ عز وجل ــ منعه تلك الدعوة لحكم عظيمة؛ منها أن يعلم أن الرسول"بشر، ليس له من الأمر شيء، وأن الأمر كله لله، بيده الضر والنفع، والعطاء والنفع. ـــــــــــــــ(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم، ص٣٦٤ــ٤١٢ و ٤٤٥ــ٤٦٠، وطريق الهجرتين لابن القيم، ص١٨١ــ١٨٣، ومقدمة مفتاح دار السعادة، ص٣ فما بعدها، والفوائد لابن القيم،

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٧١/٧

ص١٣٦_١٤٠، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص٢٥٢_٢٥٦، والذكر والدعاء للقحطاني، ص١١٩_١٢١.(
٢) رواه مسلم (٢٨٩٠) الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.." [(١)]

"(وسئل رويم عن الفقر فقال: إرسال النفس في أحكام الله وهذا إنما يحمد في إرسالها في الأحكام الدينية والقدرية التي لا يؤمر بمدافعتها والتحرز منها.(وسئل أبو حفص: بم يقدم الفقير على ربه فقال: ما للفقير شيء يقدم به على ربه سوى فقره وحقيقة الفقر وكماله كما قال بعضهم وقد سئل: متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال: إذا لم يبق عليه بقية منه فقيل له: وكيف ذاك فقال: إذا كان له فليس له وإذا لم يكن له فهو له، وهذه من أحسن العبارات عن معنى الفقر الذي يشير إليه القوم وهو «أن يصير كله لله عز وجل لا يبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهواه» فمتى بقي عليه شيء من أحكام نفسه ففقره مدخول ثم فسر ذلك بقوله: إذا كان له فليس له أي إذا كان لنفسه فليس لله وإذا لم يكن لنفسه فهو لله فحقيقة الفقر أن لا تكون لنفسك ولا يكون لها منك شيء بحيث تكون كلك لله وإذا كنت لنفسك فثم ملك واستغناء مناف للفقر وهذا الفقر الذي يشيرون إليه: لا تنافيه الجدة ولا الأملاك فقد كان رسل الله وأنبياؤه في ذروته مع جدتهم وملكهم كإبراهيم الخليل كان أبا الضيفان وكانت له الأموال والمواشي وكذلك كان سليمان وداود عليهما السلام وكذلك كان نبينا كان كما قال الله تعالى: ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾ [الضحى: ٨] فكانوا أغنياء في فقرهم فقراء في غناهم «فالفقر الحقيقي: دوام الافتقار إلى الله في كل حال» وأن يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة إلى الله تعالى من كل وجه فالفقر ذاتي للعبد وإنما يتجدد له لشهوده ووجوده حالا وإلا فهو حقيقة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه:«والفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي»(أقوال السلف في الفقر:((قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين:وله آثار وعلامات وموجبات وأسباب أكثر إشارات القوم إليها كقول بعضهم: الفقير لا تسبق همته خطوته يريد: أنه ابن حاله ووقته فهمته مقصورة على وقته لاتتعداه (وقيل: أركان الفقر أربعة: علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنسه.(وقال الشبلي: حقيقة الفقر أن لا يستغني بشيء دون الله.(وسئل سهل بن عبد الله: متى يستريح الفقير فقال: إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه.(وقال أبو حفص: أحسن ما يتوسل به العبد إلى الله: دوام الافتقار إليه على جميع الأحوال وملازمة السنة في جميع الأفعال وطلب القوت من وجه حلال.." [(٢)]

"للدعاء شروط عديدة لا بد من توفرها؛ كي يكون الدعاء مستجابا مقبولا عند الله، وهاك شروط الدعاء جملة وتفصيلا:[*] (أولا شروط الدعاء جملة :(١) الإخلاص لله تعالى:(٢) متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم،(٣) أن يكون الداعي عالما بأن الله _ وحده _ هو القادر على إجابة دعائه:(٤) أن يتوسل إلى الله بأحد أنواع التوسل المشروعة:(٥) تجنب الاستعجال:(٦) الدعاء بالخير:(٧) حسن الظن بالله _ عز وجل _:(٨) حضور القلب:(٩) الدعاء بما شرع:(١) إطابة المأكل:(١١) تجنب الاعتداء في الدعاء:(١٢) ألا يشغل الدعاء عن أمر واجب، أو فريضة حاضرة:(١٣) العزم والجزم والجد في الدعاء:[*] (ثانيا شروط الدعاء تفصيلا :(١) الإخلاص لله تعالى:والإخلاص: هو تصفية الدعاء والعمل

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٠٩/٧

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٣٢/٧

من كل ما يشوبه، وصرف **ذلك كله لله وحده**، و هو أن تبتغي بعملك وجه الله تعالى، فإن قصدت بعملك غيره تعالى لم يقبله فهو سبحان، لا شرك فيه، ولا رياء ولا سمعة، ولا طلبا للعرض الزائل، ولا تصنعا وإنما يرجو العبد ثواب الله ويخشى عقابه، ويطمع في رضاه.قال تعالى: " فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " [غافر ١٤]، وقال تعالى: " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء " [البينة /٥].قال تعالى: (فمن كان يرجو لقآء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) [الكهف / ١١٠](حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: قال الله تعالى: " أنا أغني الشركاء عن الشرك، ومن عمل عملا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه ".فلا يدعو إلا الله: فلا يجوز له أن يسأل إلا الله، أو أن يدعو غيره معه؛ لأن هذا شرك بالله تعالى.قال تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) [الجن / ١٨](حديث ابن عباس في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: يا غلام! إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله و إذا استعنت فاستعن بالله و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك و لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام و جفت الصحف.الشاهد: قوله – صلى الله عليه وسلم –[إذا سألت فاسأل الله] وهذا هو التوحيد العملي.." [(١)]

"فالاسترجاع ملجأ وملاذ لذوي المصائب، ومعناه باختصار: إن لله توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وإن إليه راجعون إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا.إذا فالأمر كله لله، ولا ملجأ منه إلا إليه، والله عز وجل يقول: (وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) [البقرة ١٥٥: ١٥٧][*] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:قال عمر: نعم العدلان، ونعمت العلاوة، [أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة] فهذان العدلان.و [أولئك هم المهتدون] فهذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين، وهي زيادة في الحلم، فكذلك هؤلاء، أعطوا ثيابهم، وزيدوا أيضا. (١)(١١) في حال دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب:(حديث أبي الدرداء الثابت في صحيح مسلم) النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل.فلا تنسنا أخي الحبيب بدعوة منك في ظهر الغيب، واعلم بأن الله جل وعلا سيستجيب منك هذه الدعوة وسيعطيك مثلها بموعود النبي صلى الله عليه وسلم.(١٢) دعاء الناس بعد وفاة الميت:(حديث أم سلمة الثابت في صحيح مسلم) قالت دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبة في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره ونور له فيه.(١٣) دعوة المضطر:فالله ــ تبارك وتعالى ــ يجيب المضطر إذا دعاه ولو كان مشركا،(فكيف إذا كان مسلما عاصيا مفرطا في جنب الله؟(بل كيف إذا كان مؤمنا برا تقيا؟قال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) [النمل / ٦٢][*] قال ابن كثير في تفسير الآية السابقة:أي من هو الذي لا يلجأ

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٧٨/٨

المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه؟. (٢)[*] قال البغوي: المضطر: المكروب المجهود. (٣) ــــــــــــــــ(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٨.(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٥٨.(٣) معالم التنزيل للبغوي ٦/ ١٧٣.." [1]

"فكن في دعائك راجيا عفو ربك، طالبا مغفرته، راغبا في جنته ونعيمه، طامعا في عطائه وغناه فهو سبحانه يستحي أن يرد عبده خائبا إذا سأله.(ولكنها لا تدل أحيانا على ذلك؛ فقد تكون استدراجا، أو لحكمة كما قال تعالى: (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا * أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا * قال تعالى: (كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا * ونرثه ما يقول ويأتينا فردا)[مريم ٧٧: ٨٠](ومن قبل استجاب الله تعالى دعاء الشيطان.قال تعالى: (قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم) [الحجر ٣٦: ٣٨]فكونه ــ عز وجل ــ أجاب إبليس سؤله، وأنظره إلى يوم القيامة ــ ليس ذلك إكراما لإبليس، بل إهانة له؛ ليزداد إثما فتعظم عقوبته، ويتضاعف شقاؤه وعذابه، إضافة إلى ذلك فإن الله ــ عز وجل ــ جعله محكا يتميز به الخبيث من الطيب، وما دام أن الخلق مستمر إلى يوم القيامة ــ فإن هذا يقتضي بقاءه ببقاء خلق البشر والله أعلم. (١)(كذلك عدم استجابة الدعاء لا تدل على فساد الداعي في كل الأحوال؛ فهناك سؤال منعه الله نبينا محمدا"قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ:=سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها. (٢)فالله ــ عز وجل ــ منع نبيه محمدا"الدعوة الثالثة، وليس ذلك دليلا على أن الرسول"لا مكانة له عند ربه، أو أنه غير مستجاب الدعوة، بل هو سيد البشر، ودعاؤه مستجاب، ولكن الله ــ عز وجل ــ منعه تلك الدعوة لحكم عظيمة؛ منها أن يعلم أن الرسول"بشر، ليس له من الأمر شيء، وأن الأمر كله لله، بيده الضر والنفع، والعطاء والنفع. ــــــــــــــــ(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم، ص٣٦٤ــ٤١٢ و ٤٤٥ــ٤٦٠، وطريق الهجرتين لابن القيم، ص١٨١ــ١٨٣، ومقدمة مفتاح دار السعادة، ص٣ فما بعدها، والفوائد لابن القيم، ص١٣٦ــ١٤٠، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص٢٥٢ــ٢٥٦، والذكر والدعاء للقحطاني، ص١١٩ــ١٢١.(٢) رواه مسلم (٢٨٩٠) الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.." [2]

"١٣ - شروط الدعاء وموانع الإجابةأتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري بما صنع الدعاءسهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أجل وللأجل انقضاءإن الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به، والساعد ساعدا قويا، والمانع مفقودا، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه، أو كان ثم مانع من الإجابة، لم يحصل التأثير.ﷺ شروط الدعاء:الشرط الأول: الإخلاص:وهو تصفية الدعاء والعمل من كل ما يشوبه، وصرف **ذلك كله لله وحده**، لا شرك فيه، ولا رياء ولا سمعة، ولا طلبا للعرض الزائل، ولا تصنعا وإنما يرجو العبد ثواب الله ويخشى عقابه،

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٨٥/٨

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٢٤/٨

ويطمع في رضاه.وقد أمر الله تعالى بالإخلاص في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾ (الأعراف:٢٩).وقال: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾ (غافر:١٤).وقال تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونآ إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ (الزمر:٣).وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كنت خلف رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يوما فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله،." (١)

"لهذا الجهاد وأعطى أعداءه مددا وعدة وأعوانا وسلاحا وبلا أحد الفريقين بالآخر وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلو أخبارهم ويمتحن من يتولاه ويتولى رسله ممن يتولى الشيطان وحزبه كما قال تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا﴾ (الفرقان: ٢٠)، وقال تعالى: ﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ (محمد: ٤)، وقال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ (محمد: ٣١).عليه السلام معنى وجاهدوا في الله حق جهاده:وأمر الله – عز وجل – عباده المؤمنين أن يجاهدوا فيه حق جهاده كما أمرهم أن يتقوه حق تقاته. قال – عز وجل –: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ (الحج:٧٨) وقال – عز وجل –: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (آل عمران:١٠٢).وكما أن حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر، فحق جهاده أن يجاهد العبد نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله، **فيكون كله لله وبالله** لا لنفسه ولا بنفسه، ويجاهد شيطانه بتكذيب وعده ومعصية أمره وارتكاب نهيه فإنه يعد الأماني ويمني الغرور ويعد الفقر ويأمر بالفحشاء وينهى عن التقى والهدى والعفة والصبر؛ فجاهده بتكذيب وعده ومعصية أمره، فينشأ له من هذين الجهادين قوة وسلطان وعدة يجاهد بها أعداء الله في الخارج بقلبه ولسانه ويده وماله لتكون كلمة الله هي العليا.." (٢)

"واختلفت عبارات السلف في حق الجهاد فقال ابن عباس: هو استفراغ الطاقة فيه وألا يخاف في الله لومة لائم.وقال مقاتل: اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته. وقال عبد الله بن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى.عليه السلام مراتب الجهاد:الجهاد أربع مراتب:جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.فجهاد النفس أربع مراتب أيضا:إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٢٣٨/١

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٥٥٤/١

لله.فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماوات.عليه السلام." (١)

"رآها أبوه؟ إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه: ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب. ولكن في رضى كذلك وفي يقين.﴿يا أبت﴾ في مودة وقربى. فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده. بل لا يفقده أدبه ومودته، ف ﴿يا أبت﴾ فيها تعظيم وتوقير وتكريم لأبيه.﴿افعل ما تؤمر﴾ فهو يحس ما أحسه من قبل قلب أبيه. يحس أن الرؤيا إشارة. وأن الإشارة أمر. وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولا تمحل ولا ارتياب.عليه السلام أدب مع الله – عز وجل –:ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال؛ والاستعانة بربه على ضعفه ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة:﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ ولم يأخذها بطولة. ولم يأخذها شجاعة. ولم يأخذها اندفاعا إلى الخطر دون مبالاة. ولم يظهر لشخصه ظلا ولا حجما ولا وزنا. إنما أرجع **الفضل كله لله –** عز وجل – إن هو أعانه على ما يطلب إليه، وأصبره على ما يراد به: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾.يا للأدب مع الله! ويالروعة الإيمان. ويالنبل الطاعة. ويالعظمة التسليم!﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ مع أن صبره فعله هو ولكن علقه علي مشيئة الله، وهذا دليل علي أن هذا الابن الواعي يفهم قضية القضاء والقدر وأن فعله لن يكون إلا بمشية الله وتوفيقه.﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ ولم يزك نفسه وإنما علقه علي مشيئة الله فهو يرجو أن يكون صابرا وهو أن يصبر علي أمر الله والبلاء والألم المتوقع.ويخطو المشهد خطوة أخرى وراء الحوار والكلام .. يخطو إلى التنفيذ:﴿فلما أسلما﴾ أي: إبراهيم وابنه إسماعيل، جازما بقتل ابنه وثمرة فؤاده، امتثالا لأمر ربه، وخوفا من عقابه، والابن قد وطن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة." (٢)

"٦٦ – دين اسمه العلمانيةالعلمانية SECULARISM ترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين.وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE ، وقد ظهرت العلمانية في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر. أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية.ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيسا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.وتتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة حيث لقيصر سلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة، وهذا واضح فيما ينسبه النصارى إلى السيد المسيح – عليه السلام – من قوله: «اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله».أما

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ١/٥٥٥

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ١/٦١١

الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية **والمسلم كله لله وحياته** كلها لله؛ قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (١٦٢)﴾ (الأنعام: ١٦٢).الأفكار والمعتقدات:- بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلا.- وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.." (١)

"ونعلمهم كذلك كيف يستخرجون نعم الله عليهم من خلال قراءتهم للقرآن كيف يتعرفون عليها من مجريات الحياة وأحداثها اليومية.ضعف الإنسان وعجزه ومدى احتياجه إلى الله عز وجل:فنثبت لهم هذه الحقيقة من خلال مواقف الحياة التي يتعرضون لها، وأننا جميعا بالله لا بأنفسنا، ولا نستطيع أن نستغني عنه سبحانه ولو لطرفة عين.الدنيا دار امتحان والملك لله:فنعلمهم بأن الغنى ليس كرامة، والفقر ليس إهانة، بل كلاهما مواد امتحان، نمتحن فيهما وعلينا بالشكر مع العطاء، والصبر مع المنع، ليترسخ لديهم بأن الغني ليس أفضل من الفقير بغناه، ولا الفقير أقل شأنا من الغني بفقره، فالكل في امتحان، وعلينا كذلك تكرار حقيقة أن الملك كله لله، فلا يوجد لأحد على ظهر الأرض ملك ذاتي ولو مثقال ذرة.التواضع:فنمارس معهم صور التواضع، ونحببهم في الجلوس مع المساكين والأكل معهم ... ونعودهم على قبول الحق من أي إنسان، وخفض الجناح للمؤمنين، والقيام على خدمة الناس ...ربط المدح بتوفيق الله:للتشجيع دور كبير في بناء الشخصية القوية كما سيأتي بيانه، ومع ذلك فعلينا أن نربط عبارات التشجيع بتوفيق الله وفضله، ولا نسرف في مدحهم حتى لا نشعرهم بالاستعلاء على غيرهم، وعند وجود مواهب خاصة لدى بعضهم علينا أن نعوده على المبالغة في الشكر والتواضع لله عز وجل، وعدم الاستطالة بهذه المواهب على أصدقائه ...." (٢)

"[التداوي المشروع والخرافات الباطلة]التداوي المشروع والخرافات الباطلة الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيم الخبير، أحمده سبحانه وهو للحمد أهل، وأشكره وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليما كثيرا.أما بعد: قال الله تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ [يونس: ١٠٧]عباد الله: النفع والضر بيد الله، وليس في استطاعة أي مخلوق أن يمنع الضر إذا أراده الله له، **فالأمر كله لله وبيده**، إذا فلا حاجة إلى الالتجاء إلى غيره، في رفع ضر نزل، أو منعه قبل نزوله، ولا في إيصال الخير أو استمراره، فالله هو المدعو المستعان، المرجو لكشف الشدائد وإزالة المكروهات.أيها المسلمون: الإنسان عرضة للأمراض والأسقام، وقد أمرنا بالتداوي، والأخذ بالأسباب المشروعة في إزالة المرض وتخفيفه، ونهينا عن تعاطي الأسباب التي لم تشرع، ولم يؤذن لنا بالأخذ بها، وهي مع ذلك لا تنفع بل تضر، فتعليق التمائم والخرز على الأولاد والدواب، خوفا من العين تصيبهم، أو المرض يفتك بهم، شرك بالله، واعتماد على غيره، والرسول - صلى الله عليه وسلم -." (٣)

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٢/٤٢٥

(٢) حطم صنمك وكن عند نفسك صغيرا مجدي الهلالي ص/١٩١

(٣) خطب مختارة مجموعة من المؤلفين ص/١٦٠

"﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما – درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما﴾ [النساء: ٩٥ – ٩٦] وقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين وجهاد هؤلاء على أربع مراتب: بالقلب واللسان والمال والنفس، فجهاد الكفار بالمال والسلاح وجهاد المنافقين بالحجة والجدال. وقد شرع الله الجهاد لإعلاء كلمة الله، حتى يعبد الله وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ [الأنفال: ٣٩] وشرع الجهاد لقمع الكفار والمشركين، وكف أذاهم عن المسلمين قال تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ [النساء: ٧٦] قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين، إما بالقلب وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع. وذكر الإمام أحمد «عنه صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له أوصني فقال: أوصيك بتقوى الله فإنها رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض» ، وقال صلى الله عليه وسلم: «ذروة سنام الإسلام الجهاد» ، وقال «ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف» ، وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق» ، وذكر أبو داود عنه: «من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله سبحانه." (١)

"المطلب الثالث: في بيان موجبات الحمد، وأنواعهلا ريب أن **الحمد كله لله رب** العالمين، فإنه سبحانه المحمود على كل شيء، وهو المحمود على ما خلقه وأمر به ونهى عنه، والحمد أوسع الصفات وأعم المدائح وأعظم الثناء، والطرق إلى العلم به في غاية الكثرة؛ لأن جميع أسمائه – تبارك وتعالى – حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله وإحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده ووجد بحمده وظهر بحمده، وكان الغاية منه هي حمده، فحمده سبحانه سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله، فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات وظهور آثاره أمر مشهود بالأبصار والبصائر.وقد نبه سبحانه على شمول حمده لخلقه وأمره بأن حمد نفسه في أول الخلق وآخره، وعند الأمر والشرع، وحمد نفسه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على." (٢)

"الخلق ما يشآء﴾ ١، وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، كما قيل:أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجباولهذا قال تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ ٢، والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه، ومن هذا الحديث: "الحمد لله رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره" ٣، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها" ٤"٥. اهـ كلامه – رحمه الله

---

(١) خطب مختارة مجموعة من المؤلفين ص/٢٩٣

(٢) دراسات في الباقيات الصالحات عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٧٤

-.وبه يتبين أن بين الحمد والشكر عموما وخصوصا من وجه، فيجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابلة نعمة، فهذا يسمى حمدا ويسمى شكرا، وينفرد الحمد فيما إذا أثنى العبد على ربه بذكر أسمائه الحسنى ونعوته العظيمة فهذا يسمى حمدا، ولا يسمى شكرا، وينفرد الشكر فيما إذا استعمل العبد نعمة الله في طاعة الله فهذا يسمى شكرا ولا يسمى حمدا.إن حمد الله هو الثناء على الله بذكر صفاته العظيمة ونعمه العميمة مع حبه وتعظيمه وإجلاله، وهو مختص به – سبحانه – لا يكون إلا له، **فالحمد كله لله رب** العالمين؛ "ولذلك قال – سبحانه –: ﴿الحمد لله﴾ بلام الجنس المفيدة_____________١ سورة: فاطر، الآية: (١) .٢ سورة: سبأ، الآية: (١٣) .٣ رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠/٤٢٤) ، والبيهقي في الآداب (ص:٤٥٩) من طريق قتادة: أن عبد الله ابن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكره.قال البيهقي: "هكذا جاء مرسلا بين قتادة ومن فوقه".٤ صحيح مسلم (رقم:٢٧٣٤) .٥ الفتاوى (١١/١٣٣، ١٣٤) .." [1]

"للاستغراق، فالحمد كله له إما ملكا وإما استحقاقا، فحمده لنفسه استحقاق، وحمد العباد له وحمد بعضهم لبعض ملك له ... فالقائل إذا قال: الحمد لله تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الحمد المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى؛ ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه وهو الحميد المجيد"١.وإذا قيل: الحمد كله لله، فإن هذا له معنيان:أحدهما: أنه محمود على كل شيء، وهو ما يحمد به رسله وأنبياؤه وأتباعهم، فذلك من حمده – تبارك وتعالى –، بل هو المحمود بالقصد الأول وبالذات، وما نالوه من الحمد فإنما نالوه بحمده، فهو المحمود أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.والمعنى الثاني: أن يقال: لك الحمد كله؛ أي: التام الكامل هذا مختص بالله ليس لغيره فيه شركه.قال ابن القيم – رحمه الله – بعد أن ذكر هذين المعنيين: "والتحقيق أن له الحمد بالمعنيين جميعا، فله عموم الحمد وكماله، وهذا من خصائصه – سبحانه –، فهو المحمود على كل حال، وعلى كل شيء أكمل حمد وأعظمه"٢.فالحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله بمجامع حمده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم._____________١ بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٩٢، ٩٣) .٢ طريق الهجرتين (ص:٢٠٦) .." [2]

"لو لم يكن يوسف مخلصا لدعوته لآثر الصمت، ولعاش في السجن حزينا، شاكيا، متأثرا بالآلام التي تلاحقه من إخوته، ومن النسوة، ومن الملك ... ولظل يسائل نفسه ... من أحق بالسجن، أنا أم هؤلاء؟لكنه –عليه السلام– لم يعش هذه الآلام، وإنما أسلم أمره الله، ورضي بقضائه وقدره، وأعلن ذلك لرفقائه في السجن، قائلا ما حكاه الله تعالى: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ١.إن معرفته بالله أسلمته لقدرته سبحانه وتعالى، فالحكم كله له، وعلى الإنسان أن يستسلم لجلاله، ويفنى في عبادته، ويلازم دينه القويم، ومنهجه المستقيم. لقد تحول السجن في حياة يوسف إلى مدرسة

---

(١) دراسات في الباقيات الصالحات عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٩٢

(٢) دراسات في الباقيات الصالحات عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٩٣

متكاملة، أغنته عن الأهل والأصحاب.... وأمدته بالوقت الذي استثمره في التأمل، والطاعة، والعبادة، والدعوة، حيث اشتهر في السجن بالإحسان، والكرم، وحب الخير لرفقائه أجمعين، والإخلاص في أخذهم إلى الله، وتعريفهم بخالقهم، فهو واحد لا شريك له في ألوهيته، وربوبيته، وليس له ند، ولا يصح أبدا أن يتخذ الإنسان مع الله شريكا من هوى النفس، أو من ضلالات الناس.والحكم **والتشريع كله لله فقط**، ولا يجوز مطلقا أن يقوم غيره بهذا الأمر، سواء كان فردا أو جماعة، حتى لا يكون شريكا لله في ألوهيته وحاكميته.______________١ سورة يوسف آية: ٤٠.." (١)

"فقال الرجل: إنك لن تصبر لعدم إحاطتك بما أعلم.قال له: ستجدني إن شاء الله صابرا، ومطيعا ... فقال الخضر: إن أردت أن تتعلم فاتبعني، ولا تسأل عن شيء أبدا، حتى أعرفك بخبره، واتفقا على ذلك ... يقول الله تعالى موضحا هذا الحوار، وهذا الاتفاق: ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا، قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا، فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما، قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا، قال إنك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا، قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا، قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ ١.ويلاحظ أن الله عرف موسى أن هناك من هو أعلم منه، وأن الرجل الأعلم يقر بأن علمه من الله، وأنه إن عرف شيئا فهو يجهل أشياء، وأن الإنسان متصف بالعجز والقصور، والعلم كله لله.وتبين الآيات أن هذا الرجل متصف بالعبودية الخالصة لله، وأن الله أكرمه وأمده بالنعم، وأعطاه علما لدنيا من عنده سبحانه.ويستفيد موسى من تعليم الله، ويقر للرجل بالتبعية ليتعلم منه، ويشترط عليه الرجل، ويحدد له كيفية التلقي، وعدم الاعتراض، وعدم السؤال عن أي جانب لا يفهمه بعقله؛ لأن العقل له منهجه، وطاقته في الفهم، ويوافق موسى على شروط الرجل، ويعلق قبوله بالمشيئة الإلهية؛ لأن الله إذا أراد شيئا قال له كن فيكون.______________١ سورة الكهف الآيات: ٦٢-٧٠.." (٢)

"﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ١.﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ ٢.﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ ٣.﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ ٤.﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ ٥.﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ٦.ودين على هذا النحو، يعد أهله لإقامة الحق والعدل في الأرض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإزالة الطواغيت من الأرض ليكون **الدين كله لله لا** للطواغيت. دين كهذا يحتاج إلى قوة وإلى أقوياء.والقوة معنى شامل، يشمل قوة الأرواح وقوة العقول وقوة النفوس وقوة الأبدان. والإسلام حريص عليها كلها في آن.وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على أبدان أمته أن تكون قوية صحيحة، كما كان حريصا على أرواحهم وعقولهم ونفوسهم. وقد أوصاهم ألا يسرفوا في الطعام، وبين لهم أن المعدة بيت

---

(١) دعوة الرسل عليهم السلام أحمد أحمد غلوش ص/٢٢٧

(٢) دعوة الرسل عليهم السلام أحمد أحمد غلوش ص/٣٤٥

الداء، لتظل أجسامهم بعيدة عن الأمراض. كما أوصاهم أن يتدربوا التدريبات الرياضية العنيفة كالسباحة والرماية وركوب الخيل لتشتد أجسامهم وتقوى، وتكون عدة لهم في الجهاد.ولكن ما الفرق إذن بين الإسلام وبين الدولة الرومانية القديمة أو بينه وبين النازية الحديثة، وقد كانت كلتاهما تدعو إلى القوة والغلبة، وتعد شبابها للقتال؟_____________١ سورة الصف ٢.٩ سورة الأنفال ٣.٣٩ سورة التحريم ٤.٩ سورة التوبة ٥.١٢٣ سورة الأنفال ٦.٦٠ سورة الفتح ٢٩.." (١)

"شريعة الله، ومحرمة ومبتوتة في خارجها، في إطار هذين التوجيهين الربانيين:﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ١.﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ ٢.فالتوجيه الأول يبت كل الصلات التي يراها علم الاجتماع "الجاهلي" هي الروابط التي تقوم عليها الأمة. من روابط الدم والأرض والمصالح المشتركة إلخ، إذا لم تكن قائمة على العقيدة.والتوجيه الثاني –في ظل العقيدة المشتركة– يجعل بعض الروابط أقرب وأوثق من بعضها الآخر، لأن لها ظروفا طبيعية تجعلها كذلك، ولأنها –في صورتها تلك– لن تكون حواجز تحجز بين بعض المسلمين وبعض، أو تقيم بينهم العداوة والبغضاء والنفور والقطيعة.وبهذه المعايير الحاسمة يضبط الإسلام عواطف المؤمنين ضبطا محكما فلا تتميع ولا تتذبذب في قضية خطيرة تقوم عليها كل حياة الدنيا، وكل حياة الآخرة، وهي أن يكون الدين كله لله ولا يكون لله فيه شركاء.والإسلام يوعي شبابه وأبناءه جميعا لكي لا تأكلهم الدعوات الزائفة، ولا تخدعهم الشعارات الجوفاء، ولا تستهويهم الدعايات الكاذبة سواء للمبادئ أو الأشخاص. إنه يمنحهم المحك الذي يفرقون به بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والخير والشر. إنه صدق التحاكم إلى شريعة الله:﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين، أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون، إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا_____________١ سورة التوبة ٢.٢٤ سورة الأنفال ٧٥.." (٢)

"كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يعهد إليه بمهام خطيرة يعجب الإنسان لها ولا ينقضي عجبه منها!فكم كان عمر أسامة بن زيد حين عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة جيش من جيوش المسلمين؟! كان في الثامنة عشرة من عمره. وهي سن يقضيها بعض الناس في مراهقة مريضة أو عبث صبياني مرذول! ويقضيها في أحسن الأحوال في تطلع إلى اليوم الذي يحمل فيه المسئولية، ويقوم بعمل نافع في الحياة!وكان محمد بن القاسم في التاسعة عشرة حين وصل بفتوحاته في عهد الوليد بن عبد الملك إلى حدود الصين. وكان عبد الرحمن الداخل الملقب بصقر قريش دون الخامسة والعشرين حين أقام دولته في الأندلس. وغيرهم وغيرهم.ألا أن الإيمان الحق ليسرع بالإنسان إلى اكتمال النضج، ويشحذ العزيمة كما يشحذ المواهب، ويرفع من لديه الاستعداد إلى مستوى العبقرية!و"المسئولية" الضخمة التي يضع الإسلام الإنسان

---

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ٢/٥٠٩

(٢) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ٢/٥٢٩

فيها -أيا كان تخصصه الفردي، وأيا كانت مواهبه واستعداداته- هي إقامة منهج الله في الأرض.هي المجاهدة لكي تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله.وهي مسئولية لا تنحصر في جانب واحد. لا تنحصر في "القتال" كما قد يبدو الأمر لأول وهلة. إنما القتال هو جانب واحد من جوانبها المتعددة. ولو كان الأمر أمر قتال فحسب، فقد كان يكفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يربي جيشا من المقاتلين الشجعان ولا زيادة! وما أصغره من هدف لو انحصر فيه الأمر كله، هدف تحسنه كل الجاهليات الكبرى في التاريخ! عرفته من قبل الجاهلية الفرعونية والجاهلية الإغريقية والرومانية والفارسية وغيرها.. وعرفته في الحديث جاهليات أوربا وأمريكا، وتسابقت فيه وتفننت، سواء جيش هتلر من قبل، أو جيش روسيا وجيوش الحلفاء اليوم!إنما القتال أمر عارض يعرض في الطريق، لا هو أول الطريق ولا آخر الطريق!." (١)

"﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ ١.ومقتضى ذلك هو النظر إلى الحقيقة في ذاتها، بحسب ما تهدي إليه الأدلة، دون تأثر بالهوى الذي يضل دائما عن الحق. كذلك لا ينبغي التقليد بغير بينة، واعتماد أقوال مسبقة للآخرين ليس عليها برهان:﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ ٢.ولا اتباع الظن:﴿إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ ٣.هذا من جهة. ومن جهة أخرى يدعو الإسلام إلى النظر في الغاية المقصودة من كل أمر، لكي يكون التفكير مثمرا. ولا يكون سفسطة فارغة، ولا تأملا مبددا في الهواء:﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ ٤.فليس هناك في الإسلام تلك الدعاوي الجاهلية التي تقول: العلم للعلم.أو الفن للفن. إلخ. إنما كل شيء ينبغي أن تكون له غاية واضحة منذ البدء. والغاية الكبرى التي تحكم جميع الغايات هي إحسان العبادة لله، على المعنى الشامل للعبادة الذي يشمل التكاليف كلها من شعائر التعبد إلى عمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني، إلى إقامة "الدين" خالصا لله في الأرض:﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ٥.قال: وما الإحسان؟ قال: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" ٦.﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ ٧.﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ ٨.__________١ سورة الفرقان ٢.٤٣ سورة البقرة ٣.١٧٠ سورة النجم ٤.٣٦ سورة البقرة ٥.١٨٩ سورة الذاريات ٦.٥٦ من حديث "هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم".٧ سورة هود ٨.٦١ سورة الأنفال ٣٩.." (٢)

"وأما المرجئة فقد تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طنا أن ذلك من باب ترك الفتنة (١) . فأهل السنة يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، مع مراعاة مقاصد الشريعة، والحرص على لزوم الجماعة والائتلاف، والبعد عن الفرقةوالاختلاف.يقول ابن تيمية:((أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم يرون قتال أئمة الجور، والخروج عليهم إذا فعلوا ماهو ظلم، أو ماظنوه هم ظلما، ويرون ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآخرون من المرجئة وأهل الفجور قد يرون ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظنا أن ذلك من باب ترك الفتنة، وهؤلاء يقابلون لأولئك، ولهذا ذكر الأستاذ أبو منصور الماتريدي (٢) .١ المصنف في الكلام وأصول الدين من الحنفية الذين وراء النهر ما

---

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ٥٧٤/٢

(٢) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ٥٩٠/٢

قابل به المعتزلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذكر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سقط في هذا الزمان))
(٣) .ويقول في موضع آخر:((الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق______________(١)
يقول ابن تيمية عن هذا الصنف: ((وأقوام ينكلون عن الأمر والنهي والقتال الذي يكون به الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، لئلا يفتنوا، وهم قد سقوط في الفتنة.. وهذه حال كثير من المتدينين، يتركون ما يجب عليهم من أمر ونهي وجهاد يكون به الدين كله لله، لئلا يفتنوا بجنس الشهوات، وهم قد وقعوا في الفتنة التي هي أعظم مما زعموا أنهم فروا منه)) . انتهى ملخصا. انظر مجموع الفتاوى ١٦٧/٢٨.(٢) يظهر من مقالة أبي منصور الماتريدي – في تعريف الإيمان – نزعة إرجائية، حيث يقول: إن الإيمان هو ما في القلب، والقول الظاهر شرط لثبوت أحكام الدنيا. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥١/٧.، وشرح الطحاوية ٤٥٩/٢. ورسالة ((الماتريدية)) لأحمد الحربي ص ٤٥٣.(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٧٧.(١) مجموع الفتاوى ٥٠٨/٢٨.." (١)

"١٦- أن يتأكد لدى الطلاب المفهوم الصحيح للعمل:لا بد أن يفهم الناشئة أنه ليس المراد بالعمل الانصراف عن أمور الدنيا وقضاياها والكد والكدح فيها والاشتغال بأمور ثانوية في الدين، كالخلافات المذهبية، والدروشة، ومناقشات مدى إخلاص أو عدم إخلاص بعض الناس العاديين أو المفكرين. وليس من العمل الجاد الذي تعمر به الحياة وترقى، أن يترك كل ذي تخصص تخصصه في الطب والهندسة والعمارة والطبيعة والكيمياء والرياضيات وعلوم الحرب، وعلوم الإدارة وعلوم ارتياد الفضاء، وكل العلوم التي نحن فقراء إلى النابغين فيها، إلى الاشتغال بأحكام التجويد وعلامات الساعة، وإطالة اللحى وتقصير الثياب ... إلخ.لا بد أن نعمق في شعور الناشئة أن العمل الذي تعمر به الحياة وترقى، هو أن ينصر كل منهم الإسلام في ميدان تخصصه بالإنجاز فيه والإبداع. يقول الشيخ الغزالي: "من المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالا بالدنيا، عجزة عن الحياة.. وإنه لفشل دفعنا ثمنه باهظا عندما خبنا في ميادين الحياة. وحسبنا أن مثوبة الله في كلمات تقال، ومظاهر تقام.. إن الله لا يقبل تدينا يشينه هذا الشلل المستغرب، ولا أدري كيف نزعم الإيمان والجهاد ونحن نعاني من هذه الطفولة التي تجعل غيرنا يداوينا، ويمدنا بالسلاح إذا شاء"١.لا بد أن تدرك الناشئة ارتباط العمل بالعبادة، فالإنسان المسلم عابد لله ما دام متجها بعمله ونشاطه كله لله. قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم النهار". "رواه الشيخان".وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع النبي في سفر، فمنا الصائم ومنا المفطر. قال: فنزلنا منزلا في يوم حار، أكثرنا ظلا صاحب الكساء. فمنا من يتقي الشمس بيده، قال فسقط الصوام، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال –صلى الله عليه وسلم: "ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله" "أخرجه الستة".إن الأجيال المسلمة لا بد أن تدرك أن المقصود ليس مجرد "العمل" وإنما "الإحسان في العمل": ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ [الكهف: ٣٠] .والإحسان في العمل ذو شقين: الشق الأول هو استخدام أقصى درجة المهارة والإتقان فيه. يؤكد هذا قول الرسول –صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" [رواه الستة] . ولكن هل يكفي الإتقان في العمل لبناء حضارة

---

(١) معالم في السلوك وتزكية النفوس عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ص/٢٥

إنسانية راقية؟ الإجابة الصحيحة أن ذلك لا يكفي. وهنا نصل إلى الشق الثاني لمعنى "الإحسان في العمل" وهو أن تتوجه بالعمل لله، لأنك ترى الله في العمل، وتؤمن بأن الله يراك"٢.وهكذا.. فإن العامل المحسن لن يسمح باستخدام نتاج عمله ومهارته في خراب الدنيا، لأنه خلق للعمل على إعمارها على عهد الله وشرطه. فهذا هو مقتضى الخلافة في الأرض وهو مفهوم العبادة.______________١ محمد الغزالي: عقيدة المسلم، ط٤، دمشق، دار القلم ١٤٠٣هـ ١٩٨٣، ص١٨٠.٢ علي أحمد مدكور: نظريات المناهج التربوية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٢٠٥.." (١)

"أخرى ناشئ هذا من عدم الإيمان بالقدر.إن القاعدة السابقة التي أصلها لقمان في ابنه أن الأهمية بمكان إذا ما تربت النفوس عليها، ولهذا يجب على الآباء والمربين أن يغرسوا في أبنائها وتلاميذهم مراقبة الله عز وجل في قلوبهم، لما في ذلك من ثمرات تربوية لا تخفى على العاقل، فمراقبة الله عز وجل هي التي تعمل على قامع الشهوات، وتحث على الطاعات، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، فمتى استشعر النشئ روح هذه المراقبة انكف وانزجر عن المعاصي والنواهي، فجعل تقوى الله عزوجل سترا ومانعا له من الوقوع في المهلكات، وهي أيضا تعمل على تحريره من الخوف من أحد غير الله عزوجل، وتحرره أيضا من القلق والضجر والاضطراب، **فالكون كله لله والأعمار** والأرزاق بيد الله عز وجل وقد بين لنا الرسول هذه الحقيقة بأسلوب تطبيقي عملي عندما وجه ابن عباس رضي الله عنهما بقوله عليه الصلاة والسلام "يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" ١.يترتب على ما ذكر ما يلي.١ - إيجاد جيل قوي يخلص العبودية الكاملة لله عز وجل وحده.٢ - العمل الجاد المثمر، والإخلاص لله عز وجل في أعمالهم، كل بحسب عمله، ومجال تخصصه.٣ - مراقبة الله عز وجل في سلوكهم وفي معاملاتهم مع الآخرين.______________١ - الترمذي: ٦٧٧/٤، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث (٥١) وقال: هذا حديث حسن صحيح واللفظ له. وأحمد: مسند الإمام أحمد ٢٩٣/١ - ٣٠٣ - ٣٠٧.." (٢)

"فالثالثة: وهى قتالهم حتى يهزموا وتدخل خيل الإسلام بلادهم عنوة وتصبح من مال الإسلام والمسلمين إذ يصبح مال تلك البلاد خراجا، وتصبح تلك البلاد ضمن بلاد المسلمين ثم يعسكرون على حدود البلاد المجاورة، ويعملون ما عملوا مع الحدود الأولى وهكذا حتى يكون الدين كله لله، ولا يبقى من لا دين لله بالإسلام امتثالا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار...﴾ الآيةوقوله تعالى: ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ أي قوة بأس وشدة مراس ليرهبوكم وليهزموا أمامكم وقوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ أي بنصره وتأييده، والمتقون هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي، والخروج عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة.وفعلا امتثل أمر الله تعالى المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وسلم ما إن انتهت حرب الردة في أطراف الجزيرة حتى قام أبو بكر رضى الله عنه خليفة

---

(١) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها على أحمد مدكور ص/١٥٧

(٢) معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه عبد الرحمن عبد المحسن الأنصاري ص/٤٧١

رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصليب وإلى الفرس عبدة النار، ففتح الله تعالى عليه ببركة خلافته لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتوفي أبو بكر رضى الله عنه، وتولى أمر المسلمين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وواصل الجهاد فاستولى على ممالك في الشرق والغرب، واستشهد عمر رضى الله عنه في محراب رسول الله إذ قتله أبو لؤلؤة المجوسي انتقاما منه لكسره عرش كسرى، وتولى أمر المسلمين خليفته عثمان ذو النورين رضى الله عنه وأرضاه فواصل الزحف والجهاد تنفيذا لأمر الله: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ فاتسعت البلاد الإسلامية شرقا وغربا ودخلت ممالك كبيرة وعديدة في دين الله. واستمر الجهاد والفتح وحدود البلاد الإسلامية تتسع شرقا وغربا طيلة ثلاثة قرون وهى القرون التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ". وما أن انتهت القرون الذهبية حتى كاد العدو المؤلف من ثلاثة أعداء وهم المجوس واليهود والنصارى حتى أصبح يعرف بالثالوث، كاد أمة الإسلام بالمكر والدس ففرق كلمتها وشتت جيوشها ورجالها ومزق بلادها، وأخذت تتراجع الحدود حتى ضاقت، ووقف المد والجزر والأمر لله من قبل ومن بعد، واليوم البشرية تتطلع إلى الإسلام لينقذها من عللها وأمراضها وظلمتها وشرورها ومفاسدها، فعسى الله تعالى أن يتوب على المؤمنين فتجتمع كلمتهم ودولتهم فينهضون بهذا الواجب: قتال من يلي حدود البلاد الإسلامية." (١)

"حتى يدخل في الإسلام وهكذا... حتى يتم وعد الله في قوله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم " ليتمن الله هذا الأمر حتى ما يبقى بيت مدر ولا وبر إلا يدخله الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل " وأخيرا فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على المعلومات الآتية: ١-وجوب الجهاد واستمراره على أمة الإسلام حتى لا تبقى فتنة أو اضطهاد لمؤمن، ويكون الدين كله لله. ٢-مشروعية البدء في الجهاد بأقرب الكفار إلى بلاد المسلمين من باب (الأقربون أولى بالمعروف) . ٣-وعد الله تعالى بالنصر والتأييد لأهل التقوى العامة والخاصة باق لا يتبدل ولا يتغير. ٤-أمة الإسلام آثمة إذا لم تحقق هذا الواجب وهو قتال من يلي بلادها حتى يعم الإسلام ديار العالم كافة، ولا يعفى من الإثم إلا أهل الأعذار في قوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض﴾ والنساء والأطفال والمجانين، كل بحسب حاله قوة وضعفا. والله نسأل أن يعفو ويغفر، فإنه عفو غفور. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.." (٢)

"النداء السابع والستون: في نصرة الله وما تثمره من نصرة لعباد الله المؤمنين وبيان خسران الكافرين وتعاستهم وضلالهمالآيتان (٧ - ٩) من سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ .الشرح: اذكر أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن نداء الله تعالى لعباده المؤمنين الذين آمنوا بالله ربا وإلها لا إله غيره ولا رب سواه، وبالإسلام دينا لا دين يقبل غيره، وبمحمد نبيا ولا نبي يأتي بعده، ورسولا إلى الناس كافة أبيضهم وأصفرهم، ومن عاصروه ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة. كان لأجل أن يأمرهم أو ينهاهم، أو يبشرهم أو ينذرهم، وكل ذلك من

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/١٥٢

(٢) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/١٥٣

أجل إكمالهم في إيمانهم وإسلامهم وإحسانهم، وفى آدابهم وأخلاقهم، ومعارفهم وعلومهم، ولأجل إسعادهم أبدانا وأرواحا، وحاشاه تعالى أن يناديهم لغير إكمالهم وإسعادهم، لأنه ربهم ووليهم العليم الحكيم والبر الرحيم فها هو ذا ناداهم ليخبرهم بأنهم إن نصروه تعالى في رسوله ودينه وأوليائه وهم المؤمنون المتقون من عباده نصرهم على أعدائه وأعدائهم وهم الكافرون بتوحيده وبرسوله وبكتابه وشرعه ولقائه وجزاء أوليائه بالنعيم المقيم، وأعدائه بالعذاب الأليم. إذ قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ ، أي في كل معركة تخوضونها ضد أعدائكم الكافرين والمشركين الذين فرض عليكم قتالهم حتى يسلموا لله قلوبهم ووجوههم. إذ قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي شرك أو من يدعو إلى الشرك، ويكون الدين كله لله. كما يخبرهم بأن الذين كفروا به وبرسوله وبكتابه القرآن العظيم، وبلقائه ووعده." (١)

"٤٤ / أعظم موجبات الحمد العلم بأسماء الرب وصفاتهلا ريب أن **الحمد كله لله رب** العالمين، فإنه سبحانه المحمود على كل شيء، وهو المحمود على ما خلقه وأمر به ونهى عنه، والحمد أوسع الصفات وأعم المدائح وأعظم الثناء، والطرق إلى العلم به في غاية الكثرة؛ لأن جميع أسمائه تبارك وتعالى حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله وإحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده ووجد بحمده وظهر بحمده، وكان الغاية منه هي حمده، فحمده سبحانه سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله، فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات وظهور آثاره أمر مشهود بالأبصار والبصائر. وقد نبه سبحانه على شمول حمده لخلقه وأمره بأن حمد نفسه في أول الخلق وآخره، وعند الأمر والشرع، وحمد نفسه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على تفرده بالإلهية وعلى حياته، وحمد نفسه على امتناع اتصافه بما لا يليق به من اتخاذ الولد والشريك إلى غير ذلك من أنواع ما حمد الله به نفسه في كتابه. ولهذا فإن من الطرق العظيمة الدالة على شمول معنى الحمد وتناوله لجميع الأشياء معرفة العبد لأسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته، وإقراره بأن للعالم إلها حيا جامعا لكل صفة كمال، واسم حسن وثناء جميل وفعل كريم، وأنه سبحانه له القدرة التامة والمشيئة النافذة والعلم." (٢)

"أعم من جهة أسبابه، ومن هذا الحديث: "الحمد لله رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره"١، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها" ٢") ٣. اهـ كلامه رحمه الله. وبه يتبين أن بين الحمد والشكر عموما وخصوصا من وجه، فيجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابلة نعمة، فهذا يسمى حمدا ويسمى شكرا، وينفرد الحمد فيما إذا أثنى العبد على ربه بذكر أسمائه الحسنى ونعوته العظيمة فهذا يسمى حمدا، ولا يسمى شكرا، وينفرد الشكر فيما إذا استعمل العبد نعمة الله في طاعة الله فهذا يسمى شكرا ولا يسمى حمدا. إن حمد الله هو الثناء على الله بذكر صفاته العظيمة ونعمه العميمة مع حبه وتعظيمه وإجلاله، وهو مختص به سبحانه لا يكون إلا له، **فالحمد كله لله رب** العالمين؛ "ولذلك قال سبحانه: ﴿الحمد لله﴾ ب لام الجنس المفيدة للاستغراق، فالحمد كله له إما ملكا وإما استحقاقا، فحمده لنفسه استحقاق، وحمد العباد له وحمد بعضهم لبعض ملكه

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/١٨٥

(٢) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢٤٣/١

... فالقائل إذا قال: الحمد لله تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد________________١ رواه عبد الرزاق في المصنف (٤٢٤/١٠) ، والبيهقي في الآداب (ص:٤٥٩) من طريق قتادة: أن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكره.قال البيهقي: "هكذا جاء مرسلا بين قتادة ومن فوقه".٢ صحيح مسلم (رقم:٢٧٣٤) .٣ الفتاوى (١٣٤/١١،١٣٣) .." [1]

"عليه تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الحمد المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى؛ ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه وهو الحميد المجيد"١.وإذا قيل: الحمد كله لله، فإن هذا له معنيان:أحدهما: أنه محمود على كل شيء، وهو ما يحمد به رسله وأنبياؤه وأتباعهم، فذلك من حمده تبارك وتعالى، بل هو المحمود بالقصد الأول وبالذات، وما نالوه من الحمد فإنما نالوه بحمده، فهو المحمود أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.والمعنى الثاني: أن يقال: لك الحمد كله أي التام الكامل هذا مختص بالله ليس لغيره فيه شركه.قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر هذين المعنيين: "والتحقيق أن له الحمد بالمعنيين جميعا، فله عموم الحمد وكماله، وهذا من خصائصه سبحانه، فهو المحمود على كل حال، وعلى كل شيء أكمل حمد وأعظمه"٢.فالحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله بمجامع حمده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم.________________١ بدائع الفوائد لابن القيم (٩٣/٢،٩٢) .٢ طريق الهجرتين (ص:٢٠٦) .." [2]

"الإفك البين والكذب الواضح.الأمر الثالث: خوارق ظنوها من الآيات، وهي من أحوال الشيطان١، وحكايات حكيت لهم عن أصحاب القبور مثل أن فلانا استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها، وفلانا دعاه أو دعا به في حاجة فقضيت له، وفلانا نزل به ضر فاسترجى صاحب القبر فكشف ضره، والنفوس مولعة بقضاء حوائجها وإزالة ضروراتها، ومن هذا المدخل نفذ الشيطان إلى قلوب هؤلاء، وتدرج بهم في دعوتهم إليه، فحسن للواحد من هؤلاء أولا الدعاء عند القبور، وأنه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات سحره، فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على الله به أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجح في قضاء حاجته نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه، ويوقد عليه القناديل، ويعلق الستور، ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له والطواف به وتقبيله واستلامه والحج إليه والذبح عنده٢، والواجب الحذر من الشيطان وجنوده، ولزوم سبيل المؤمنين بإخلاص **العمل كله لله عز** وجل مع المتابعة في ذلك كله للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، جعلنا الله وإياكم من أتباعه وهدانا لزوم سنته.________________١ انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٣١٦/١ - ٣١٧) .٢ انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٢٣٣/١ - ٢٣٤) .." [3]

---

(١) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢٦٧/١

(٢) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢٦٨/١

(٣) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ١٢٣/٢

"ولعظم هذا الأمر وجلالة شأنه أكده بقوله "وحده لا شريك له"، فقوله "وحده" فيه تأكيد للإثبات، وقوله: "لا شريك له" فيه تأكيد للنفي، وهذا تأكيد من بعد تأكيد اهتماما بمقام التوحيد وتعلية لشأنه.ولما أقر لله بالوحدانية أتبع ذلك بالإقرار له بالملك والحمد والقدرة على كل شيء، فقال: "له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" فالملك كله لله، وبيده سبحانه ملكوت كل شيء، والحمد كله له ملكا واستحقاقا، وهو سبحانه على كل شيء قدير، فلا يخرج عن قدرته شيء ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾ ١.وفي الإتيان بهذه الجملة المتقدمة بين يدي الدعاء فائدة عظيمة، فهو أبلغ في الدعاء، وأرجى للإجابة، ثم بدأ بعد ذلك بذكر مسألته وحاجاته، فقال: "رب أسألك خير هذه الليلة وخير ما بعدها" أي: أسألك خير ما أردت وقوعه في هذه الليلة للصالحين من عبادك من الكمالات الظاهرة والباطنة، ومن المنافع الدينية والدنيوية، "وخير ما بعدها" أي: ما بعدها من الليالي."وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها" أي: وأعتصم بك وألتجئ إليك من شر ما أردت وقوعه فيها من شرور ظاهرة أو باطنة.وقوله: "رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر"، والمراد بالكسل عدم انبعاث النفس للخير مع ظهور القدرة عليه، ومن كان كذلك فإنه لا يكون معذورا، بخلاف العاجز، فإنه معذور لعدم قدرته، والمراد بسوء الكبر، أي: ما يورثه كبر السن من ذهاب العقل، واختلاط الرأي، وغير ذلك مما يسوء به الحال.________________١ سورة: فاطر الآية (٤٤) .." (١)

"وقوله: "إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" خص هاتين العبادتين الصلاة والنسك . وهو الذبح . بالذكر؛ لشرفهما وعظم فضلهما، ومن أخلص في صلاته ونسكه استلزم إخلاصه لله في سائر أعماله، وقوله: "محياي ومماتي" أي: ما آتيه في حياتي، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح كله لله رب العالمين، لا شريك له في شيء من ذلك.وقوله: "اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" فيه التوسل إلى الله بملكه وألوهيته وربوبيته، واعتراف العبد بأنه عبد له ظالم لنفسه معترف بذنبه، وأنه سبحانه غافر الذنوب ولا يغفرها إلا هو، وهو بهذا يطمع من ربه أن يغفر له ذنبه.وقوله: "واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت" فيه سؤال الله الهداية إلى الخلق الحسن، واعترافه بأنه لا يهدي إليه إلا الله، وأن يصرف عنه الخلق السيئ الرديء، واعترافه بأنه لا يصرفه عنه إلا الله.وقوله: "لبيك" استجابة لنداء الله وامتثال أمره سبحانه، وقوله: "وسعديك" أي: إسعادا بعد إسعاد، والمراد: طاعة بعد طاعة.وقوله: "والخير كله في يديك" أي: خزائنه عندك، وأنت المان به المتفضل وحدك.وقوله: "والشر ليس إليك" فيه تنزيه الله عن الشر أن ينسب إليه، فالشر لا ينسب إلى الله بوجه من الوجوه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإنما الشر يدخل في مخلوقاته ومفعولاته، فالشر في." (٢)

"المنجى، وإليه الملجأ، وبها الاستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته وقدرته، فالإعاذة فعله والمستعاذ منه فعله أو مفعوله الذي خلقه بمشيئته، وهذا كله تحقيق للتوحيد والقدر، وأنه لا رب غيره، ولا خالق سواه، ولا يملك المخلوق لنفسه

---

(١) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢٠/٣

(٢) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ١٣١/٣

ولا لغيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بل الأمر كله لله، ليس لأحد سواه منه شيء.وقوله في ختام هذا الدعاء: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" فيه الاعتراف بأن شأن الله سبحانه وعظمته وكمال أسمائه وصفاته أعظم وأجل من أن يحصيها أحد من الخلق، أو يبلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه.ومن أدعية السجود كذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، أوله وآخره، وعلانيته وسره" ١.وقوله: "ذنبي كله" أي: ذنوبي جميعها، فإن المفرد إذا أضيف يعم، ثم إن هذا التعميم والشمول في هذا الدعاء ليأتي طلب الغفران على جميع ذنوب العبد ما علمه منها وما لم يعلمه، لا سيما والمقام مقام دعاء وتضرع وإظهار العبودية والافتقار، فناسب ذكر الأنواع التي يتوب العبد منها تفصيلا؛ ولهذا قال: "دقه وجله، أوله وآخره، وعلانيته وسره" وهذا أبلغ وأحسن من الإيجاز والاختصار.ثم إن بين السجدتين ركنا لا بد منه في الصلاة، وهو الجلسة بين السجدتين، وقد شرع فيه من الدعاء ما يليق به ويناسبه، وهو سؤال العبد______________١
صحيح مسلم (رقم:٤٨٣) .." (١)

"مشروع في المواضع الكبار لكثرة الجمع، أو لعظمة الفعل، أو لقوة الحال أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة؛ ليبين أن الله أكبر، وتستولي كبرياؤه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكبار، فيكون الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرون، فيحصل لهم مقصودان: مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد سائر المطالب لكبريائه"١.أما تكبير النبي صلى الله عليه وسلم عند رؤية الهلال فقد رواه الدارمي من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال: الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله"٢.ولنبدأ هنا في الكلام على معنى الحديث، قوله: "إذا رأى الهلال" الهلال هو غرة القمر لليلتين أو لثلاث، وفي غير ذلك يقال له قمر.وقوله: "أهله علينا" أي أطلعه علينا، وأرنا إياه.وقوله: "بالأمن والإيمان" الأمن هو الطمأنينة والراحة والسكون والسلامة من الآفات والشرور، وفي حديث طلحة "باليمن" واليمن هو السعادة، والإيمان هو الإقرار والتصديق والخضوع لله.وقوله: "والسلامة والإسلام" السلامة هي الوقاية والنجاة من الآفات والمصائب، والإسلام هو الاستسلام لله والانقياد لشرعه.وقوله: "ربي وربك الله" فيه إثبات أن الناس والقمر وجميع المخلوقات______________١
مجموع الفتاوى (٢٢٦/٢٤) .٢ سنن الدارمي (رقم:١٦٨٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩/١٠) : "فيه عثمان بن إبراهيم الحاطبي، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات".." (٢)

"بنفسه عند درها .. ولا يتجاوزه الى ما ليس له .. لا يتعدى دوره .. هذا هو الذي عرف نفسه .. فتيقن أنه لله ومن الله وبالله .. فالله هو المان به ابتداء وإدامة .. بلا سبب من العبد ولا استحقاق منه.قال تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ [الطور: ٣٥].﴿ما أشهدتم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ [الكهف: ٥١]﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا* إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج

---

(١) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ١٤٩/٣

(٢) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢٥٥/٣

نبتليه فجعلناه سكيعا بصيرا﴾ [الانسان: ١ – ٢].إنك لم تكن شيئا .. من نطفة أوجدك .. بدون استحقاق منك .. بل محض كرم وجود منه سبحانه وتعالى.انتبه ..إذا علم العبد هذا وتيقنه .. فعلم أن الله هو المان به ابتداءا وإدامة .. بلا استحقاق من العبد .. وبلا سبب منه .. حينذاك تذله نعم الله عليه .. فعندئذ يرى أن **الفضل كله لله** .. وأنه من عليه دون أن يستحق أي نعمة .. فيذل لله .. وكلما زاده الله نعمة .. ازداد بها ذلا .. حتى يصير أذل الناس لله .. وهذه أعلى درجة من درجات العبودية .. فتذله نعم الله عليه .. وتكسره .. كسرة من لا يرى لنفسه ولا فيها ولا منها خيرا البتة .. فلا يرى فيها خيرا أبدا .. وأن الخير الذي وصل اليه فهو لله وبالله ومن الله.وهذه نتيجة علمين شريفين .. علمه بربه .. وعلمه بنفسه ..." (١)

"علمه بربه .. وبره وغناه .. وجوده وإحسانه ورحمته .. وأن الخير كله في يديه .. وهو في ملكه يؤتي منه من يشاء ما يشاء .. ويمنع منه من يشاء ما يشاء.ثم علمه بنفسه .. ووقوفه على حدها .. وقدرها .. ونقصها وظلمها .. فالعبد دائم التذكر لهذين الأمرين .. لا ينسب لنفسه فضلا قط .. إذا قرأ القرآن فمن الله .. إذا صام النهار فمحض فضل من الله .. يعني توفيق وإعانة وقبول .. إذا قام الليل فبتوفيق الله .. وانظر لعله هناك من هو أعقل منك ولم يهده الله فلم يهتد ..فاحمد الله .. قال تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف: ١٧].يقول ابن القيم:فإذا صار هذان العلمان .. ألا وهما: معرفة نفسك ومعرفة ربك صبغة لها لا صبغة على لسانها.فكثير منا يقول بلسانه: والله أنا مقصر .. مذنب .. عاص .. ادع الله أن يهديني .. أنا أريد أن أتعلم .. أريد أن أقوم الليل .. هذه صبغة اللسان .. أما صبغة القلب فعلمه بنفسه وعلمه بربه .. فإذا صار هذان العلمان صبغة لها لا صبغة على لسانها .. علمت حينذاك أن **الحمد كله لله** .. **والأمر كله لله** .. **والخير كله لله** . وأنه هو المستحق للحمد والثناء دونها . أي دون نفسه . وأن نفسه هي أولى بالذم والعيب اللوم .. ومن فاته التحقق بهذين العلمين تلونت به أقواله وأعماله .. فإيصال العبد الى الله بتحقيق هاتين المعرفتين علما." (٢)

---

(١) كيف أتوب محمد حسين يعقوب ص/١١٠

(٢) كيف أتوب محمد حسين يعقوب ص/١١١